نموذج ترخيص

أنا الطالبة: حنان محمد غازي العبسي أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

منهج الإمام القرطبي في الاستدلال على مسائل العقيدة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) سورة الكهف أنموذجًا

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: حنان محمد غازي العبسي

التوقيع: حنان

التاريخ: ١٠/١/٢٠١٦م

منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) سورة الكهف أنموذجاً

إعداد
حنان محمد غازي العتيبي

المشرف
الدكتوره مروه محمود حجو خرمه

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الأول، 2015

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الدراسة وعنوانها: منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) سورة الكهف أنموذجاً وأجيزت بتاريخ : 2015/12/27 .

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيـع
الدكتوره : مروه محمود حجو خرمه ، مشرفاً أستاذ مشارك - العقيدة الإسلامية	....
الدكتور : أحمد العوايشة ، عضواً أستاذ مشارك - العقيدة الإسلامية	....
الدكتور: إبراهيم برقان ، عضواً أستاذ مشارك - العقيدة الإسلامية	....
الدكتور: محمد الملكاوي ، عضواً أستاذ - عقيدة ومقارنة أديان (جامعة اليرموك)	....

الشكر والتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فلا يسعني وقد أنهيت هذا الإنجاز العلمي، إلا أن أحمد الله الذي أعانني على إنجازه ، وأتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأساتذتي الأفاضل، وأخص بجزيل الشكر والتقدير **الدكتوره مروه خرمه** التي أشرفت على هذه الرسالة، فقد أحاطتني بلطفها وكرمها وأخلاقها النبيلة ، ومنحتني من وقتها الثمين، إذ كان لتوصياتها السديدة وآرائها القيمة الأثر الأكبر في إنجاز هذه الدراسة ، جزاها الله عني خير الجزاء، وأدامها مناراً للعلم.

والشكر موصول للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإغنائها بملحوظاتهم وتوجيهاتهم القيمة وآرائهم السديدة، والتي سيكون لها الأثر الكبير في إثراء هذه الدراسة .

والشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذه الدراسة لهم مني فائق الاحترام والتقدير.

الباحثة

قائمة المحتويات

منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره

(الجامع لأحكام القرآن)

سورة الكهف أنموذجاً

إعداد

حنان محمد غازي العتيبي

المشرف

الدكتورة مروه محمود حجو خرمه

ملخص

تناولت هذه الدراسة منهج الإمام القرطبي في استدلاله على المسائل العقدية في سورة الكهف، وهدفت هذه الدراسة إلى دراسة الآراء العقدية للإمام القرطبي الواردة في سورة الكهف مع عرض ما اشتملت عليه السورة من مسائل في العقيدة تميزت في بعضها عن سائر سور القرآن الكريم مما جعلها سورة تندب قراءتها كل يوم جمعة، وبيان بعض الإجراءات العملية في جمع القرطبي للمعلومات، ومنهجه في تناوله لمسائل العقيدة في سورة الكهف. وقد اعتمدت الباحثة في كتابة البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، ومن خلال هذه المناهج توصلت الباحثة إلى أن الإمام القرطبي وافق الأشاعرة في مسائل الإيمان بالله تعالى وصفاته الواردة في سورة الكهف، كما اعتقد بنبوة الخضر وعدم وفاته، وتوقف في مسألة التفضيل بين الأنبياء والملائكة، وتوقف كذلك فيما ليس فيه نص صحيح من المسائل. وصفوة القول في هذه الدراسة أنّ الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– يُعد من علماء أهل السنة والجماعة المنافحين عنها، المتمثلين بالكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وأن سورة الكهف سورة عظيمة بما اشتملت عليه من قضايا وأصول عقدية انفردت بها عن غيرها من سور القرآن العظيم.

منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) سورة الكهف أنموذجاً

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه وسلم تسليماً كثيراً، أمّا بعد:

فإن حاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، وهو المصدر الأول من مصادر العقيدة ومعينها الصافي، وسور القرآن جميعها وخاصة السور المكية تعالج قضايا العقيدة الإسلامية في إطارها العام. وتؤصل أصول العقيدة الصحيحة في النفوس، وتجليها بما يكون معه الأثر العظيم على المسلم في حياته العلمية والعملية.

وتزخر حضارتنا الإسلامية بكوكبة من أعلام العلم والإصلاح والأخلاق، والذين تنوعت مذاهبهم في العلم وفنونه، فمنهم المحدّث والمفسر والفقيه، والأصولي والنحوي، إلاّ أنه تربطهم وحدة المبادئ والعقيدة، ومن هؤلاء العلماء الإمام الفقيه المفسر أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، فكونه كان فقيهاً ومفسراً، هو الذي دعاني لاختياره من بين سائر العلماء ليكون منهجه الاستدلالي على مسائل العقيدة هو مدار بحثي وأساسه، خاصة وقد حظي تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) بالاهتمام البالغ والقبول والرواج، فأردت أن أبين آراءه العقدية ومنهجه في الاستدلال عليها في سورة الكهف كنموذج من خلال كونه فقيهاً.

مبررات الدراسة:

مما دفعني إلى اختيار موضوع هذه الرسالة عدة أسباب أبرزها:

1- ما لسورة الكهف من فضائل عظيمة وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثيرٍ من الأحاديث، فورد أنها عصمة من فتنة الدجال، وأنها نور لمن قرأها، وعصمة من كل فتنة لمن قرأها يوم الجمعة، وأنها حرز من الشيطان.

2- انفراد سورة الكهف بمجموعة من الأحداث التي لها أثر في العقائد.

3- الرغبة في التعرف إلى منهج الإمام القرطبي في تناوله للمسائل العقدية في تفسيره الجامع (في سورة الكهف كأنموذج)

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

1- من هو الإمام القرطبي، وما القيمة العلمية لتفسيره (الجامع)؟

2- ما مميزات سورة الكهف التي جاء في فضلها آحاديث كثيرة؟

3- ما المسائل العقائدية التي تناولها القرطبي في تفسيره لسورة الكهف؟

4- ما المنهج الذي سلكه القرطبي في استدلاله على المسائل العقدية في سورة الكهف؟

5- ما الذي تميز به القرطبي في منهجه العقدي في تفسيره لسورة الكهف؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في ما هو آت:

1- استخراخ المسائل العقدية في سورة الكهف وآراء الإمام القرطبي في بيانها.

2- إبراز ما انفردت به سورة الكهف من الأحداث التي لها أثر في العقائد.

3- بيان منهج القرطبي في تناول المسائل العقدية، وبما تميز به كعالم موسوعي جمع بين العديد من العلوم في تناوله للمسائل العقدية.

أهداف الدارسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- استنباط المسائل العقدية في سورة الكهف من خلال تفسير القرطبي.

2- بيان أثر الأحداث الواردة في سورة الكهف في تعميق العقيدة في النفوس.

3- توجيه الدراسات العقدية إلى الانشغال بالقرآن الكريم لأخذ العقيدة منه بعيداً عن الخلافات المذهبية بين الفرق.

محددات الدراسة:

اكتفت الباحثة بدراسة آراء القرطبي العقدية المذكورة في تفسيره لسورة الكهف تحديداً دون آرائه العقدية المبثوثة في كتبه الأخرى، واقتصرت الباحثة على ذكر الآراء العقدية للقرطبي في الآيات المتعلقة بالعقيدة في سورة الكهف دون الاسترسال في ذكر ما توسع فيه القرطبي من تفسير لتلك الآيات، إذ إن هذه الدراسة عقدية وليست تفسيرية.

الدراسات السابقة:

دراسة زلط (1395هـ)، بعنوان "**القرطبي ومنهجه في التفسير**" حيث تناولت هذه الدراسة اتجاهات الإمام القرطبي عامة في تفسيره كله.

دراسة نصر (2003) بعنوان "**الاتجاه العقدي في تفسير الإمام القرطبي**" تناولت الدارسة الاتجاه العقدي العام للقرطبي من خلال استقرائه لجميع سور القرآن الكريم.

دراسة مزيد (1412هـ) بعنوان"**منهج القرطبي في أصول الدين**" تناول الباحث منهج الإمام القرطبي في اصول الدين عامة.

دراسة الجعيد (1431هـ) بعنوان "**آراء القرطبي النقدية في المسائل العقدية من خلال تفسيره عرض ونقد**" حيث تناول الباحث المسائل التي انتقد فيها القرطبي من خلال تفسيره.

تعقيب على الدراسات السابقة:

تتقاطع هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في تناولها لعقيدة الإمام القرطبي من خلال المسائل العقدية في تفسيره، وتمتاز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بكونها أبرزت المسائل العقدية في تفسير القرطبي من خلال تركيزها على سورة الكهف، واستنباط منهجه الاستدلالي على المسائل العقدية التي حوتها سورة الكهف.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة في هذا البحث بالمناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: وذلك في تتبع الآيات المتعلقة بالعقيدة في سورة الكهف واستقراء آراء القرطبي في تفسيره .

2- المنهج التحليلي: لتحليل آراء القرطبي ومنهجه.

3- المنهج الاستنباطي: وذلك باستخراج المبادئ التي اعتمدها القرطبي في تفسيره لآرائه العقدية.

هذا جهد المقل، فإن أصبت فبتوفيق من الله تعالى، وإن اخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي: تعريفات

المبحث الأول

التعريف بالإمام القرطبي وعصره

للتعرف إلى الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– لا بد أن نتطرق إلى العصر والبيئة التي عاش فيها، فالمرء ابن بيئته، يأخذ منها ويتأثر ويؤثر. وبيان ذلك الآتي:

المطلب الأول: عصر القرطبي

أولاً: الحالة السياسية:

عاش القرطبي في بداية القرن السابع الهجري، وهي فترة اضطرابات، وحروب وفتن، وضعف للأمة الإسلامية، وتسلّط لأعدائها عليها من النصارى والتتار. فقد عاصر القرطبي حملة التتار واجتياحهم للبلاد الإسلامية، حيث خرجوا من بلاد الصين في الشرق، وساروا نحو بلاد الإسلام، فما مروا على بلدة إلّا سقطت تحت أيديهم، فيعيثون فيها فساداً، بقتل الرجال والشيوخ والأطفال والنساء، ونهب الأموال، وإحراق البلاد[1].

فعظُمت بهم الفتنة، حتى قال ابن الأثير[2] –وهو معاصر لتلك الأحداث – في تاريخه – مصوراً عظم الفتنة وشدة المحنة: " لقد بقيت سنين عدة معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا

---

1 انظر: ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت 774 هـ)، **البداية والنهاية**، ط2، ج15، (تحقيق رياض مراد، محمد عبيد)، دار ابن كثير، دمشق، 2010، ص 102-103.

2هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، مؤرخ أديب، نسّابة، له مصنفات عديدة منها " أسدُ الغابة في معرفة الصحابة"، توفي سنة ثلاثون وستمائة. انظر ترجمته في: ابن الدبيثي، محمد بن

أقدّم رِجْلاً وأُؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فياليت أمي لم تلدني، ويااليتني مت قبل هذا، وكنت نسياً منسيا، إلّا أنني حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقفٌ، ثم رأيت أنّ ترك ذلك لا يُجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى، التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق وخصّت المسلمين"[1]. ثم أبلغ في وصف عظمها فقال: " فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله – سبحانه وتعالى – آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ... ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج ... فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لهذه الحادثة التي استطار شرُّها وعم ضررها"[2].

ثم شرع في ذكر اجتياحهم لبلاد المسلمين، والمجازر العظيمة التي ارتكبها التتار والأفعال الشنيعة التي فعلوها[3]. وما زالوا في تقدم مستمر والبلاد الإسلامية تتساقط في أيديهم حتى سقطت عاصمة الخلافة الإسلامية ببغداد، وقُتل الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني عباس مع أهله وحاشيته وعدد من العلماء، وذلك سنة 656 هـ[4]. فقضوا على عامة بلاد الإسلام، وفي نيتهم مواصلة الزحف للقضاء على جميع البلاد الإسلامية حتى قيّض الله – سبحانه وتعالى – السلطان المملوكي سيف الدين قطز، المتوفى في ذي القعدة

سعيد (ت637 هـ)، **ذيل تاريخ مدينة السلام**، ط1، ج4، (تحقيق بشار معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م، ص515 . الذهبي، ، **سير أعلام النبلاء**، ج22، ص353 .

1 ابن الأثير، علي بن محمد (ت 630 هـ)، **الكامل في التاريخ**، ط4، ج10، (تحقيق محمد الدّقاق) دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص399.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

3 انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص399–400.

4 انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ص32–37. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (774 هـ)، **البداية والنهاية**، ط1، ج13، (تحقيق علي شبري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص213. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911 هـ)، **تاريخ الخلفاء**، ط1، (تحقيق حمدي الدمرداش)، مكتبة نزار، القاهرة، 2008م، ص516.

سنة 658 هـ حيث انتصر – عليهم في معركة "عين جالوت"[1] الشهيرة، وذلك في رمضان من سنة 658 هـ[2].

وما يهمنا هنا هو الحالة السياسية في البلدين اللذين قضى فيهما القرطبي حياته، وهما الأندلس ومصر، وبيان ذلك الآتي:-

1- الحالة السياسية في الأندلس:

قضى القرطبي حياته الأولى في الأندلس فولد ونشأ وتعلم فيها. وعاش القرطبي حياته في عهد دول الموحدين[3] التي أسسها عبد الله بن تومرت[4]، حيث خرج على المرابطين سنة 515 هـ، وسقطت مراكش عاصمة ملكهم على يد خليفته عبد المؤمن بن علي سنة 541 هـ[5]، ثم زحف إلى الأندلس فاستولى على ملكهم هناك، وأصبحت قرطبة عاصمة دولة الموحدين في الأندلس، ومنطلق جيوشهم. وسيطر الموحدون على بلاد الأندلس، وصدوا هجمات النصارى، وخاضوا معهم عدة معارك[6]، وقد وصف القرطبي ماحدث

---

1 عين جالوت: بليدة بين بيسان ونابلس بفلسطين. انظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ)، **معجم البلدان**، بدون طبعة، ج4، دار صادر، بيروت، 1993م، ص177 .

2 انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج13، ص233.

3 الموحدين: اسم اطلق على اتباع حركة نادت بالتجديد والإصلاح الإسلامي، حكموا خلال القرنين السادس والسابع الهجري في دولة أقاموها في شمال افريقية وإسبانيا، ونُشرت هذه الدعوة على يد ابن تومرت البربري. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، دون طبعة ج30، (تحقيق حسن حبشي، عبد الرحمن الشيخ)، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ص9195. إبراهيم، حسن، **تاريخ الاسلام**، ط13، ج4، دار الجيل ، بيروت، 1991م، ص282.

4 هو محمد بن عبدالله بن تومرت البربري الملقب بمهدي الموحدين، توفي سنة خمس مئة وأربع وعشرين هـ ومن كتبه: "كنز العلوم والمرشدة". انظر: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، ج5، ص45-55. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص539.

5 انظر: عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411 هـ، ص260 -263.

6 انظر: أشباخ، يوسف، **تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ط2، ج1، (تحقيق محمد عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص50، 59-62.

بالمسلمين في ذلك العصر فقال: "لم يزل المسلمون في نعمة وسرور إلى سنة تسع وستمائة، فكانت فيها وقعة العقاب هلك فيها كثيرٌ من المسلمين، ولم يزل المسلمون في تلك الوقعة بالأندلس وقد وصف القرطبي ماحدث بالمسلمين في ذلك العصر فقال: يرجعون القهقري إلى أن استولى عليهم العدو، وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول، ولم يبق الان من الأندلس إلا اليسير، فنعوذ بالله من الفتن والخذلان والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان"[1].

2- الحالة السياسية في مصر:

عاش القرطبي في مصر بعد نزوحه من الأندلس، وكانت مصر في ذلك الزمن خاضعة لسلطة الدولة الأيوبية، التي خلفت دولة الفاطميين، بقيادة صلاح الين الأيوبي سنة (567 هـ)، حتى توفي سنة (589 هـ)[2]، فخلفه على مصر – ابناه العزيز ثم الأفضل، ثم عمهما العادل بن أيوب الذي تولى مصر – سنة (596 هـ) حتى توفي سنة (615 هـ) وقد كانت بينهم من الحروب الداخلية والمكائد ما أضعف دولتهم، ثم تولى ابنه الكامل حتى توفي سنة (635 هـ) وهي السنة التي قصد فيها التتار بغداد، ثم تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب أمور السلطنة ومحاربة الفساد حتى توفي سنة (647 هـ)[3]، فتولى ابنه توران شاه وكان محباً للعلم والعلماء[4]، لكنه لم يبق في الحكم إلا يسيراً حيث قتله المماليك واستولوا على السلطة، وبذلك سقطت

---

1 القرطبي، محمد بن احمد، (ت 671 هـ)، **التذكرة**، دون طبعة، (تحقيق عصام الدين الصبابطي)، دار الحديث القاهرة، 2011م، ص524.

2 انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج2، ص232-235.

3 انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج2، ص235 المقريزي، أحمد بن علي (ت845 هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط2، ج1، قسم1، (تحقيق محمد زيادة)، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، ص297، 300.

4 انظر: المقريزي،**السلوك لمعرفة الملوك**، ج1، قسم 2، ص353.

الدولة الأيوبية وقامت دولة المماليك[1]. واستطاع المماليك أن ينتصروا على التتار ويقضوا عليهم، وصدوا هذا الجيش الجرار عن باقي بلاد الإسلام بقيادة المظفر قطز في معركة "عين جالوت" سنة (658 هـ)[2].

ثانياً: الحالة الاجتماعية والحالة الاقتصادية:

عاصر القرطبي –رحمه الله تعالى– فترات زمنية من تاريخ الدول الإسلامية التي حكمت ديار الإسلام – شرقاً وغرباً–، كما عاصر ما تخلل تلك الفترة من الاضطرابات والمحن المتوالية، والتي أدت إلى سقوط قواعد الأندلس الكبرى تباعاً على يد النصارى، وخروج القرطبي منها إلى مصر واستقراره فيها، وهذه الظروف المحزنة قد سجل القرطبي أسفه وألمه على ما شاهده فيها في كتابيه (الجامع لأحكام القرآن) وكتاب (التذكرة)، فكان للإمام القرطبي مواقف واضحة من الفساد السياسي والفساد الاجتماعي الذين ظهرت ملامحهما في عصره، ولم يحل تفانيه في التصنيف والتأليف بينه وبين إعلان موقفه السياسي بروح إصلاحية واضحة المعالم حيث أعلن قائلاً في كتابه (التذكرة): "هذا هو الزمان الذي استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحكام، بدلوا دين الله، وغيروا حكم الله، سماعون للكذب، أكّالون للسحت"[3]، ولما كان الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– قد قضى بعض حياته في الأندلس والأخرى في مصر، ارتأت الباحثة تقسيم الحالة الإجتماعية والاقتصادية التي عاصرها القرطبي –رحمه الله تعالى– في البلدين على النحو الآتي:

1- الحالة الاجتماعية والحالة الاقتصادية في الأندلس

1 انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج13، ص3، 20، 190-192، 229. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808 هـ)، **تاريخ ابن خلدون**، دون طبعة، م5، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999م، ص392. المقريزي،**السلوك لمعرفة الملوك**، ج1، قسم 2، ص358-391.

2 انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج4، ص104.

3 القرطبي، **التذكرة**، ص 527.

إنّ المجتمع الأندلسي في عصر الموحدين كغالب المجتمعات، يتكون من طبقات: طبقة الأمراء والولاة، وطبقة الوزراء والتي تُعدّ رأس السلطة التنفيذية الحقيقية في تصريف شؤون الدولة، وتوجيه سياساتها الدخلية والخارجية[1]، ثم طبقة رؤساء الجند وقادة الجيوش "وكانت من أهم المناصب في دولة تواجه إغارة العدو على أراضيها باستمرار"[2] وطبقة القضاة والفقهاء، وكان للفقهاء مكانة خاصة في المجتمع الأندلسي فهم رجال الدين والدنيا، وقد استمدوا مكانتهم ونفوذهم من كونهم حفظة الدين وحملة الشريعة[3]، وكان للفقه رونق وجلالة في المجتمع الأندلسي حتى قال المقري في وصفه للمجتمع الأندلسي: "وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى كانوا يسمون الامير العظيم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم أرفع السمات"[4]، ثم طبقة العامة.

ولما كانت بلاد الأندلس في حياة القرطبي مليئة بالحروب والمعارك الطاحنة بين النصارى والمسلمين، وبين المسلمين بعضهم مع بعض، نجد في كتب القرطبي بعض الوقفات مع مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن ذلك بيانه لحالة التقاعس عن الجهاد إلى الدّعة من قبل المسلمين في زمانه، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى: " وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[البقرة: 216] يذكر أنه قيل في أن معنى "عسى" في الآية: إيجاب من الله، والمعنى "عسى" ان تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً، وعسى أن تحبوا الدّعة وترك القتال وهو

---

1 انظر: أشباخ، يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ج2**، ص234.

2 عنان، محمد، **نهاية الاندلس،** ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987م ص443.

3 انظر: دندش، عصمت، **الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،** ط1، دار الغرب الاسلامي، غير معروف البلد، 1988م، ص272. الكبيسي، خليل، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة،** ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 2004م، ص104-105

4 المقري، أحمد بن محمد (ت1041 هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** بدون طبعة، ج1، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1988م، ص221.

شرٌّ لكم في أنكم تُغْلبون وتُذلّون ويذهب أمركم"[1]، وهنا يعلق القرطبي على هذا بقوله: "قلتُ: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد؟ وأسر وقتل وسبي واسترقَّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قدمته أيدينا وكسبته"[2].

فبين القرطبي –رحمه الله تعالى– أن تسلط العدو على ديار المسلمين إنما كان بسبب الذنوب وانتشار الباطل وعدم التناهي عن المنكر وترك التوبة والاستغفار، وهو ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنيين سبيلاً" [النساء: 141] فقال: "وإن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلا أن يتواصوا بالباطل، ولا يتناهوا عن المنكر، ويتقاعسوا عن التوبة، فيكون تسليط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ " [الشورى: 30] قلتُ ويدل عليه قوله –عليه السلام– في حديث ثوبان[3] :[حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً]"[4].

ثم دلّل على ذلك بما وقع في زمانه بين المسلمين فقال: "وقد وُجد في هذه الأزمان بالفتن الواقعة بين المسلمين، فغلظت شوكة الكافرين واستولوا على بلاد المسلمين، حتى لم يبق من الإسلام إلاّ أقلّه؛ فنسأل الله أن يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه"[5].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج3، ص417.

2 المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص417–418.

3 هو ثوبان بن جحدر أبو عبدالله، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبي في أرض الحجاز فاشتراه وأعتقه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه الكثير من العلم. انظر: الذهبي، **السير**، ج3، ص15–18.

4 القرطبي، **الجامع**، ج7، ص188. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم (2889)، ص713.

5 القرطبي، **الجامع**، ج7، ص188.

ويظهر تأثر الإمام القرطبي الشديد بما آل إليه حال المسلمين في زمانه وظهور الفتن بينهم حتى ضاعت عليهم أرضهم وديارهم، ولذا نجده كثيراً ما يحكي المُشاهد من ذلك في زمانه من خلال تفسيره لبعض الآيات في العديد من سور القرآن بحيث يكررها في مواضع مختلفة من القرآن، حينما تحرك تلك الآيات مواجعه وتصورها له بما يوافق واقعه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض" [الأنعام: 65]، فبعد أن نقل القرطبي ما قيل من أن هذه الآية تخص أهل الصلاة[1] علق على ذلك بقوله: "قلتُ: وهو الصحيح، فإنه المشاهدُ في الوجود، فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضاً، واستباحة بعضنا أموال البعض. نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن"[2].

كما بّين أنّ الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة كانت السبب في ذل وانهزام العدد الكبير من المسلمين أمام العدد القليل من الأعداء فقال القرطبي –رحمه الله تعالى– بعد أن بيّن الهدف من قوله تعالى: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين" [البقرة: 249]؛ وهو التحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه: "قلتُ: هكذا يجب علينا نحن أنْ نفعل، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكثير منّا قدّام اليسير من العدو، كما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا"[3].

كما بين القرطبي بأن أسباب النصر معدومه في زمانه بسبب ظهور الفساد وانتشاره فقال: "فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غيرُ موجودة فينا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون على ما أصابنا وحلّ بنا! بل

---

1 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج8، ص414.

2 القرطبي، **الجامع**، ج8، ص415.

3 القرطبي، **الجامع**، ج4، ص245.

لم يبق من الإسلام إلاّ ذكره، ولا من الدين إلا رسمه، لظهور الفساد، ولكثرة الطغيان، وقلة الرشاد، وحتى استولى العدو شرقاً وغرباً براً وبحراً، وعمّت الفتن وعظُمت المحن، ولا عاصم إلاّ من رحم!"[1].

وقد ذكر القرطبي في كتابه "التذكرة" كثرة سبي العدو للنساء في بلاده، وانتشار الأرامل بسبب كثرة قتل الرجال في الملاحم، فقال فيما يكون من اشراط الساعة: "حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد الذي يسوسهن ويقوم عليهم من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا عندنا أو قريباً منه بالأندلس"[2].

وأمّا من الناحية الاقتصادية في الأندلس فقد تقدمت الزراعة والصناعة والتجارة في عصر الموحدين، فازدهرت الزراعة في عصرهم، وتنوعت المحاصيل وانتشرت الصناعة سواء الحربية أو المدنية؛ مثل صناعة الصوف والحرير والصناعات الجلدية وصناعة الورق، وازدهرت التجارة، وكانت ثغور الأندلس من أعظم مراكز التجارة الخارجية في ذلك العصر[3].إلاّ أن ذلك التقدم والإزدهار كان في أيام عنفوان الدولة الموحدة في الأندلس، أما ما بين عامي 620 و 650 هـ وعقب انهيار الحكم الموحدي كانت هذه الفترة من تاريخ الأندلس مليئة بالأزمات الاقتصادية، وأهوال الغلاء والجوع والحرمان بسبب الحروب الأهلية، وغزوات النصارى لبلاد الأندلس[4].

2- الحالة الإجتماعية والاقتصادية في مصر:

---

1 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

2 القرطبي، **التذكرة**، ص532.

3 انظر: أشباخ، **تاريخ الاندلس**، ص252. عنان، محمد، **نهاية الأندلس**، ص 439، عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ص626.

4 انظر: المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647 هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، ج1، (تحقيق: صلاح الدين الهواري)، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص119-120. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ص626-627.

إنّ الحالة الإجتماعية في مصر لا تختلف كثيراً عنها في الأندلس في عصر الإمام القرطبي من حيث طبقات المجتمع[1]، إلاّ أنّ الشعب كان في عزلة عن حكامه، ولم يكن له دخل في السياستين الداخلية والخارجية للدولة[2]. ولذا كان لعلماء الدين خاصة الفقهاء منهم والمتصوفين الحكم الروحي –غير الرسمي– للشعب، ويساعدونهم على بلوغ المرتبة الاجتماعية التي يريدها كل فرد منهم لنفسه وعشيرته[3]، ولمّا كان القرطبي –رحمه الله تعالى– من المعاصرين لفترة من عمر الدولتين الأيوبية والمملوكية، فقد أفصح عن رأيه في سلاطين المماليك وما جلبوه لمصر من الفساد والإرهاب والبطش[4]، فعند تفسيره لقوله تعالى: "وإذا بطشتم بطشتم جبّارين" [الشعراء: 130] وبعد ذكره لأوصاف البطش بقوله: والبطش يكون باليد، وأقله الوكز والدفع، ويليه السوط والعصا، ويليه الحديد، والكل مذموم إلا بحق... وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة لا سيّما بالديار المصرية منذ وليتها البحرية[5] فيبطشون بالناس بالسوط والعصا بغير حق"[6].

كما شكا من أكل أمراء زمانه أموال الناس بالباطل[7]، وبيّن القرطبي انتشار الرشوة في عصره بين الناس وعند الحكّام، فعند قوله تعالى: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً

---

1 انظر: المقزيزي، **الخطط**، ج2، ص220–227، حمزة، عبد اللطيف، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، دون طبعة، دار الفكر العربي، غير معروف البلد، ص66–67.

2 انظر: حمزة، **الحركة الفكرية في مصر**، ص67.

3 المرجع نفسه، ص68.

4 انظر في فساد المماليك وبطشهم: المقزيزي، **السلوك**، ج1، القسم الثاني، ص380، 437.

5 هم جماعة من الأتراك المماليك اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعلهم بطانته، وسبب تسميتهم "البحرية" أن التجار جلبوهم في البحر من بلادهم. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص191–192.

6 القرطبي، **الجامع**، ج16، ص58.

7 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج9، ص283.

من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون" [البقرة: 188] قال القرطبي –رحمه الله تعالى– رادّاً على من قال إنّ الحكام مظنّه الرُّشا إلاّ من عصم: "قلتُ: فالحكام اليوم عينُ الرُّشا لا مظنته، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1].

وأكد أن هذا من فعلهم في موضع أخر من تفسيره فقال عند قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنّ كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل" [التوبة: 34] قيل كانوا يأخذون من غلاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع، وقيل: كانوا يرتشون الحكام كما يفعله اليوم كثيرٌ من الولاة والحّكام"[2].

كما تحدث الإمام القرطبي عن بعض مشاهداته في مجتمعه وما يقع فيه من مظاهر اجتماعية وما يتم فيه من تكالب بعض الناس على الاشتغال بالدنيا، والاهتمام بها حتى ينسى عند الاحتضار أن يذكر الشهادتين عند تلقينهما إياه، فيقول القرطبي: "ولقد رأيت بعض الحُساب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب، وقيل لآخر قُل: لا إله إلاّ الله فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والجنان الفلاني اعملوا فيها كذا، نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه"[3].

وبين وجود التبرج في نساء عصره فقال بعد أن ذكر التأويل الثاني لقوله صلى الله عليه وسلم [كاسيات عاريات] أنهن كاسيات من الثياب عاريات من التقوى "قلتُ: هذا التأويل أصح التأويلين، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان، وخاصة الشباب، فإنهن يتزين ويخرجن متبرجات؛ فهن كاسيات بالثياب،

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج3، ص227.
2 القرطبي، **الجامع**، ج15، ص181.
3 القرطبي، **التذكرة**، ص33.

عاريات من التقوى: حقيقة، ظاهراً وباطناً، حيث تُبدي زينتها ولا تبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهن، وذلك مشاهد في الوجود منهن، فلو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك، ولم يعلم أحد ما هنالك"[1].

وذكر بأن هذا التبرج لدى النساء من المنكر الفاشي في زمانه قال: "وهذا من المنكر الفاشي في زمننا هذا، نعوذ بالله من سخطه"[2].

والذي يظهر أن انتشار هذا التبرج لدى النساء أدى إلى ظهور الزنا وشرب الخمر وغيره من المنكرات، وهو ما أكده الإمام القرطبي في كتابه "التذكرة" فقال: "وأمّا ظهور الزنا، فذلك مشهور في كثير من الديار المصرية، من ذلك مأثور، ومن ذلك إظهار الخمر والماخور[3] نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن"[4].

ثم بين كذلك شيوع قلة العلم وكثرة الجهل في البلاد فقال: "وأمّا قلة العلم وكثرة الجهل، فذلك شائع في جميع البلاد ذائعٌ أعني برفع العلم وقلة ترك العمل به"[5].

كما نبه على وجود انحراف في نوايا بعض طلبة العلم في عصره، فقال بعد نقله لقول الإمام مالك[6] (ما في زماننا شيءٌ أقل من الإنصاف) "قلتُ: هذا في زمن مالك، فكيف في زماننا اليوم الذي عمّ فيه الفساد

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج15، النور، آية رقم 60، ص342.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء، الفرقان، آية رقم 20، ص389.

3 الماخور: "بيت الريبة، ومن يلي ذلك البيت ويقود إليه". الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، م1، ص473.

4 القرطبي، **التذكرة**، ص533.

5 القرطبي، **التذكرة**، ص533.

6 مالك ابن أنس بن مالك الأصبحي، أبوعبدالله، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وتنسب اليه المالكية، مولده ووفاته في المدينة ولد سنة ثلاث وتسعون وتوفي سنة تسع وسبعون ومائة. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت1396 هـ)، **الأعلام**، ط8، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م، ص257.

وكثر فيه الطّغام[1]، وطلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا، وغلبة الأقران بالمراء والجدال"[2]. ومن المظاهر الاجتماعية المنتشرة في مجتمعه عقوق الوالدين، فقال عند بيانه لمعنى قوله صلى الله عليه وسلم [أن تلد الأمة ربتها][3] "قيل: المراد أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب. قلت: "وهذا ظاهرٌ في الوجود من غير نكير مستفيض وشهير"[4].

وأما من الناحية الاقتصادية فكان من أهم موارد الدولة في العصر الأيوبي والمملوكي الزراعة والصناعة والتجارة، وكان من أهم الصناعات في مصر صناعة القطن ونسجه، وصناعة السكر والحلوى باختلاف أشكالها وأنواعها. أمّا التجارة المصرية فكانت على نوعين داخلية وخارجية بلغت بها مصر أهمية تجارية عظيمة[5] إلاّ أنه نتيجة للحروب الصليبية في بلاد الشام؛ كان على مصر أن تموّن الشام، وتمد الجيوش بكل ما تحتاجه إليه من مال وطعام، حتى ابتليت في كثير من سني الحرب بمجاعات كانت تودي بحياة آلاف الناس[6]، وفي سنة 662هـ ارتفعت بمصر أسعار القمح والشعير واللحم، وانتشر الفقر، وانعدم الخبز حتى بدأ الناس يأكلون أوراق الأشجار، ويخرجون إلى الأرياف ليأكلوا عروق الفول الأخضر، بيْدَ أن السلطان الظاهر سرعان ما أوجد الحلول للقضاء على هذا الفقر والحاجة، حتى تلاشت الأزمة الاقتصادية، وارتفعت الغمة عن العباد، وانخفضت الأسعار في البلاد[7].

---

1 الطّغام: هم أوغاد الناس. انظر: الفيروز ابادي، **القاموس المحيط**، ج1، ص1463.

2 القرطبي، **الجامع**، ج1، البقرة، آية رقم 32، ص427. هذا مع ضرورة عدم الجزم بما في نوايا البشر.

3 الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والاحسان، ج1، حديث رقم (8)، ص22.

4 القرطبي، **التذكرة**، ص536.

5 انظر: حمزة، **الحركة الفكرية في مصر**، ص64-66.

6 انظر: الكيلاني، محمد، **الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص 38-39. علي محمود، **الغزو الصليبي والعالم الاسلامي**، ط2، مكتبة عكاظ، السعودية، 1982م، ص232-233.

7 انظر: المقزيزي، **السلوك**، ج1، القسم الثاني، ص507.

وبعد استعراضنا لمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الإمام القرطبي، وبيان موقفه الجليل في نقد الظواهر الاجتماعية والسياسية التي كانت ظاهرة في المجتمع الإسلامي إذ ذاك، وعلى الرغم مما وصفه من بطش الحكام وانتشار الفساد والرشوة وتبرج النساء في المجتمع؛ إلاّ اننا لا نميل إلى القول بأن نظام الإسلام كان مفقوداً فقداناً تاماً من حياة المسلمين، فهو مجتمع مكون من مجموعات بشرية تتصف بالجهل والضعف والعجز، تتجاذبه الأهوال والميول والرغبات، إلاّ أنّ الإسلام هو الذي كان يسود في معظم شؤون حياة المسلمين في ذاك العصر، واستشعار الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى – لواجبه نحو ربه وأمته دفعه إلى استنكار كل ما هو منكر في زمنه، وهو ما ظهر في مؤلفاته، منها ما ألفه لحث المسلمين إلى كسب الحلال والعمل والسعي وراء الرزق في كتاب سماه: "قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة". فيا ترى كيف سيصف الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– لو قدر له أن يعيش حياتنا المعاصرة وما ظهر فيها من الفساد في البر والبحر؟!

ثالثاً:الحالة العلمية:

كان عصر الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– مليئاً بالاضطرابات والحروب والهجمات الشرسة على بلاد المسلمين في المشرق والمغرب من قبل النصارى والمغول – كما سبق ذكره، وقد قُتل خلال ذلك عدد من العلماء، ورحل آخرون عن بلادهم، ودُمرت المساجد والمكتبات، حتى ألقى المغول مكتبة بغداد في نهر الفرات حتى تغير لونه[1]. ولكن مع ذلك فقد كانت بيئة القرطبي وبلاده التي عاش فيها أو انتقل إليها بيئة علمية مزدهرة وبيانها الآتي: –

1– الحالة العلمية في الأندلس:

عرفت الأندلس – التي عاش فيها القرطبي بداية حياته وتعلم في دور العلم فيها، ولازم مجالس علمائها، بأنها بلد العلم والأدب، شجع على ذلك اهتمام غالب حكامها بالعلم وتشجيعهم عليه، واهتمامهم بإنشاء المكتبات وتشييدها، وجمع الكتب لها[2]، فهذا "الحاكم المستنصر بالله" المتوفي سنة 366هـ كون مكتبة عظيمة جمع لها الكتب من شتى البلاد، وكان محباً للعلم مكرماً لأهله ومشجعاً عليه يجمع الكتب بأنواعها، بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله"[3].

وفي حكم المرابطين كان يوسف بن تاشفين محباً للعلم، مقرباً لأهله، قال عنه المراكشي[4]: "فانقطع إلى أمير المؤمنين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر

---

1 الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج4، ص160.

2 إبراهيم، حسن، **تاريخ الاسلام**، ج4، ص209–212.

3 انظر: المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،، ج1، ص385.

4 هو عبد الواحد بن علي المراكشي، المالكي، مؤرخ نشأ في مراكش وتعلم في أفريقية والأندلس، توفي سنة سبع وأربعين وستمائة. انظر: البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية العارفين**، دون طبعة، م1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، ص635. عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، ط1، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص334.

دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب، وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"[1]. واستمر ذلك في دولة الموحدين، وهي التي قامت على أساس العلم، وعلى يد من انتسب إليه وهو عبد الله بن تومرت[2]. وسار على دربه في العلم الخلفاء من بعده؛ فيوسف بن عبد المؤمن كون مكتبة كبيرة جمع فيها من أصناف الكتب ما فاق به من قبله، قال المراكشي: " ولم يزل – يعني يوسف بن عبد المؤمن – يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب[3]. ولذا أصبحت الأندلس من أعظم بلاد المسلمين في الحركة العلمية، مما جعل العلماء وطلبة العلم يقصدونها لهذا الغرض، خصوصاً قرطبة، وهي بلد القرطبي التي تميزت بذلك، واشتهرت فصارت مدينة العلم في بلاد الأندلس، قال المقري عنها: " هي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب"[4].

2- الحالة العلمية في مصر:

إذا نظرنا إلى مصر، حيث قضى – فيها القرطبي بقية عمره- رأيناها قد ازدهرت بالعلم، واكتظت بالعلماء، فالنكبات التي توالت على بلاد المسلمين جعلت عدداً كبيراً من العلماء يرحلون إليها، ويستقرون

---

1 المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ج1، ص123.

2 سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه، فبيّن أنه تعلم العلم، ثم جاء إلى قوم من البربر لا يعرفون شرائع الإسلام، فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغيرها من شرائع الدين، ولكنه استجاز الكذب عليهم، وأظهر المخاريق ليعتقدوا بولايته وأنه المهدي، كما استحل دماء أهل السنة والجماعة في المغرب، وبيّن أنه قد وافق عقائد المعطلة والفلاسفة. انظر: ابن تيميه، محمد بن عبد الحليم (ت728 هـ)، **مجموع الفتاوى**، ج11، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 2004م، ص478. ابن تيميه، **درء تعارض العقل والنقل**، ط2، ج5، (تحقيق علي الدخيل)، دار العاصمة، الرياض، ص20.

3 المراكشي، **المعجب**، ج1، ص176.

4 المقرّي، **نفح الطيب**، ج1، ص462.

فيها، منهم أبو العباس القرطبي[1]، وتلميذه القرطبي المفسر، وابن مالك النحوي[2] وغيرهم، خصوصاً بعد سقوط عامة بلاد الأندلس في يد النصارى، وسقوط غالب بلاد المسلمين في يد التتار، وبهذا انتقل النشاط العلمي من المشرق والمغرب إلى مصر. هذا مع حرص العلماء على تعويض الخسارة العلمية التي لحقت بالأمة الإسلامية من آثار غزو التتار لبلاد الإسلام وإتلافهم لنتاجهم العلمي. لذا فقد انتشرت المدارس في عهد الأيوبين وبعدهم[3]، حتى قيل إنه لما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء غير المدارس[4]؛ "فبلغت المدارس في القاهرة وحدها سنة 600 هـ ثلاث عشرة مدرسة، ثم تضاعف هذا العدد في زمن المماليك"[5].

هذا بالإضافة إلى كثرة المكتبات الزاخرة بأمهات الكتب في شتى فنون المعرفة، ولا غرابة في ذلك إذ كان الحكام يشجعون على العلم، ويهتمون بنشره، وتقريب أهله. قال المقريزي[6] عن الملك الكامل: "وكان يحب

---

1 |هو أحمد بن عمر القرطبي، أبو العباس المالكي، المحدّث، ولد بقرطبة سنة سبع وثمانون وحدّث بها وبمصر، شرح مختصر مسلم وسماه "المُفهم"، كان بارعاً بالفقه والعربية وعارفاً بالحديث، توفي بالاسكندرية سنة ست وخمسين وستمائة". الصفدي، خليل بن أيبك (ت764 هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط2، ج7، (تحقيق شكري فيصل)، دار صادر، بيروت، 1991م، ص265.

2 "هو جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي، نحوي أديب، مقرئ، من آثاره: "الألفية في النحو"، "مختصرات الشاطبية"، توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة". ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج13، ص283.

3 انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج2، ص343.

4 انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج7، ص206.

5 زكي، عبد الرحمن ، **القاهرة تاريخها وآثارها**، دون طبعة، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م، ص73.

6 هو أحمد بن علي المصري، مؤرخ محدّث، فقيه، حنفي المذهب، له مؤلفات كثيرة منها: "الخبر عن البشر"، "كتاب النقود"، توفي بالقاهرة سنة خمسُ وثمانين وثمانمئة. انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج9، ص370.

أهل العلم، ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوي. وكان يناظر العلماء، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب قدّمه وحظي عنده"[1].

وبالجملة فالحالة العلمية في الأندلس ومصر في عصر الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى- تميزت بالازدهار والنشاط وكثرة المكتبات ودور العلم. وأعظم ما يدل على هذه الحركة العلمية كثرة العلماء الأعلام في هذا العصر، سواء في المشرق أو المغرب، وغزارة نتاجهم العلمي الذي حُفِظ لنا، فمنهم: ابن الجوزي توفي سنة 597هـ[2]، والفخر الرازي توفي سنة 606هـ[3]، وابن قدامة المقدسي توفي سنة 620هـ[4]، وابن الأثير الأثير الجزري توفي سنة 630هـ[5]، والعز بن عبد السلام[6] توفي سنة 660هـ، وابن مالك النحوي[7] توفي سنة سنة 672هـ، والقرطبي المفسر توفي سنة 672هـ.

1 المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، قسم1، ص299.

2 هو عبد الرحمن بن علي البغدادي، الحنبلي، أبو الفرج بن الجوزي، الحافظ، الواعظ، صاحب التصنيفات الكثيرة، من آثاره: "زاد المسير في علم التفسير، ""تلبيس إبليس" وغيرها كثير، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج21، ص365. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911 هـ)، **طبقات الحفاظ**، ط1، (تحقيق لجنة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1973م، ص480 .

3 هو محمد بن عمر البكري الطبرستاني، الشافعي المشهور بالفخر الرازي، مفسر، أصولي، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصنيفات العديدة في مختلف الفنون منها: "أسرار التنزيل وأنوار التأويل"، و"المحصول" في أصول الفقه، توفي سنة ست وستمائة. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج4، ص248-252.

4 هو عبد الله بن أحمد المقدسي الدمشقي، الحنبلي، فقيه، مجتهد من أعيان الحنابلة، من مصنفاته "المغنى" في الفقه الحنبلي الحنبلي و"البرهان في علوم القرآن"، توفي بدمشق سنة عشرين وستمائة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج22، 165. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج13، ص107.

5 تمت ترجمته في ص25.

6 هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الشافعي، المجاهد، شيخ الشافعية في عصره، من آثاره: "القواعد الكبرى والصغرى" توفي في مصر سنة ستين وستمائة. انظر: الزركلي، **الأعلام**، **ج4**، ص21.

7 سبقت ترجمته في ص41.

المطلب الثاني: حياة القرطبي

رغم قلة المعلومات الخاصة بترجمة الإمام القرطبي، وما يتعلق منها بمراحل حياته العلمية والعملية، إلا أن البحث اعتمد على النزر اليسير منها والموجود في كتب التراجم، واستنباط ما يتعلق بترجمته من كتبه[1].

أولاً: اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي[2]. أمّا الأنصاري فنسبة إلى الأنصار – رضي الله عنهم – إذ قد هاجر منهم أناس إلى المغرب واستقروا هناك. وأمّا القرطبي فنسبة إلى مدينة قرطبة[3] التي عاش فيها الشطر الأول من حياته. وأمّا الأندلسي فنسبة إلى الأندلس.

---

1 انظر: القصبي، محمود زلط، **القرطبي ومنهجه في التفسير**، بدون طبعة، دار الأنصار، القاهرة، 1979م، ص6 . مزيد، أحمد، **منهج الإمام القرطبي في أصول الدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1412هـ، ص39 .

2 انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج15، ص229 . ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت799 هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، بدون طبعة، ج1، (تحقيق محمد أبو النور)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص308 .

3 ينسب إلى هذه المدينة عدد كبير من العلماء كابن عبد البر القرطبي وأبي عبد الله القرطبي، صاحب التفسير، وغيرهم، وقد عرفت باهتمامها بالعلم، ومما يدل على ذلك قول أبي الوليد ابن رشد لابن زهر في تفضيلها: ما أدري ما تقول، غير أنّه إذا مات عالمٌ بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، قال: وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً. انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص155.

ثانياً: مولده ونشأته:

لم تذكر المصادر تاريخ ولادة الإمام القرطبي، والراجح أنه ولد في مدينة قرطبة، والتي كانت قاعدة الأندلس وقطبها، وأم مدائنها ومساكنها، ومستقر السنة والجماعة، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهل قرطبة أشد الناس اعتناءً بالكتب[1]. وقد رجح بعض الباحثين أنه ولد في نهاية القرن السادس أو بداية السابع[2]. وعاش الفترة الأولى من حياته في قرطبة، حيث نشأ في أسرة متواضعة، في كنف والده المزارع الذي قتله النصارى وهو يقوم بالحصاد[3].

وقد قال القرطبي –رحمه الله تعالى– عن فترة شبابه: "ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلطت بعظام من هناك ولحومهم وشعورهم وأبشارهم... إلى الذين يصنعون القرمد للسقوف"[4].

ثم انتقل القرطبي إلى مصر، ولم تذكر المصادر متى انتقل إلى مصر، أو الأسباب التي دعته إلى الانتقال إلى مصر، إلا أن الراجح أنه انتقل إلى مصر ما بين عامي 628 و637هـ[5]، حيث صرّح بأنه قرأ حديثاً على أحد شيوخه في قرطبة في ربيع الآخر عام 628 هـ[6]، كما صرّح أنه سمع من شيخه أبي محمد عبد المعطي بالإسكندرية فقال القرطبي: "سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالمعطي بثغر الإسكندرية"[7].

---

1 انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص459–462 .

2 انظر: القصبي، **القرطبي ومنهجه في التفسير**، ص8 .

3 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 169–170، ص412 .

4 القرطبي، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، ص24.

5 انظر: أحمد مزيد، **منهج الإمام القرطبي في أصول الدين**، ص32.

6 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج4، البقرة، آية رقم 245، ص 237.

7 انظر: المصدر نفسه، ج13، الكهف، آية رقم 50، ص303.

ثالثاً: تراثه الفكري والعلمي:

1- حياته العلمية

نشأ الإمام القرطبي في مدينة قرطبة المشهورة بكثرة علمائها ووفرة تصانيفها[1]. وتلقى العلم على مشايخ عصره بالأندلس ثم بمصر، حيث تلقى عنهم القرآن بالروايات السبع، والحديث وشروحه، حتى أصبح إماماً متفننا متبحرا في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه[2]. ومما يدل على حرصه على تلقي العلم ما ذكره من قصة وفاة والده، فقال: " العدو إذا صبّح قوماً في منزلهم ولم يعلموا به، فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك، أو حكم سائر الموتى؟ وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة – أعادها الله – "[3] وهنا يتبين من سؤال القرطبي في هذه المسألة مدى اهتمامه بالأحكام الفقهية ومعرفة حكم النوازل، ثم شرع رحمه الله تعالى في بيان تفاصيل المسألة ووقائعها فقال: " أغار العدو – قصمه الله – صبيحة الثالث من رمضان المعظم، سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في أجرانهم[4] على غفلة، فقتل وأسر، وكان من جملة من قُتل والدي – رحمه الله – فسألت شيخنا المقري، الأستاذ أبا جعفر أحمد، المعروف بأبي حجة فقال: غسله وصلّ عليه، فإن أباك لم يُقتل في المعترك بين الصّفين، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبيّ، فقال: إنّ حكمه حكم القتلى في المعترك، ثم سألت قاضي الجماعة، أبا الحسن علي بن قطرال، وحوله

---

1 انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص459-461 .

2 انظر: المراكشي، محمد بن محمد (ت703 هـ)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ط1، م3، (السفر الخامس)، (تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص495. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج15، ص229.

3 القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 169-170، ص412.

4 "الجرن": هو موضع تجفيف التمر، وهو كالبيدر للحنطة، ويُجمع على جُرن. انظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت606 (ت606 هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط1، دار ابن الجوزي، الرياض، 1421هـ، ص149.

جماعة من الفقهاء، فقالوا: غسله وكفنه وصلّ عليه ففعلت."[1] وممّا يدل على حرصه على تحصيل العلم كذلك ما سنبينه تالياً في ثناء العلماء عليه ووصفه بأنه كثير المطالعة.

2- مؤلفاته

خلف الإمام القرطبي تراثا عظيما في فنون مختلفة، انتفعت به الأمة وبقيت شاهدة على مكانته العلمية، ومن هذه المؤلفات:

أ- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

أشار إلى هذا الكتاب كثير ممن ترجم للإمام القرطبي[2]، كما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته مصرحاً باسمه، فقال في مسألة الاستواء: "وقد بينا أقوال العلماء فيها في "الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى"[3].

ب- التذكار في أفضل الأذكار.

ذكر هذا الكتاب كثير ممن ترجم للإمام القرطبي[4]، وقال عنه ابن فرحون[5]: "وضعه على طريقة التبيان للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً"[6].

ت- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

أشار إلى هذا الكتاب أغلب من ترجم للإمام القرطبي[1]، وذكره الإمام القرطبي في عدة مواضع من تفسيره الجامع وأحال إليه[2]، وقال فيه ابن مخلوف: "والتذكرة في أحوال الآخرة في مجلدين كتاب ليس ليس له مثيل في بابه"[3].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 169-170، ص412.

2 انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. القري، **نفح الطيب**، ج2، ص210.

3 القرطبي، **الجامع**، ج9، ص238. ،391. القرطبي، **التذكرة**، ص444

4 انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج5، ص.335 المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص210.

5 هو إبراهيم بن على المالكي المدني، ولد سنة تسع وسبعمائة، وُلي قضاء المدينة، من مصنفاته: "الديباج المذهب في علماء المذهب" وغيرها كثير، توفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة. انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج6، ص357. عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، ج1، ص68.

6 ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380.

ث- قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة.

أشار إلى هذا الكتاب بعض الذين ترجموا للقرطبي[4]، وقد أشار إليه القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسيره[5] وفي كتابه التذكرة[6].

ج- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن السنة وآي الفرقان.

ذكره جميع من ترجم للقرطبي[7]، وذكره القرطبي في مقدمة تفسيره قائلاً: "وسميته الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن السنة وآي الفرقان، جعله الله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالدي ومن أراده بمنه إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، آمين"[8]

ح- الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

أشار القرطبي -رحمه الله تعالى- إلى هذا الكتاب في كتابه الجامع في أكثر من موضع[9].

خ- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

اتفق جميع من ترجم للامام القرطبي من المتقدمين على عدم ذكر هذا الكتاب من مؤلفاته، وقيل إن أسلوب مؤلف كتاب "الإعلام" غير أسلوب مفسر القرآن[10]، ولذا يعد هذا الكتاب من الكتب المنسوبة للامام القرطبي مع عدم الجزم بنسبته إليه.

---

1 انظر: الذهبي، **تاريخ الاسلام**، ج15، ص229-230. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2، ص122. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. مخلوف، محمد بن محمد، (ت1360هـ)، **شجرة النور الزكية**، ط1، ج1، (تحقيق عبدالمجيد خيالي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص282.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج 13، الكهف، آية رقم 48، ص296.

3 مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج1، ص282.

4 ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. الداوودي، محمد بن علي (ت945هـ) **طبقات المفسرين**، ط1، ج2، (تحقيق جماعة من العلماء) دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص70.

5 انظر القرطبي، **الجامع**، ج6 ، النساء، آية رقم 32، ص273. ج15، الفرقان، آية رقم 20، ص387.

6 انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص265.

7 انظر: الذهبي، **تاريخ الاسلام**، ج15، ص229-230. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص210. مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج1، ص282.

8 القرطبي، **الجامع**، ج1 ، ص8. وانظر القرطبي، **التذكرة**، ص470.

9 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج18، ص، آية رقم 45-47، ص224.

10 انظر كلام محقق كتاب الإعلام في: القرطبي، محمد بن أحمد (ت671هـ)، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**، ، دون طبعة، ج1، (تحقيق احمد السقا)، دار التراث العربي، القاهرة، ص1.

د- الانتهاز في قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز.
أشار إلى هذا الكتاب القرطبي في كتابه "التذكار"[1].
ذ- منهج العباد ومحجة السالكين الزهاد.
ذكره الإمام القرطبي في كتابه الجامع[2].

رابعاً: شيوخه وتلاميذه:

1- شيوخه:

إن من أشهر شيوخ الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- :-

أ- أبو عامر يحيى بن ربيع الأشعري: كان علماً من أعلام الأندلس، ولي القضاء في قرطبة وغرناطة، توفي عام 640 هـ[3]، وذكره القرطبي في كتابه الجامع قائلاً: "أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث القاضي أبو عامر يحيى بن أحمد بن ربيع الأشعري نسباً ومذهباً بقرطبة، أعادها الله، في ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين وست مئة قراءة مني عليه"[4].

ب-أبو جعفر أحمد بن محمد القيسي، الملقب بابن أبي حجة، كان من الزاهدين الورعين، مقرئا ذا باع في صنعة التجويد، ومحدثاً حافظاً. توفي سنة 643هـ[5].

---

1 انظر القرطبي، محمد بن أحمد (ت 371 هـ)، **التذكار في أفضل الأذكار**، (تحقيق أحمد الغماري) دار الكتب العلمية، ص33.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج18، ص، آية رقم 44، ص222.

3 انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص358.

4 القرطبي، **الجامع**، ج4، البقرة، آية رقم 245، ص220. وانظر: القرطبي، **التذكرة**، ص460.

5 القرطبي، **الجامع**، ج10، التوبة، آية رقم 122، ص434. انظر: ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت658 هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، دون طبعة، ج1، (تحقيق عبد السلام الهرّاس)، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص108 . الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج14، ص436.

ج- ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد، تولى القضاء بقرطبة، ثم رحل إلى إشبيلية عندما دخل النصارى قرطبة وتوفي بها سنة 633هـ[1].

د- عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي، أبو الثناء اللخمي الإسكندراني، من فقهاء المالكية الزهاد الوعاظ، رحل إلى مكة وتوفي فيها عام 638 هـ[2].

هـ- أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي المقدسي، المعروف بابن رواج المالكي، من محدثي الإسكندرية الكبار، توفي بها سنة648 هـ[3].

و- أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة، اللخمي المصري الشافعي المعروف بابن الجميزي، قرأ بالقراءات العشر، وكان مسند الديار المصرية في وقته، وعليه مدار الفتوى ببلده، توفي سنة 649 هـ[4].

ز- الصدر البكري الحسن بن محمد القرشي التيمي النيسابوري الدمشقي، كان من أهل الحديث يخرّج ويصنّف، موصوفاً بالفصاحة، توفي في مصر سنة 656 هـ[5]، ذكره القرطبي في كتابه الجامع قائلاً:

---

1 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 169-170، ص413. ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص323.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، -ص303، 362، ج5، آل عمران آية رقم 125، ص329. انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج46، ص370.

3 القرطبي، **التذكرة**، ص226. انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج47، ص397 . الصفدي، صلاح الدين خليل (ت764 هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط1، ج19، (تحقيق أحمد أرناؤوط، تركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ص202.

4 انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج47، ص425-428.

5 انظر: المصدر نفسه، ج48، ص234-236. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج7، 474.

قائلاً: "قرأت على الشيخ الإمام المحدث الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية"[1].

ح- المحدّث أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبي العباس الأنصاري القرطبي، صاحب (تلخيص الصحيحين)، ولد بقرطبة سنة (578 هـ)، ثم انتقل إلى المشرق واشتهر، وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه، درس بالإسكندرية وفيها توفي سنة (656 هـ)[2].

2- تلاميذه:

لم أقف على ذكرٍ لتلاميذ القرطبي، حيث إنّ الكتب التي ترجمت للقرطبي لم تذكر له تلاميذ إلا ما ذكره السيوطي من رواية ابنه شهاب الدين أحمد عنه[3].

خامساً: ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على القرطبي، وأشادوا بجهوده ومؤلفاته وفائدتها العظيمة، ومن ذلك: قول الحافظ الذهبي[4] عن الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- إنه: "إمام متفنن متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطّلاعه، ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكبان، وهو كامل في معناه، وله كتاب "الأسنى في الأسماء الحسنى"، وكتاب "التذكرة"، وأشياء أخرى تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه"[5].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج18، الصافات، آية رقم 180-182، ص119.

2 انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج48، ص224.

3 انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911 هـ)، **طبقات المفسرين**، ط1، (تحقيق علي عمر) مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م، ص92 .

4 "هو الحافظ شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي، صاحب التصانيف الكثيرة، منها "تاريخ الإسلام"، "سير أعلام النبلاء"، توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة". الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2، ص168.

5 الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج15، ص229-230.

وقال المراكشي عنه: "كان من أهل العلم بالحديث والاعتناء التام بروايته"[1].

وقال عنه ابن فرحون: "كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف. جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وله شرح أسماء الله الحسنى في مجلدين سماه: "الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى"، وكتاب "التذكار في أفضل الأذكار"، وضعه على طريقة التبيان للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً، وكتاب "التذكرة بأمور الآخرة" مجلدين، وكتاب "شرح التقصي"، وكتاب "قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة"، لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه، وكان قد اطرح التكلف يمشي – بثوب واحد وعلى رأسه طاقية"[2].

وقال عنه محمد بن محمد مخلوف[3]: " الإمام الجليل الفاضل الفقيه المفسر المحصل المحدث المتفنن الكامل، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين"[4]. كما قال فيه صاحب كتاب "شذرات الذهب" : "كان إماماً علماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف جيد النقل"[5]، والقارئ لتفسير القرطبي القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ليتبين له ما وُصف به الإمام القرطبي وذلك من خلال تفسيره للآيات،

---

1 المراكشي، **الذيل والتكملة**، ج3، ص495.

2 ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص380. المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص210. وتجدر الإشارة إلى أن ابن فرحون والمقري ذكرا اسم الكتاب الآخير "بالكتب والشفاعة" عوضاً عن "الكسب والصناعة" المذكورة عند القرطبي.

3 هو محمد بن عمر مخلوف، عالم بتراجم المالكية، شغل الإفتاء، توفي في تونس سنة (1360 هـ)، له مصنفات منها: "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص82.

4 مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، ص282.

5 ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج5، ص335.

واستنباطه للأحكام الفقهية منها، وتخريجه للأحاديث والمرويات، وما يتخلل كل ذلك من مواعظ وعِبر، فهو رحمه الله تعالى كما قيل فيه رجل موسوعي – رحمه الله تعالى– .

سادساً: وفاته:

اتفقت المصادر التي ترجمت للإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– أن وفاته كانت في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة بمنية ابن الخصيب بصعيد مصر، حيث استقر بها بعد قدومه لمصر، وتفرغ فيها للعبادة وتأليف كتبه[1].

---

1 انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص309. مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج1، ص282.

المطلب الثالث: مذهب القرطبي فقهاً وعقيدةً

أولاً: مذهب القرطبي الفقهي:

يُعدّ الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– أحد فقهاء المالكية في زمانه، ذلك أنه درس بالأندلس والمغرب، وهي بلاد يتمذهب أهلها بالمذهب المالكي، وقد قال ابن خلدون في مقدمته: "وأمّا مالك – رحمه الله تعالى – فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل."[1] فأخذ القرطبي أصول المذهب عن شيوخه، وتبحر فيه، حتى عد أحد أعلامه، وقد ساعده في ذلك تمكنه من أصول الفقه وقوته فيه. كما أن له ترجمة في كتب رجالهم[2].

والذي يلاحظ في هذا الصدد أن الإمام القرطبي رحمه الله لم يكن متعصباً لمذهبه، بل كان يأخذ بالدليل حتى لو كان ذلك على حساب خلاف مذهبه، بحثاً منه عن الصواب، سالكاً في ذلك طريق الإنصاف، حتى لو خالف في ذلك المشهور من مذهبه[3].

وأمثلة ذلك كثيرة في كتابه "التفسير" منها: عندما تعرض لقوله تعالى في سورة البقرة "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" [البقرة: 185]. نجده يعقد المسألة السابعة عشرة من المسائل التي تتعلق بهذه الآية في اختلاف العلماء في حكم صلاة عيد الفطر في اليوم الثاني فيذكر أنه لا خلاف عن مالك وأصحابه أنه لا تصلى صلاة العيد في غير يوم العيد، ويذكر عنه أيضاً أنه قال: "لو قضيت صلاة العيد بعد خروج وقتها

---

1 ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج2، ص190. المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص230.

2 انظر: ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج1، ص308. مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج1، ص282.

3 انظر: الذهبي، محمد، **التفسير والمفسرون**، بدون طبعة، ج2، مكتبة وهبة، القاهرة، ص338. سليمان، مشهور حسن، **الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير**، ط1، دار القلم، دمشق، 1993م، ص161.

لأشبهت الفرائض، وقد أجمعوا في سائر السنن أنها لا تقضى فهذه مثلها"[1]، ثم يُعقب القرطبي على هذا فيقول: "قلت: "والقول بالخروج – يعني لصلاة العيد في اليوم الثاني – إن شاء الله أصح للسنة الثابتة في ذلك، ولا يمتنع أن يستثني الشارع من السنن ما شاء، فيأمر بقضائه بعد خروج وقته"[2]، وفي هذا المثال يتضح منهج القرطبي في تناوله لقضايا الأحكام وإبدائه لرأيه في مسائلها ولو انتهى إلى عدم موافقته مذهبه المالكي، فلمّا اتخذ الاجتهاد وسيلة صار – رحمه الله تعالى – في مصافّ العلماء الذين تفرّدوا في عصورهم بما تميزوا به من اتّباع للدليل أياً كان قائله، ونبذ التقليد.

ثانياً: مذهب القرطبي العقدي

إن المتتبع لآراء القرطبي العقدية في كتبه ومؤلفاته – رحمه الله تعالى – يكاد يجزم بأن القرطبي أشعري العقيدة، فهو في تعريفه للإيمان نجده يقول بقول الأشاعرة فيه وأنه التصديق، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص[3]، وفي باب الصفات أثبت لله تعالى – من الصفات – ما أثبته الأشاعرة من قولهم بإثبات الصفات السبع لله عزوجل[4]، فقال رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى "يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج3، ص170.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص171.

3 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 173، ص423-426.

4 انظر: رأي الأشاعرة في المسألة في: الباقلاني، ابي بكر بن الطيب (ت403هـ)، **الإنصاف**، ط1، (تحقيق عماد الدين أحمد)، عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص37. الجويني، عبدالملك بن عبد الله (ت 478هـ)، **الشامل في أصول الدين**، دون طبعة، (تحقيق علي النشار)، دار المعارف، الاسكندرية، 1969م، ص621-625. الآمدي، سيف الدين، (ت 631هـ)، **غاية المرام في علم الكلام**، دون طبعة، (تحقيق حسن عبداللطيف) لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971م، ص38. الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، ص279، 290-293. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ص89، 110، 128، 138، 143. البيجوري، إبراهيم بن محمد (ت1277هـ)، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ط1، (تحقيق عبد الله الخليلي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص74-82. هاشم، يحيى **تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2007م، ص71.

ٱلۡعُسۡرَ " [البقرة:185] : "دلّت الآية على أنّ الله سبحانه وتعالى مريدٌ بإرادة قديمة أزلية زائدة على الذات هذا مذهب أهل السنة، كما أنه عالم بعلم قادر بقدره، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات"[1]، وأما ما عدا الصفات السبع فقد أوّلها[2].

كما وافق القرطبي الاشاعرة في عقيدتهم في القدر وقولهم بالكسب[3]. وقد لاحظت أن القرطبي رحمه الله تعالى يذكر في مواضع من كتبه أن الأشاعرة هم أهل الحق[4]، كما جعل علماء الاشاعرة وأئمتهم علماءه وأئمته[5].

وبعد أن تعرفنا إلى حياة الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– ومذهبه الفقهي والعقدي ننتقل إلى التعريف بكتابه الجامع لأحكام القرآن، وبالله التوفيق.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج3، ص166.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، الفاتحة، آية رقم 7، ص231، ج8، الأنعام، آية رقم 118، ص336، ج9، الأعراف، آية رقم 54، ص240. القرطبي، محمد بن احمد (ت671)، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص222–331. القرطبي، **الجامع**، ج1، ص231، ج8، ص323، ج9، ص240.

3 انظر: القرطبي **الجامع**،ج2، البقرة، آية رقم 134، ص413، ج4، البقرة، آية رقم 285–286، ص500. والكسب في اصطلاح المتكلمين: ما وقع من الفاعل مقارناً لقدرة محدثة واختيار، انظر: الأشعري، على بن إسماعيل (ت 330هـ)، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، بدون طبعة (تحقيق حمود غرابة)، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص 69. 80. البغدادي، عبدالقاهر بن ظاهر، (ت429هـ)، **أصول الدين**، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص133. الجويني، عبدالملك الجويني، (419 – 478 هـ)، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، الطبعة الأولى، (تحقيق فوقية محمود)، الدار المصرية للنشر والتوزيع، 1965م، ص 106 – 107. الغزالي، محمد بن محمد (ت 505 هـ)، **قواعد العقائد**، الطبعة الثانية، (تحقيق موسى علي)، عالم الكتب، بيروت، 1985م، ص 193 – 200. ابن تيمية، **الفتاوى**، ج 8، ص 118. الرازي، محمد بن عمر، (ت 606 هـ)، **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**، بدون طبعة، (تحقيق طه سعد)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص 194 – 199. الإيجي، **المواقف**، ص 311 – 316، النفتازاني، **شرح المقاصد**، ج 2، ص 353 – 360. البيجوري، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ص117–118. البوطي، محمد سعيد، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط 8، دار الفكر، دمشق، 1993م، ص 161 – 164.

4 انظر: القرطبي، **التذكار في أفضل الأذكار**، ص22.

5 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج2، البقرة، آية رقم 134، ص413. ج4، البقرة، آية رقم 285–286، ص431.

المبحث الثالث

التعريف بتفسير القرطبي

المطلب الأول اسم التفسير وسبب تفسيره وثناء العلماء عليه

أولا: اسم الكتاب

إن لتفسير الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- اسماً واحداً لا خلاف فيه، إذ إنه صرح في مقدمة تفسيره بتسميته له فقال: "وسميته بالجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنة وآي الفرقان"[1].

ثانياً: سبب تأليفه

كانت الرغبة الشخصية للإمام القرطبي هي السبب لتأليفه تفسيره لينفع به وينتفع به في آخرته، وقد أفصح القرطبي عن سبب تأليفه لهذا التفسير قائلاً: "وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي[2]، وعملاً صالحاً بعد موتي، قال تعالى: "يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ " [القيامة: 13]، وقال تعالى: " عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ" [الانفطار:5]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له][3].

ثالثاً: ثناء العلماء على تفسير القرطبي

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8.

2 الرّمس: الدفن، والقبر. انظر: الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، ج2، ص220.

3 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8. والحديث اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، م1، حديث رقم (1631)، ص414.

أشار لهذا الكتاب جميع من ترجم للإمام القرطبي وأثنوا عليه، فقد قال عنه الذهبي[1] –رحمه الله تعالى– "وقد سارت بتفسيره العظيم الرّكبان وهو كامل في معناه"[2]. وقال عنه ابن فرحون[3]: "جمع في تفسيره كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً"، سماه كتاب "جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن"[4]، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"[5]. وقال عنه الصفدي[6]: "وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه"[7].

1 هو ابو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي، ولد سنة 673هـ، من أبرز العلماء في التاريخ والحديث له مصنفات عديدة منها: "تذكرة الحفّاظ" و"ميزان الاعتدال"، توفي في دمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. انظر: السبكي، **طبقات الشافعية**، ج5، ص216. **دائرة المعارف الإسلامية**، ج15، ص4562–4565.

2 الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج15، ص229.

3 سبق ترجمته ص47.

4 في كتاب "الديباج" لابن فرحون جاءت كلمة (القرآن) بدلاً من كلمة (الفرقان)، والصحيح (الفرقان) كما سماه القرطبي في مقدمة تفسيره.

5 ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج3، ص309. انظر كذلك فيمن نقل كلام ابن فرحون: الداوودي، **طبقات المفسرين**، ج2، ص70. مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج1، ص282.

6 هو خليل بن ايبك الصفدي، أديب، ومؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في "صفد" بفلسطين وإليها نسبته، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، له زهاء مئتي مصنف منها: "الوافي بالوفيات" و"نكت الهميان" وغيرها كثير، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة في دمشق. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 315.

7 الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2، ص122.

المطلب الثاني: منهج القرطبي في تفسيره:

بين القرطبي –رحمه الله تعالى– منهجه في تفسيره بأنه كتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما يذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها، ومبيناً ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف"[1].

فالقرطبي يقصد أن يكون تفسيره وجيزاً، وبما أن القرطبي قد قدم الكثير مما أُثِر من تفسير للقرآن الكريم، وفتح أبواباً، وشرح مسائل كثيرة مما يعد تطويلاً لا إيجاز فيه ولا اختصار[2]؛ "إلاّ أنّ كتاب الله تعالى يتسع بيانه لأصناف ما قدمه القرطبي، ومن هذه الزاوية يمكن أن نعتبره موجزاً في تفسيره" [3].

كما بين أنه سيرد على أهل الزيغ والضلالات من أصحاب الفرق والمذاهب عند تفسيره للآيات التي تتعرض للرد عليهم، وأنه سيتشهد بالأحاديث الكثيرة، وبأقوال السلف من الصحابة والتابعين والعلماء ومن بعدهم في بيان ما أشكل من الآيات، وتوضيح الأحكام وأسباب النزول وغيرها. إلا أن تفسير القرطبي شاعت فيه المباحث اللفظية وهي الغالبة عليه ومنها ما لا حاجة إليه، ولو زيد في المقاصد الروحية لبلغ هذا التفسير الغاية من نوعه[4].

وقد أوضح القرطبي منهجه في تفسيره "الجامع" أوضح بيان، وذلك في مقدمة تفسيره، فقد اشترط القرطبي على نفسه عدة شروط أولها قوله: "وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث

---

1 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص7.

2 انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، العدد 20،البيطار، محمد بهجت، مقالة بعنوان: تفسير الإمام أبي عبدالله القرطبي، المتوفي سنة 671هـ، دمشق،1945م، ص564–565.

3 الفرت، **القرطبي المفسر**، ص142.

4 انظر: بهجة البيطار، **مجلة مجمع اللغة العربية**، العدد 20، ص565.

إلى مصنفيها"[1]، وهذا الشرط إنما يدل على نزاهة الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– وأمانته العلمية باشتراطه على نفسه أن يرد كل قول إلى صاحبه، وأن يعزو الأحاديث إلى المصنفات التي قدمتها حتى يُعرف صحيحها من سقيمها، مبيناً ما يترتب على ذلك الإجراء من البركة في العلم فقال:" ... فإنه يقال من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"[2] وقد بارك الله عزوجل في تفسير القرطبي وعلمه، وطرح فيه القبول بين الناس في جميع الأزمان حتى حظي هذا الكتاب "الجامع" بعناية كبيرة دل عليها كلام العلماء وثناؤهم على الكتاب كما ذكرنا سابقاً؛ كما أن كثرة مخطوطات هذا الكتاب تدل على حرص العلماء وطلاب العلم عليه[3].

أما شرطه الثاني في كتابه "الجامع" فقال عنه القرطبي: "وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبين"[4]، أي أنه يتغاضى عن كثير مما قدمه من سبقه من المفسرين من قصص وأخبار لا تفيد في بيان كتاب الله عزوجل؛ ولذلك استعاض عن القصص والأخبار ببيان آيات الأحكام وما تتضمنه من مسائل فقهية، واستنباط الأدلة بما يفيد القارئ في فهم كتاب الله، وما يحويه من مختلف العلوم الشرعية؛ وهو ما ذكره القرطبي ضمن شروطه في كتابه "الجامع" قائلاً : واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8. وقال المحقق لتفسير القرطبي عبدالله التركي: "لم يلتزم المصنف رحمه الله بشرطه هذا، فقد يترك ذلك في بعض الحالات". لكن المحقق لم يذكر المواضع الشاهدة على ذلك.

2 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8

3 انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص322، 341. المزيد، أحمد، **منهج الإمام القرطبي في أصول الدين**، ص55.

4 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8.

حكماً –أو حكمين فما زاد– مسائل يتبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب، والحكم؛ فإن لم تتضمن حكما، ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل هكذا إلى آخر الكتاب"[1].

وقد أكد على ذلك الشرط ابن فرحون كما بينا سابقاً عند ثنائه على كتاب القرطبي قائلاً: "هو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"[2]، ولذا كان كتاب "الجامع" للقرطبي معدوداً في كتب أحكام القرآن؛ يعني الاستنباط من القرآن على طريقة الفقهاء المجتهدين[3].

وبالجملة "فإن هذا التفسير يعد موسوعة علمية، جمع فيه القرطبي – رحمه الله تعالى– من شتى أنواع العلوم، وخص منها أحكام القرآن بالتفصيل، فبنى كتابه عليها وأفاض في مسائل الخلاف بعيداً عن أي تعصب مذهبي، فجاء كتابه "جامعاً لأحكام القرآن"[4].

وبعد أن تعرفنا إلى تفسير الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– المسمى "الجامع لأحكام القرآن"، وتعرفنا على منهجه فيه، ننتقل إلى التعرف إلى خصائص سورة الكهف، وهي مدار بحثنا، والله الموفق.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8.

2 ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج2، ص309. ولم يسقط القرطبي القصص بالمرة كما تفيده عبارة ابن فرحون بل أضرب عن كثير منها كما ذكر في مقدمة تفسيره، فهو يروي أحياناً ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلي، انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص338.

3 ذكر، محمد الذهبي كتاب "الجامع" للقرطبي تحت عنوان "تفسير الفقهاء" في كتابه، انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج2، ص319–322.

4 القرطبي، **مقدمة المحقق لكتاب الجامع**، ج1، ص10.

المبحث الرابع

التعريف بسورة الكهف

المطلب الأول: نزول سورة الكهف وسبب تسميتها وفضلها

أولاً: سبب نزول السورة

سورة الكهف سورة مكية في قول جميع المفسرين[1]، وعدد آياتها [110] آية. وترتيبها الثامنة عشرة، نزلت بعد سورة الغاشية، وهي إحدى سور خمس بُدئت بـ"الحمد لله" وهذه السور هي "الفاتحة، والأنعام والكهف وسبأ وفاطر"[2]، وإنما كان الافتتاح بالتحميد كموقع الخطبة يُفتتح بها الكلام في الغرض المهم، فكل سورة افتُتِحَت بالحمد فللإشارة إلى نعمة من أمهات النعم.[3] أما عن سبب النزول فقد وردت روايات عديدة لكنها لم تصح[4].

ثانياً: سبب التسمية

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص197.

2 انظر: أبو عمر الداني، أبو عمر الداني (ت 444هـ) **البيان في عد آي القرآن**، ط1، (تحقيق غانم الحمد)، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ص179.

3 انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، ج4، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص442. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، بدون طبعة، ج13، الدار التونسية للنشر، تونس، ص246.

4 حديث ابن عباس الطويل في سؤال أحبار اليهود ثلاثة أسئلة، قال فيه ابن حجر: "هذا حديث غريب لولا هذا المبهم لكان سنده حسناً، لكن فيه ما ينكر وهو السؤال عن الروح ونزول الآية فيها وأن ذلك وقع بمكة، والثابت بالصحيحين ان ذلك كان بالمدينة". ابن حجر العسقلاني، علي ابن أحمد (ت850هـ)، **موافقة الخُبر الخبر**، ط2، ج2، (تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي)، مكتبة الرشد، الرياض، 1993م، ص70-71.

سميت هذه السورة الكريمة بسورة الكهف، نسبة إلى الكهف الذي أوى إليه الفتية، فكان فيه نجاتهم وعصمتهم، وذلك أن الدلالة اللفظية للكهف تفيد بأنه مكان يجد فيه الإنسان الحماية من المخاوف، فناسب بذلك الدلالة السياقية حين لجأ الفتية إلى الله عزوجل فألهمهم اللجوء إلى الكهف، فكان ملجأً وأماناً لهم[1]، وكذلك لما في السورة من المعجزة الربانية في تلك القصة العجيبة الغربية قصة أصحاب الكهف؛ وتنويهاً على شرفهم، وتخليداً لذكرهم، وتقديراً لثباتهم[2].

ثالثاً: فضل سورة الكهف

ورد في فضل هذه السورة الكريمة أحاديث وآثار كثيرة؛ تدل على فضلها وتُرغّب في قراءتها وحسن تدبرها، ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِم من الدجّال][3]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: [من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين][4]، وعن النواس بن سمعان[5] عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: [... إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامْرُؤٌ

---

1 انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط16، ج4، دار الشروق، القاهرة، 1990م، ص2259. عرفات، عمر، **العلاقة بين أسماء السور القرآنية وموضوعاتها**، أطروحة دكتوراه منشورة، الجامعة الأردنية، 2015م، ص174.

2 انظر: الصابوني، محمد علي (ت 1437هـ)، ج2، **صفوة التفاسير**، دار الفكر، بيروت، ص166.

3 رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، حديث رقم (809)، ص 195.

4 رواه البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، **السنن الكبرى**، ط1، ج،3، (تحقيق محمد عطا) دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله وقراءة سورة الكهف، ص353. ورواه الحاكم في مستدركه، ج2، ص399. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

5 هو نواس بن سمعان العامري الكلابي، معدود في الشاميين، له ولأبيه صحبة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد (ت 630 هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. بدون طبعة، م1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج5، ص345. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852 هـ)، **الإصابة في تميز الصحابة**، بدون طبعة، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ص136.

حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنته...][1]

المطلب الثاني: خصائص سورة الكهف

إن أهم ما يميز سورة الكهف عن غيرها من السور هو محاور السورة وموضوعاتها المتفرّدة، حيث اشتملت السورة الكريمة على العواصم من الفتن، فهي عصمة ونجاة من الفتن المختلفة كالدنيا والشيطان[2]، ومن أعظم الفتن التي تتربص بالإنسان هي فتنة المسيح الدجّال، فكان من خواص هذه السورة الكريمة أنها جاءت عصمة من فتنته ونجاة من شره[3].

ويعتبر القصص العنصر الغالب في هذه السورة[4]، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف فتعرض نموذجاً عملياً للإيمان في النفوس المؤمنة، وتبّين لطف الله تعالى في تأمين أوليائه ومن لزم منهجه من كل المخاوف، وبعدها تجيء قصة الجنتين لتبين حقيقة الدنيا الفاتنة وأن لا يُغتر بها، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس تدعو إلى عدم الاغترار بالوعود الكاذبة والأماني الباطلة التي يُمّني بها ابليس أولياءه، وفي وسطها تجيء قصة موسى عليه السلام مع الخضر لتبين أن العلم الشرعي عصمة من الفتن، وأنه مهما أوتي العبد

---

1 رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، حديث رقم(2937)، ص 724.

2 عرفات، **العلاقة بين أسماء السور القرآنية وموضوعاتها**، ص175. مسلم، مصطفى، **التفسير الموضوعي**، ط1، م4، كلية الدراسات العليا ، جامعة الشارقة، الامارات، 2010م، ص283.

3 انظر: مسلم، مصطفى، **التفسير الموضوعي**، ج4، ص283. عبد الحميد طهماز، **العواصم من الفتن في سورة الكهف**، ط1، دار القلم، دمشق، 1987م، ص35-40.

4 قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2256.

علماً فإنه قاصرٌ أمام العلم الإلهي المطلق والشامل، وفي نهاية سورة الكهف تأتي قصة ذي القرنين داعية إلى عدم الاغترار بفتنة الملك وزينة السلطان[1].

تستغرق هذه القصص التي انفردت بها سورة الكهف عن غيرها من قصص سور القرآن معظم السورة، عِلماً أن هذه القصص الأربعة يربطها محور واحد هو أنها تجمع الفتن الأربعة في الحياة، فتنة الدين وذلك في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال في قصة أصحاب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطة في ذي القرنين[2]، وهي فتن شديدة على الناس والمحرك الرئيس لها هو الشيطان الذي يزين هذه الفتن لذا جاء قوله تعالى: " **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ..**" [الكهف: 50] في وسط السورة تنبيها على خطورته وأنه مركز الإغواء والتضليل[3]، وقصص الكهف عندما تتحدث عن الفتن؛ فإنه يأتي بعدها تعقيبٌ بالعصمة من الفتن، ولعل ذلك يُظهر أحد أوجه التعليل لبيان النبي صلى الله عليه وسلم أنّ هذه السورة تقي المؤمن من فتنة الدّجال بالإضافة إلى ندبه لقراءتها في كل جمعة[4].

فالكهف الذي يأوي إليه القارئ للسورة هو كهفٌ معنوي من عناية الله عزوجل وحفظه، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة ولو كانت مثل قطع الليل المظلم، ولذا استدل القرطبي –رحمه الله تعالى– من قوله تعالى "فأووا إلى الكهف" [الكهف: 16] على جواز العزلة وفضلها، فقال: "هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، وقد

---

1 انظر: مسلم، **التفسير الموضوعي**، ج4، ص300–301. عرفات، **العلاقة بين أسماء السور القرآنية وموضوعاتها**، ص175. قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ط11، دار الشروق، القاهرة، 1994م، ص148.

2 انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2258.

3 انظر: مسلم، **التفسير الموضوعي**، ج4، ص349.

4 انظر: المرجع نفسه، نفس الجزء، ص283،

فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس، وقد نص الله تعالى عليها في كتابه فقال: [فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ]"[1].

وهكذا فإن سياق السورة وموضوعاتها إنما يدور حول تصحيح العقيدة ومنهج النظر والفكر والقيم بميزان العقيدة[2]. فالسورة الكريمة خطّت لنا طريق النجاة من الفتن المختلفة؛ كفتنة السلطان، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال والولد، وفتنة العلم، وفتنة إبليس، وفتنة القوة والتمكين، وفتنة اتباع الأهواء والاغترار بزخرف القول، بما يتواكب مع خواص السورة وفضائلها، وعصمتها لتاليها من الفتن الحوالك[3].

أما المسائل العقدية المذكورة في سورة الكهف فهي مسألة الإيمان بالله تعالى، وتنزيهه عن الشريك والولد، وتوحيده سبحانه في عبادته وصفاته، وبيان قدرة الله تعالى المطلقة ومشيئته، وأن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله تعالى وأن مشيئة العبد تبعاً لمشيئة المولى عزوجل، كما ذكر من المسائل العقدية أيضاً إثبات العلم الإلهي المطلق الأزلي، وأن الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما اشتملت على اثبات عقيدة البعث والمعاد ثم الوقوف أمام الله تعالى بالحساب يوم القيامة، ثم الجزاء إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وهذه المسائل العقدية إنما هي مستنبطة من الأمثلة والقصص المذكورة في سورة الكهف. وإن وجود هذه المسائل العقدية تحديداً في سورة الكهف التي دعينا لقراءتها كل جمعة يعطينا دلالة؛ وهي أن العبد يتعرض ولا بد لفتن الحياة المختلفة والتي لا تخرج عن الفتن الأربع المذكورة في سورة الكهف؛ وهي فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطان. وسورة الكهف لما ذكرت سبل النجاة من هذه الفتن الأربع

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص216-217

2 انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2257.

3 انظر: مسلم، **التفسير الموضوعي**، ج4، ص302.

كانت في قراءتها كل جمعة كطوق النجاة للعبد من مغريات الحياة وفتنها، كما أن القارئ لها عندما يرى ارتباط قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر؛ حينها يرى في ظواهر أقدار الله وابتلائه ومصائبه غيباً لا يعلمه إلا الله، وحكمة إلهية تحمل في طياتها الخير والنجاة للعبد أمام جميع أنواع البلاء، فيستمد العبد من ذلك القوة على تحمل مصائب الحياة وتقلّباتها، ويستقبل أيامه بقوة وحسن ظن بالله وأقداره. وكما أن الكهف مأوى وملجأ للإنسان من الوحوش الضارية والأفات والتقلّبات، فكذلك كانت سورة الكهف عصمة ونجاة لقارئها من الفتن الأربع، فناسب أن نُدعى إلى قرائتها كل جمعة؛ لتجديد إلتجائنا إلى الله تعالى، ونجاتنا من الفتنة الكبرى، وهي فتنة الدجال.

الفصل الأول

مسائل الألوهية في سورة الكهف ومنهج القرطبي في تفسيرها

المبحث الأول

مسائل في الإيمان

المطلب الأول: تعريف الإيمان

أولاً : تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

1- الإيمان لغة:

قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب ، والآخر التصديق"[1].

وقال صاحب القاموس: "الأَمْنُ والآمِنْ كصاحب: ضد الخوف، ورجل أَمَنَة: يَأْمَنْهُ كل أحد في كل شيء. والأَمانة والأَمَنَة: ضد الخيانة وآمن إيماناً: صدّقهُ. والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة"[2].

وفي كتاب "التعريفات": " الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب"[3] .

---

1 ابن فارس، أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، بدون طبعة، ج1، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الفكر، بيروت 1979م، ص133.

2 الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، ط1، م1، (تحقيق محمد العرقسوسي)، الرسالة، بيروت، 2005م، ص1176.

3 الجرجاني، **التعريفات**، ص37.

"وأما الإيمان: فهو مصدر آمن يُؤْمِنُ إيماناً، فهو مؤمن، وأتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"[1]

فالإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف، فآمن أي صار داخلاً في الأمن، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة، كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق[2].

2- الإيمان اصطلاحاً

تعددت تعريفات الإيمان في الاصطلاح عند العلماء من أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق، ونستطيع حصرهم في ذلك إلى قسمين:

قسم الأول: يدخلون العمل في الإيمان وهم على صنفين[3]:

الصنف الأول يقولون: بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعملٌ بالأركان، وهم السلف وأهل الحديث[4]. قال الآجري[5] : " اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح...."، ثم شرع يبين تلازم هذه الخصال الثلاث في معنى الإيمان بقوله: " ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه

---

1 ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت 711هـ)، لسان العرب، دون طبعة، ج13، دار صادر، بيروت، ص23.

2 انظر: البدر، عبد الرزاق، **زيادة الإيمان ونقصانه،** ط2، كنوز اشبيليا، الرياض، 2006، ص41-42.

3 ذكر هذا التقسيم البدر، **زيادة الإيمان ونقصانه،** ط2، ص205.

4 انظر ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت 728 هـ)، **الإيمان،** ط5، (تحقيق محمد الالباني)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 137-138. ابن أبي العز، علي ابن علي (ت 79هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية،** ط1، (تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (2008م) ص 317. التفتازاني، **شرح المقاصد،** ج5، ص176. السفاريني، محمد بن أحمد (ت1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية،** ط2، ج1، منشورات الخافقين، دمشق، 1982، ص404- 406.

5 هو الإمام المحدث، أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي، صاحب التواليف منها : كتاب "**الشريعة في السنة**" وكتاب "**الرؤية**"، وغير ذلك كان صدوقاً، وخيراً، عابداً، صاحب سنة واتباع، قال الخطيب: كان ديناً ثقة له تصانيف، مات بمكة سنة ستين وثلاث مئة. انظر : الذهبي، **سير أعلام النبلاء،** ج 16، ص133. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت 463هـ)، **تاريخ بغداد** ، ط1، ج2، (تحقيق مصطفي عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص239.

الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا، دلّ على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين .. "[1]

وقال الشافعي: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر"[2] .

والصنف الثاني: هم الخوارج والمعتزلة[3]، فهم يقولون كقول السلف بأن الإيمان هو قول واعتقاد و عمل، ولكن يخالفونهم بأن الإيمان عندهم كلٌ واحد لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه، ذهب كله، فمن أخل بشيء من الأعمال ذهب إيمانه، فصار كافراً مخلداً في النار عند الخوارج، وفي منزلة بين المنزلتين وهو مخلدٌ في النار عند المعتزلة[4].

القسم الثاني: يخرجون العمل عن مسمى الإيمان وهم أربعة أصناف:

الصنف الأول: يقولون الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وهذا قول الجهمية ، وهو أكثر الأقوال فساداً، لما يستلزم منه دخول إبليس وفرعون في الإيمان[5].

الصنف الثاني: يقولون الإيمان التصديق بالقلب. وهذا قول عامة الأشاعرة[1].

---

1 الآجري، محمد بن الحسين (ت 36هـ)، **كتاب الشريعة**، ط1، (تحقيق محمد الفقي)، دار الكتب التعليمية، بيروت، 1983م، ص119. ابن تيمة، أحمد بن عبدالحليم (ت 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، بدون طبعة، 7م، (تحقيق عبد الرحمن القاسم)، الفاروق الحديثة، القاهرة، ص510.

2 انظر ابن تيمية، **الإيمان**، ص166 نفلاً عن الشافعي في كتاب الأم .

3 سبقت الترجمة لهم في الفصل التمهيدي، ص17.

4 انظر: ابن خياط، عبد الرحيم، **الانتصار**، بدون طبعة، (تحقيق نيبرج)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1925م، ص86-87 وص164-167. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، م7، ص510.

5 انظر : الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج1، ص214. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 7، ص508. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص88. ابن ابي العز، **شرح الطحاوية**، ص317 – 318.

الصنف الثالث: يقولون الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا قول أبي حنيفة[2] وأصحابه والمحققين من الأشاعرة[3].

الصنف الرابع: يقولون الإيمان هو إقرار اللسان فقط، وهذا قول الكرامية، ويلزم منه إدخال المنافقين في الإيمان[4].

وهذا الاختلاف في معنى الإيمان بين أهل السنة، إنما هو اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان هو نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد.[5]

ثانياً: تعريف الإيمان عند القرطبي:

قال القرطبي –رحمه الله تعالى – عند تفسيره قوله تعالى: " وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا " [الكهف: 2]" أي: الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال"[6]. فالقرطبي رحمه الله تعالى، في هذه الآية يقول بأن الإيمان: هو التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه، والعمل بمقتضى هذا الإيمان، وقد نص على معنى الإيمان في تفسيره لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب" [البقرة: 25]. "قال: "يؤمنون":

---

1 انظر: الأشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، ص122. الباقلاني، **الإنصاف**، ص84-85. الإيجي، **المواقف**، ص384 -385.

2 "هو أبوحنيفة النعمان بن ثابت التيمي، عالم العراق وفقيه الملة ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة وتوفي في بغداد سنة خمسين ومئة". الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص391-403.

3 الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ط3، دار النشر فرانز شتايز، 1980م، ص 138 – 139. ابن تيمية، **الإيمان**، ص 154-157. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص 178. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص317.

4 انظر: الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج1، ص223. ابن تيمية، **منهاج السنة**، ج3، ص 462. ابن تيمية، **الإيمان**، ص115، 171. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص178. ابن ابي العز، **شرح الطحاوية**، ص317.

5 انظر: ابن تيمية، **الإيمان**، ص115. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص318-319.

6 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص200.

يصدقون، والإيمان في اللغة: التصديق أو في التنزيل: " وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ " [يوسف :17] أي: بمصدق"[1] فيكون بذلك قد وافق الأشاعرة في تعريفهم للإيمان بأنه التصديق بالقلب. وعند تفسيره لقوله تعالى: " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى " [الكهف: 13]، قال: "قوله تعالى: "وزدناهم هدى" أي: يسرناهم للعمل الصالح، من الانقطاع إلى الله تعالى، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا. وهذا زيادة على الإيمان"[2].

فالقرطبي يرى هذه الأعمال زائدة على الإيمان وليست هي الإيمان ذاته، مما يدل على أنّ القرطبي يرى خروج الأعمال عن مسمى الإيمان، ويؤكده قوله عند تفسيره لقوله تعالى: " وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.."[3] في سورة البقرة، حيث قال: "قوله تعالى: " وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " ردٌ على من يقول: إن الإيمان بمجرّده يقتضي الطاعات؛ لأنه لو كان ذلك ما أعادها، فالجنة تُنال بالإيمان والعمل الصالح، وقيل: الجنة تُنال بالإيمان، والدرجات تُستَحَق بالأعمال الصالحات. والله أعلم"[4]. فيكون الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– بهذا قد وافق الأشاعرة في تعريفهم للإيمان، وإخراجهم الأعمال عن مسماه وحقيقته.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص251.
2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص223.
3 البقرة: آية 25.
4 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص359.

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

أولاً: آراء العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه

اختلفت آراء العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه تبعاً لاختلافهم في تعريف الإيمان وبيان حقيقة مسماه، وذلك على قولين:

1- الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، واختيار إمام الحرمين [1]، وجمهور الأشاعرة[2].

2- الإيمان يزيد وينقص. وهو قول السلف والمعتزلة ومحققي الأشاعرة[3].

ثانياً: رأي القرطبي في زيادة الإيمان ونقصانه

ذهب الإمام القرطبي –رحمه الله– في تفسيره لقوله تعالى " وَزِدْنَاهُمْ هُدًى " [الكهف: 13] إلى إخراج الأعمال والطاعات عن مسمى الإيمان، مصرحاً بأنها "زيادة على الإيمان" كما أوضحنا سابقاً، وبما أنه قد نص في مواضع أخرى من سور القرآن الكريم بأن الإيمان عنده هو مطلق التصديق، لذلك ذهب إلى القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته، بل تكون الزيادة والنقصان في متعلقاته، فعند تفسيره لقوله تعالى: " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمانا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

---

1 إمام الحرمين، شيخ الشافعية، أبو المعالي عبد الملك الجويني، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع عشرة وأربع مئة، كان إماماً في الفروع وأصول المذهب، توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مئة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18 ص468–477.

2 انظر: الباقلاني، **الإنصاف**، ص86–89. البغدادي، **أصول الدين**، ص252، الجويني، **الإرشاد**، ص 335–336. الإيجي، **المواقف**، ص388. التفتازني، **شرح المقاصد**، ج5، ص210.

3 انظر: الإيجي، **الموقف**، ص 388. القاضي عبدالجبار، أحمد، (ت415هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، ط1، (تحقيق فيصل عون)، لجنة التأليف والنشر، الكويت، 1998م، ص100. ابن تيمية، **الإيمان**، ص176–187. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص211. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص327. السفاريني، **لوامع الأنوار**، ج1، ص 430.

"[1] في سورة آل عمران. قال: "وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال، والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان الذي هو تاج واحد، وتصديق واحد بشيء ما، هو معنى فرد، لا يدخل معه زيادة إذا حصل، ولا يبقى منه شيء إذا زال، فلم يبق إلا أن يكون الزيادة والنقصان في متعلقاته دون ذاته"[2].

فبين القرطبي –رحمه الله– العلة من نفي الزيادة والنقصان في الإيمان، بأن الإيمان الذي هو التصديق عنده كلٌ واحدٌ لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، لذا كان لابد أن تكون الزيادة والنقصان في الأعمال التي هي من متعلقاته وثمراته، وهذا الإنكار للزيادة والنقصان في الإيمان عند القرطبي إنما هو بناءً على تفسيره للإيمان بأنه التصديق، بمعنى أن حقيقة الإيمان التي هي التصديق لا تقبل التفاوت، وإنما يكون التفاوت في المكملات الزائدة عن حقيقة الإيمان وأصله، أو أنّ الذي يزيد وينقص هو الجزاء والثواب والمدح والثناء[3]، وهو عين مذهب الأشاعرة في مسألة الزيادة والنقصان في الإيمان.

وليس هذا مجال بسط في المسألة، وإنما نكتفي بعرض المسائل التي أثارها الإمام القرطبي في تفسيره لآيات سورة الكهف وبيان موقفه منها، وقد عرض القرطبي معتقده في مسألة مهمة من مسائل الإيمان في أوجز عبارة وأدقها كعبارة "وهذه زيادة على الإيمان"[4] بعد أن ذكر الأعمال الصالحة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: " وَزِدْنَاهُمْ هُدًى " [الكهف: 13] كما بيناه سابقاً، إلا أنه لم يتعرض لتفصيل مسألة زيادة الإيمان ونقصانه اكتفاء منه بما ذكره من تفصيل للمسألة في مواضع سابقة من سور القرآن الكريم، وذلك حرصاً منه على عدم التكرار والإطالة، كما أنّ سورة الكهف قد اشتملت على آيات في ذكر الإيمان والعمل مثل:

---

1 آل عمران ، آية 173.

2 القرطبي، **الجامع**، ج5، ص 423.

3 انظر: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص 214. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **منهج الأشاعرة في العقيدة**، ط1، دار الصفوة، القاهرة، 2013م، ص 134.

4 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 223.

- قوله تعالى: " يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا " [الكهف: 2].

- وقوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا " [الكهف: 107].

- وقوله تعالى" " فَكَان أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ " [الكهف: 80]، وقد مر القرطبي على الآيات السابقة دون أن يتكلم عن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه اعتماداً على أنّ القارئ قد اطلع عليها سابقاً[1].

المطلب الثالث: العلاقة بين الإيمان والإسلام

أولاً: آراء العلماء في العلاقة بين الإيمان والإسلام

تعددت أراء العلماء في تحديد العلاقة بين الإسلام والإيمان إلى ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: القائلون أن بين الإيمان والإسلام تلازماً في الوجود مع افتراق اسميهما، وأنّ حال اقتران الأسلام والإيمان غير حال أفراد أحدهما عن الأخر، فإذا قرن بينهما وإجتمعا في عبارة واحدة افترقا في المعنى فأصبح يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، ويراد بالإيمان الأعمال الباطنة، فيقال: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا إجتمعا وتلازما. وهذا قول جماعة من الصحابة والتابعين ونقل عن كثير من السلف[2].

القول الثاني: هو القول بالترادف إي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد وهذا قول جميع الماتريدية، وإلى هذا القول ذهب الإمام البخاري[3].

---

1 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج3، ص 223.

2 انظر: ابن بطة، عبيدالله بن محمد (ت387هـ)، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، ط2، ج2، (تحقيق رضا معطي)، دار الراية، الرياض، 1994م، ص640. اللالكائي، هبة الله بن الحسن (ت418هـ) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، ط4، ج4، (تحقيق أحمد الغامدي)، دار طيبة، الرياض، ص812. الخطابي، حمد بن محمد، (ت 388 هـ)، **معالم السنن**، ط1، ج4، (تحقيق محمد الطباخ)، المطبعة العلمية، حلب، 1934م، ص315-317. ابن ابي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص333.

3 انظر: الخطيب، محمد، **اصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط2، دار المسيرة، عمان، 2013م، ص48.

القول الثالث: القائلون بأن الإسلام والإيمان متغايران ذاتاً ومفهوماً مع القول بتلازمهما بمعنى اختلاف حقيقتي الإيمان والإسلام ولكنهما متلازمان ومتداخلان وهذا قول جمهور الأشاعرة[1].

ثانياً: رأي القرطبي في العلاقة بين الإيمان والإسلام

قرر القرطبي مذهب جمهور الأشاعرة القائلين بالتغاير بين الإيمان والإسلام وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: "فأخرجنا من كان فيها من المؤمنيين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين" [الذاريات:34-35]، : "وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الإنقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا فسماهم في الآية الأولى مؤمنيين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم"[2].

كما نص القرطبي على أن الإسلام بمعنى الإيمان والطاعات وعزاه لجمهور المتكلمين عند تفسيره لقول الله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" [آل عمران:19]: ""الدين" في هذه الآية الطاعة والملة و"الإسلام" بمعنى الإيمان والطاعات وعليه جمهور المتكلمين، والأصل في مسمى الإيمان والإسلام التغاير لحديث جبريل[3]، وقد يكون بمعنى المرادفة، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر، كما في حديث وفد عبد القيس، وأنه أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال: [هل تدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلمُ، قال: "شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خُمساً من المغنم][4]، ويكون أيضاً بمعنى التداخل، وهو أن يطلق أحدهما ويُراد به مسماه في الأصل ومسمى الآخر كما في هذه

---

1 انظر: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج2، ص259-260. البيجوري، **تحفة المريد**، ص56-57.

2 القرطبي، **الجامع**، ج19، ص497.

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، م1، حديث رقم(50)، ص14.وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، م1، حديث رقم (8)، ص22.

4 أخرجه مسلم في صحيحه، **كتاب الإيمان**، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين، ج1، حديث رقم 24، ص 47 – 48.

الآية، إذ قد دخل فيها التصديق والأعمال، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: [الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان]"[1] وبعد عرض القرطبي للآراء المختلفة والتي أثيرت في مسألة العلاقة بين الإيمان والإسلام، أبدى رأيه فيما تبناه من الآراء بقوله: "والحقيقة هو الأول وضعاً وشرعاً، وما عداه من باب التوسع. والله أعلم"[2].

والراجح في المسألة هو القول بأن الإسلام داخل في الإيمان، فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون مسلماً، كما أن الإيمان داخل في الإحسان فلا يكون محسناً حتى يكون مؤمناً، وأن الإيمان والإسلام تختلف دلالتهما بحسب الإفراد والاقتران، فإذا أطلق الإسلام وحده دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، وكذلك الإيمان، وإذا إجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

وبعد أن بينت معنى الإيمان عند القرطبي -رحمه الله تعالى- وأقوال العلماء في مسماه ورأي القرطبي في العلاقة بين الإيمان والأسلام، تبين أن الإيمان بالله تعالى في عبادته وانه يستلزم توحيده وتنزيهه عن الشريك والمثيل، وهو سأتطرّق إليه في المبحث الآتي في بيان وجوب تنزيه الله سبحانه.

1 القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 19، ص68. أخرجه ابن ماجه في سننه، باب في الإيمان، ج1، حديث رقم (65)، ص25–26. وقال الهيثمي في الزوائد: إسناده ضعيف لإتفاقهم على ضعف أبي الصلت الهروي الراوي.

2 القرطبي، **الجامع**، ج5، آل عمران، آية رقم 19، ص68.

المبحث الثاني

توحيد الله تعالى

لم يتطرق الإمام القرطبي في تفسيره لآيات سورة الكهف لشيء من دلائل وجود الله تعالى أو ما يسمى بربوبية الله عز وجل، وإن كان قد أشار إشارة عامة لذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى في وصف الكافرين: " الَّذِينَ كانتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا " [الكهف: 101] قال: أي: "هم بمنزلة من عينه مغطاة، فلا ينظر إلى دلائل الله تعالى"[1] فأشار هنا إلى أن النظر في مخلوقات الله تعالى دالة على إثبات وجوده سبحانه مما يستلزم إثبات ألوهيته، وبالتالي توحيده في عبادته والتي أشرك فيها مشركو العرب الذين كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين. وأكد القرطبي على أن النظر في مخلوقات الله دالة عليه بتفسيره في قوله تعالى " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا " [الكهف:7] قال: "والزينة كل ما على وجه الأرض، فهو عموم، لأنه دال على بارئه"[2]. إلا أن القرطبي توسع في مسائل تتعلق بتوحيد العبادة من خلال تفسيره لبعض آيات في سورة الكهف، وهي ما سنعرض لها في المطلب الآتي.

المطلب الأول: تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك

نفى المولى سبحانه وتعالى عن ذاته العلية، وعن أسمائه وصفاته العلى كل نقص وعيب، وكل ما من شأنه أن يشبه الخالق المنفرد بالخلق والملك والتدبير، بالمخلوق العاجز الناقص، ومن ذلك نفيه سبحانه أن يكون له ولد، وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، رداً على مزاعم المشركين في ذلك، وفي سورة

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 392. وانظر نحو ذلك في دلائل ربوبيته، البغدادي، **أصول الدين**، ص 68-69. الجويني، **الشامل**، ص262، 268. الإيجي، **المواقف**، ص266.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 207.

الكهف في قوله تعالى: "وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" [الكهف: 4] قال القرطبي في تفسيرها: "هم اليهود، قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وقريش قالت: الملائكة بنات الله"[1].

فالزعم بأن لله ولداً هي عقيدة موجودة قبل نزول القرآن عند اليهود والنصارى، فقد نص القرآن وصرح بذلك في كثير من الآيات، منها قوله تعالى "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" [التوبة :30].

فحكم الله عليهم بالكفر والإفك بسبب هذه المقولة الشنيعة، وقد ذكر القرطبي ما روي عن سبب ذلك القول من اليهود بأن الله حفّظ عزيراً التوراة كرامة منه له، فقال عزير لبني إسرائيل: إن الله حفظني التوراة، فجعلوا يدرسونها من عنده، وكانت التوراة مدفونة، كان دفنها العلماء حين أصابهم من الفتن والجلاء والمرض ما أصابهم، ثم وجدت التوراة، فإذا هي متساوية لما كان عزير يدرس، فضلوا عند ذلك، وقالوا: إن هذا لم يتهيأ لعزير إلا وهو ابن الله[2].

وأما النصارى فاعتقادهم أن المسيح هو ابن الله هي من عقائدهم الرئيسية التي تقوم عليها عقيدة التثليث عندهم: الآب والابن والروح القدس، وشبهتهم في زعمهم أن المسيح ابن الله، أنه خلق من غير أب، وقد علم أنه لا يكون ولد من غير أب، كما هي سنة الله في خلقه في كونهم من أب وأم، لكن الله عز وجل أبطل شبهتهم بقوله تعالى: "*إنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*"[3].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص206.

2 انظر القرطبي، **الجامع**، ج 10، ص173.

3 آل عمران : 59.

قال البغوي[1] في سبب نزول هذه الآية: الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك تشتم صاحبنا، قال: [وما أقول] ؟ قالوا تقول: إنه عبد الله، قال: [أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول] فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2] "ولا بد أن تأثر الديانتين اليهودية والنصرانية بالوثنية اليونانية كان ظاهراً وجلياً، ومن أجلى مظاهر التأثر ما ذكره الله عنهم بقوله في سورة التوبة: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" [التوبة:30] فإن هذه المقالة هي عين مقالة اليونانيين بتولد الآلهة من الإله زيوس وتناسلهم من صلبه"[3].

أما النصرانية، فمن صور تأثرها باليونانية القديمة "فكرة تعدد الآلهة وتولدها والتي تقررت عند النصرانية المحرفة مما يسمى بالتثليث في ثلاثة أقانيم[4]: الأب الابن الروح القدس"[5] لكن النصوص التي تصف المسيح – عليه السلام – أنه (ابن الله) معارضة بثلاثة وثمانين نصاً من النصوص التي تصف المسيح أنه (ابن الإنسان)، فلئن كانت تلك النصوص التي أطلقت عليه لقب ابن الله دالة على ألوهيته، فإن هذه مؤكدة لبشريته، صارفة لتسميتهم (ابن الله) إلى المعنى المجازي[6]. وقد بين القرطبي أن هذه العقيدة من نسبة الولد لله عز وجل وجدت عند العرب في جاهليتهم، وذلك أن جهينة وخزاعة وبني سلمة وعبد الدار،

---

1 هو الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف منها "**شرح السنة**"، وكتاب: "**معالم التنزيل**"، وكتاب: "**التهذيب**"، وغيرها، كان سيداً إماماً، عالماً، زاهداً، توفى بمرور سنة ست عشرة وخمس مائة، وعاش بضعاً وسبعين سنة، انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 19، ص 439، 442.

2 البغوي، الحسين بن مسعود (ت 516 هـ) **معالم التنزيل**، ط2، ج1، (تحقيق خالد عبد الرحمن ومروان سوار) دار المعرفة، بيروت، 1987م، ص239.

3 الشبل، علي بن علي، **الانحرافات الوثنية في العقيدة اليونانية وآثارها**، بدون طبعة، دار المسير، الرياض، ص62.

4 الأقنوم : الأصل والجوهر، والشخص، و الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين هي الآب، والابن، والروح القدس. انظر: صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص112.

5 الشبل : **الانحرافات الوثنية في العقيدة اليونانية**،ص64.

6 انظر : **الموسوعة المفصلة في الفرق والاديان والملل**، ط1، ج2، (تحقيق حسن أبو الخير)، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2011م، ص537.

زعموا أن الملائكة بنات الله، مدعين بلا برهان ولا دليل أن الله صاهر الجن، فكانت الملائكة من بينهم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[1]، وقد فند الله تعالى مزاعم كل من: اليهود والنصارى وكفار العرب، وطالبهم بالدليل والبرهان على مزاعمهم ودعواهم، وإذ لا دليل لديهم من عقل أو سمع، فقد تبين بطلان ما زعموا، وإنما هو الظن الذي لا يقوى على معارضة الدليل، كما قال تعالى وهو أعلم بهم: "*وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً* " [النجم: 28]. وقد دحض الإمام القرطبي –رحمه الله– هذه المقالة الفاسدة والفرية العظيمة من نسبة الولد لله عز وجل، فقال في تفسيره لقوله تعالى: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا" [الإسراء: 111]: هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذاً: عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه، تعالى الله عن أقوالهم "[2] وجاء القرطبي بدليل عقلي على شكل مسائل كعادته لتفنيد قولهم وبيان فساده، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: " وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سبحانه بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ *كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ*"[البقرة: 116]، في سورة البقرة في المسألة الثالثة: "(سبحان) منصوب على المصدر، ومعناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة من قولهم: اتخذ الله ولداً، بل هو الله تعالى واحد في ذاته، أحد في صفاته، لم يلد فيحتاج إلى صاحبة، (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ *وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ*) [الأنعام: 101]، ولم يولد فيكون مسبوقاً، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، (بل له ما في السموات والأرض) أي كل ذلك له بالإيجاد والاختراع، والقائل بإنه اتخذ ولداً داخل في جملة السماوات والأرض"[3]. "وبعد أن نزه القرطبي الله سبحانه وتعالى وأثبت له الوحدانية في الذات والصفات، شرع في نفي الجنسية والحدوث لله تعالى قائلاً:

---

1 انظر : القرطبي، **الجامع**، ج18، الصافات، اية رقم 149–157، ص108–110.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص194.

3 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص333.

المسألة الرابعة: لا يكون الولد إلا من جنس الوالد، فكيف يكون للحق سبحانه أن يتخذ ولداً من مخلوقاته، وهو لا يشبهه شيء، وقد قال: (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [مريم: 53] كما قال هنا: "بل له ما في السماوات والأرض" فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث[1]، والقِدَم[2] يقتضي الوحدانية والثبوت، فهو سبحانه القديم الأزلي الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"[3].

ثم بين رحمه الله تعالى في الموضوع نفسه استحالة أن يكون الولد عبداً مملوكاً لله تعالى فقال: "ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية فكيف يكون ولدٌ عبداً ؟! هذا محال، وما أدى إلى المُحال مُحال"[4].

وقد قال ابن عطية[5]: "فالبنوة والملكية لا يجتمعان، وعليه فالله مخالف لخلقه وبعيد عن مجانستهم، والولد المنسوب إلى الله هو من جنسهم لا من جنسه، إذاً هم الذين يحتاجون إلى من يخلفهم لبقاء نوعهم، والله عز وجل باق ودائم وغني بنفسه وذاته لا حاجة به إلى غيره"[6]، ولقد أورد القرطبي حديثاً لابن عباس أثناء رده على من زعم نسبة الولد لله، في سورة البقرة عند قوله تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سبحانهُ.." [البقرة:116]، قائلاً: "قوله (سبحانه بل له) خرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

---

1 الحدوث: "عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه، وافتقاره في وجوده إلى الغير". الجرجاني، **التعريفات**، ص74، وانظر نحو ذلك : الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت478هـ)، **الشامل في أصول الدين**، (تحقيق النشار)، ص258، 262. الآمدي، علي بن أبي علي (ت631هـ)، **المبين في شرح الحكماء والمتكلمين**، ط2، (تحقيق حسن الشافعي)، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 119. التفتازاني، مسعود بن عمر (ت793)، **شرح المقاصد**، ط1، ج2، (تحقيق عبد الرحمن)، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ص7. التهانوي، محمد بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، بدون طبعة، ج1، دار صادر، بيروت، ص278.

2 القديم: يطلق على ما لا علة لوجوده. كالباري تعالى. انظر: الآمدي، **المبين**، ص118، 119. الجويني، **الشامل**، ص251 و253 . التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج2، ص7.

3 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص333، 334.

4 **المصدر نفسه**، ج2، ص334.

5 هو عبدالحق بن غالب بن عطية، مفسر، فقيه، أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" في 10 مجلدات، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائه. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص282.

6 ابن عطية، عبد الحق، (ت541هـ)، **المحرر الوجيز**، بدون طبعة، ج1، (تحقيق مجموعة من المحققين)، وزارة الأوقاف، قطر، ص461.

[قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا] [1] وقد قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: إنما سماه شتماً، لما فيه من النقص، لأن الولد إنما يكون عن والدة تحمله ثم تضعه، ويستلزم ذلك سبق النكاح، والناكح يستدعي باعثاً له على ذلك، والله سبحانه منزه عن ذلك"[2]

المطلب الثاني: توحيد الاسماء والصفات

أولاً: معنى الإسم والصفة:

الإسم: "هو دل على معنى في نفسه غير مقترن لأحد الأزمنة الثلاثة"[3]

الصفة: "هي الإسم الدال على بعض أحوال الذات وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يُعرف بها"[4]

ثانياً: أقسام الصفات

اصطلح العلماء على تقسيم الصفات إلى قسمين:

أولاً: الصفات الذاتية:

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص333. والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب "وقالوا اتخذ الله ولداً" [البقرة 116] حديث رقم (4482)، ص932.

2 ابن حجر، أحمد بن علي (773 – 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط1، ج8، (تحقيق عبد العزيز بن باز)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م، ص213.

3 الجرجاني، **التعريفات**، ص23.

4 الجرجاني، **التعريفات**، ص114.

وهي التي لا تنفك عن ذات الله تعالى، وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها وهي نوعان: ذاتية معنوية مثل: الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما أشبه ذلك من الصفات. وذاتية خبرية مثل: اليدين والوجه، والعينين، وغيرهم، وسميت خبرية لأنها متلقاة بالخبر من الله تعالى، والعقل لا يدل عليها فلولا أن الله أخبرنا أن له يداً؛ ما علمنا بذلك.

ثانيا: الصفات الفعلية:

وهي المتعلقة بمشيئته سبحانه إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالمجيء والنزول والاستواء والرضى، وغيرها من الصفات.

ولما كانت صفات الله تعالى من الأمور الغيبية وجب الإيمان بها على ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه العزيز ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من دون تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل[1].

ولقد نزه القرطبي ربه في أسمائه وصفاته فقال عند تفسيره لقوله تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " [الشورى: 11]. "والذي يعتقد في هذا الباب أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعليِّ صفاته، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبه به"[2]، ثم بين رحمه الله تنزه الله عن مشابهة الحوادث فقال: "إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق"، إذ صفاتهم لا تنفك عن

---

1 ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (ت728هـ)، **شرح الأصبهانية**، ط1، (تحقيق محمد السعوي)، دار المنهاج، الرياض، 1430هـ، ص34-35، ابن عثيمين، محمد، **شرح العقيدة الواسطية**، ج1، ط6، دار ابن الجوزي، الرياض، 1421هـ، ص78، 118.

2 القرطبي،**الجامع**، ج18، ص450.

الأغراض[1] والأعراض[2]، وهو تعالى منزه عن ذلك" [3] ، وقد ورد في سورة الكهف من الصفات الإلهية صفة الوجه والرحمة، ووردت إشارة إلى صفة الكلام، كما ورد فيها صفات العلم والإرادة والقدرة وصفة السمع والبصر، وسنعرض لتفسير القرطبي لهذه الصفات في النقاط الآتية:

أولاً: صفة الوجه[4]:

فسر القرطبي قوله تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " [الكهف: 28] بقوله: "(يريدون وجهه) أي يريدون طاعته"[5]، وبهذا فسرت هذه الآية عند كثير من المفسرين[6] ؛ ولكي يظهر لنا توجه الإمام القرطبي في صفة الوجه لله تعالى، كان لا بد من استقراء بعض الآيات التي وردت فيها لفظة الوجه، ليتبين لنا توجه القرطبي فيها، وبالتالي يتم معرفة موقفه من الصفات الخبرية الذاتية

---

1 الأغراض: جمع غرض والغرض هو المقصود والغاية، الجلال الدين الدواني، **شرح العقائد العضدية**، ج2، مطبعة عامره، غير معروف البلد، 1317هـ، ص204.

2 الأعراض:"ما لا يقوم بذاته"، أبي البقاء، أيوب بن موسى (ت1094هـ)، **الكليات**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص625، انظر: الجويني، **الشامل**، ص167–192. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج2، ص141–144.

3 القرطبي، **الجامع**، ج18، ص450.

4 صفة الوجه من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي صفة خبرية ثابتة بالكتاب والسنة، فنثبت هذه الصفة بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ)، **الفتوى الحموية الكبرى**، ط2،(تحقيق حمد التويجري)، دار الصميعي، الرياض، 2004م، ص 25–266. ابن تيمية، **بيان تلبيس الجهمية**، دون طبعة، ج6، (تحقيق عبد الرحمن اليحيى) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، الرياض، ص71–81. ابن القيم، محمد ابن أبي بكر، **الصواعق المرسلة**، ط2، ج1 (تحقيق علي دخيل الله)، دار العاصمة، الرياض، 1993م، ص193.

5 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص258

6 انظر: الطبري: محمد بن جرير(ت224–310هـ)، **تفسير الطبري**، ج 18، ط1، (تحقيق رضوان جامع) دار ابن الجوزي، القاهرة، ص213. البغوي، **معالم التنزيل**، ج3، ص159. الرازي، محمد بن عمر(ت606هـ)، **التفسير الكبير**، ط3،ج11، م6، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص.236 النسفي، عبد الله أبن أحمد (ت710)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2000م، ص649 . ابن كثير، إسماعيل بن كثير (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، م2 ، دار السلام، الرياض، 1994م، ص182.

لله تعالى إذ نجده قال في تفسير قوله تعالى: "ولا تَطرُدِ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يردون وجهه"[الانعام: 52]: "(يريدون وجهه) أي: طاعته والإخلاص فيها، أي: يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره، وقيل: يريدون الله الموصوف بأن له الوجه، كما قال تعالى: " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" [الرحمن:27] وهو كقوله: "والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم "[الرعد:22]"[1].

وفي قوله تعالى "وَيَبقَى وَجهُ رَبِّكَ"[2] قال القرطبي: "أي يبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه"[3]. وقد قرر أن هذا ما ارتضاه المحققون فقال: "وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك[4] فورك[4] وأبو المعالي[5] وغيرهم"[6]، بل إنه أثبت أن تفسير الوجه عند معظم أئمته هو بمعنى ذات الله تعالى، وذلك عند إيراده قولاً لأبي المعالي، إذ قال القرطبي: "وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري"[7]. واستدل القرطبي على صحة ما ذهبوا إليه في معنى الوجه بقوله: "ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: (ويبقى وجه ربك)، والموصوف بالبقاء عن تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى"[8]، وقال وقال في المسألة الرابعة عند تفسيره لقوله تعالى: " فأينما تولوا فثم وجه الله" [البقرة : 115]، " اختلف الناس

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج8، ص388-389.

2 *الرحمن: 27.*

3 القرطبي **الجامع**، ج20، ص132.

4 شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك الأصبهاني، صنف التصانيف الكثيرة كان أشعرياً رأساً في الكلام، سم في الطريق ومات بقرب بست، روى عنه الحاكم حديثاً، وتوفى قبله بسنة واحدة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج17، ص214.

5 سبقت ترجمته في ص78.

6 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص132.

7 **المصدر نفسه**، نفس الجزء والصفحة.

8 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص132.

في تأويل[1] الوجه المضاف إلى الله تعالى في القرآن والسنة، فقال الحذاق: ذلك راجع إلى الوجود، والعبارة عنه بالوجه مجاز[2] الكلام، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلها قدراً "[3] وقد أكد القرطبي على صحة ما ذهب إليه في تأويل الوجه بإيراد قول لابن فورك، فقال: " وقال ابن فورك: قد يذكر صفة الشيء والمراد به الموصوف توسعاً، كما يقول القائل: رأيت علم فلان اليوم، ونظرت إلى علمه، وإنما يريد بذلك: رأيت العالم، ونظرت إلى العالم، وكذلك إذا ذكر الوجه هنا، والمراد: من له الوجه، أي: الوجود، وعلى هذا تأول قوله تعالى: "إنما نطعمكم لوجه الله" لأن المراد به: الله الذي له الوجه"[4].

وبعد ان اول القرطبي صفة الوجه في الآيات ذكر رأي بعض الأئمة في صفة الوجه فقال: "وقال بعض الأئمة: تلك صفة ثابتة بالسمع، زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى"[5]، ثم ذكر

---

1 التأويل : في الأصل الترجيع وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة . مثل قوله تعالى *(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)* إن أراد إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجأهل كان تأويلاً". *انظر في معنى هذا التاويل: ابن تيمية*، احمد بين عبد الحليم، (ت 728هـ)، **درء تعارض العقل والنقل**، دون طبعة، ج3، (تحقيق عبداللطيف عبد الرحمن)، دار الكتب العلمية بيروت، ص99. ابن تيمية، **بيان تلبيس الجهمية**، ج6، ص284–302. الجرجاني، **التعريفات**، ص46. انظر في معنى التأويل: الأزهري، محمد بن أحمد (ت،307 هـ)، **تهذيب اللغة**، ط1،ج3، (تحقيق رياض قاسم) دار المعرفة، بيروت، 2001م، ص2787. ابن فارس، **(معجم مقاييس اللغة)، م1، ص162.** ابن منظور، **لسان العرب**، م11،ص32–33. التهانوي، **الكشاف**، م1، ص376–377. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، دون طبعة،ج1، (تحقيق أحمد بن علي)، دار الحديث، القاهرة، 2006م ص449. الزبيدي، محمد مرتضى (ت1204 هـ)، **تاج العروس**، دون طبعة،ج7،دار صادر، بيروت، ص314–315. بطرس البستاني. **دائرة المعارف**،م6،دار المعرفة، بيروت، ص171. وانظر تعريف ابن تيميه للتأويل وأقسامه في **درء تعارض العقل والنقل**، ج3، ص99. و**بيان تلبيس الجهمبة**، ج6، ص284–302.

2 المجاز: "اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما، كتسمية الشجاع أسد، وهو نوعان : استعارة كلفظ الأسد إذا استعمل في الشجاع، ومرسل كلفظ (اليد) إذا استعملت للنعمة". الجرجاني، **التعريفات**، ص170،169. وانظر نحوه : الآمدي، **المبين**، ص71.

3 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص330.

4 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص331.

5 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص331.

تضعيفه لهذا الرأي قائلا: "هو ضعيف وإنما المراد وجوده"[1]. وبهذا يكون القرطبي قد وافق متأخري الأشاعرة في تأويلهم لصفة الوجه بالذات والوجود[2]، والحامل على تأويل صفة الوجه وغيرها من الصفات عند الإمام القرطبي ومن حذا حذوهم من كبار الأشاعرة هو تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، فهو يرى أن إثبات صفة الوجه لله تعالى يستلزم تشبيهه سبحانه بخلقه، لذلك لا يحمل النصوص في صفة الوجه على ظاهرها، بل يؤولها. والإمام القرطبي –رحمه الله– يعد من الفقهاء الأشاعرة وهو بما عرف من صلاحه وورعه وخشيته لله تعالى وزهده فإنما ويحمل تأوله لصفة الوجه تنزيهه لله تعالى عن الشبيه والمثيل، كما كان لبيئته التي انتشر فيها المذهب الأشعري، ولعلمائه الأشاعرة الدور الكبير في تبنيه التأويل في صفات الله الخبرية وصرف النصوص فيها عن ظواهرها.

وحيث نلاحظ ان كبار علماء المسلمين الذين هم مرجع للمسلمين في علوم الفقه والتفسير والحديث قد أخذوا بهذه الطريقة يتأكد لنا ان لهم رأياً لا يصح أن نضللهم فيه، ولهم حجة يحتجون بها إلى ما ذهبوا إليه ضمن شروط الاجتهاد المقبول، ولهم أجر على اجتهادهم ومقاصدهم التي بذلوها للوصول إلى الحق[3].

ثانياً: صفة الكلام

---

1 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

2 انظر: البغدادي، **أصول الدين**، ص109–110. الجويني، **الإرشاد**، ص146–148. الإيجي، **المواقف**، ص298.

3 انظر: حبنكة، عبدالرحمن حسن، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط12: دار القلم، دمشق، 2004م، ص221.

لم ترد صفة الكلام صريحة في سورة الكهف وإنما جاءت بلفظ " كلمات " في قوله تعالى:" لَوْ كان الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " [الكهف:109]، وكان تفسير القرطبي لها من خلال خمسة أقوال وردت فيها، فقال:" قال ابن عباس: كلمات ربي أي: مواعظ ربي، وقيل: عنى بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى[1]، يشير هذا القول بأنّ كلام الله تعالى قديم واحدٌ يُفهم منه ما لا يُحصى ولا يُعد من الفوائد والمعاني.

ويؤكده ما جاء في تتمة عبارة القرطبي وهي قوله: "وان كان واحداً فيجوز أن يُعبّر عنه بلفظ الجمع، لما فيه من فرائد الكلمات، ولأنه ينوب منابها، فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيماً"[2]. وذكر القرطبي أقوالاً أخرى منها: أي ما نفدت العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وتعالى، ومنها صفات الجنة التي هي دار الثواب[3]، ثم ذكر معنى آخر لـ "كلمات ربي" وهو:" أي ثواب من قال: لا إله إلا الله."[4] ولم يرجّح القرطبي قولاً من تلك الأقوال الخمسة، واكتفى بعرضها فقط، لكنه بيّن موقفه من صفة الكلام، في كتابه (الأسنى) إذ قال: " قال علماؤنا رحمة الله عليهم: كلام الله سبحانه الذي اتصف به، هو المعنى القائم بذاته، وهو صفة ذاتية من صفاته لا يتجزأ في ذاته ولا ينفصل منه إلى غيره"[5].

فقد قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" [البقرة: 30]، في سورة البقرة: "وقول الله تعالى وخطابه للملائكة منفرد قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم،

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13،ص397.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

3 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص398.

4 المصدر نفسه،نفس الجزء والصفحة.

5 أحمد المزيد، **منهج الإمام القرطبي في أصول الدين**، نقلا عن كتاب "**الاسنى**" للقرطبي، ج3، ص237.

وهكذا الباب كله في أوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته"[1] أي أنه يرى أن الكلام معنى واحد في الأزل؛ وهو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل محظور، وأن الأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع له، وعلى ذلك يكون القرطبي قد وافق الأشاعرة في مسألة الكلام[2]. أما قول السلف وأئمة الحديث في صفة الكلام فهو (أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصّوت المعين قديماً أي أن الكلام صفة قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته)[3].

ثالثاً: صفة الرحمة:

قال القرطبي – رحمه الله تعالى – في تفسيره لقوله تعالى:" وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ " [الكهف:58]: (ذُو الرَّحْمَةِ) فيه أربع تأويلات: أحدها: ذو العفو، الثاني: ذو الثواب، وهو على هذين الوجهين مختص بأهل الإيمان دون الكفر، الثالث: ذو النعمة، الرابع: ذو الهدى، وهو على هذين الوجهين يعمُّ أهل الإيمان والكفر"[4]، ويتبين من ذلك موافقة القرطبي للأشاعرة في صرف معنى الرحمة الحقيقي إلى معاني الإنعام والهدى والثواب، وقد صرّح بذلك في كتابه "الأسنى" فقال:" والرحمة قد تكون ذاتية لله تعالى ترجع إلى إرادة

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 392،

2 انظر: مذهب الأشاعرة في صفة الكلام: ابن فورك، محمد بن الحسن (ت 406هـ) **مشكل الحديث وبيانه**، ط2، (تحقيق موسى علي)، عالم الكتب، بيروت، 1980م، ص 445-446. البغدادي، **أصول الدين**، ص 106-109. الجويني، **الإرشاد**، ص 105-111، 131. الغزالي، محمد بن أحمد، (ت 505 هـ)، **المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى**، دون طبعة، (تحقيق محمد عثمان)، مكتبة القرآن، القاهرة، ص 61-63. الإيجي، **المواقف**، ص 293-296. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج2، ص99. البيجوري، **تحفة المريد**، ص82-84، 97.

3 انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (ت 728)، **العقيدة الواسطية**، ط8، (تحقيق محمد هراس)، مكتبة الدرر السنية، الرياض، 2015م، ص175. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص 166. اللالكائي، هبة الله ابن الحسن، (ت 418)، **المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ط1، (تحقيق محمود آل موافي)، مكتبة الصحابة، جدة، 1994م، ص90.

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص313.

فيض الخير عموماً أو خصوصاً، وقد تكون نفس الفيض والإنعام فتكون من صفات الأفعال"[1] وبما أنّ القرطبي صرّح بأنّ التأويل هو بمعنى التفسير، وذلك عند قوله تعالى:" ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" [الكهف:82] حيث قال: "(ذَلِكَ تَأْوِيلُ) أي تفسير"[2]، فقد أوّل صفة الرحمة إلى معنى إرادة الإنعام والخير والهدى، أو الإنعام نفسه، كما أوّلها الأشاعرة، وذلك إنهم يرون أن الرحمة لا تخلو من رقة مؤلمة تعتري الرحيم فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم؛ والرب سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك[3].

رابعاً: صفة الإرادة[4]:

الإرادة في الكتاب والسنة نوعان:

---

1 القرطبي، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته**، ص. 404. وانظر نحوه: البيهقي، أبوبكر ابن الحسين، (ت 458هـ)، **الأسماء والصفات**، دون طبعة، (تحقيق عبد الله عامر)، دار الحديث، القاهرة، 2002م، ص486. الغزالي، **المقصد الأسنى**، ص 66. الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ)، **شرح أسماء الله الحسنى**، دون طبعة، (تحقيق طه سعد)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2000م، ص152-154.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، 356. ومعاني التاويل في الكتاب والسنة لا تخرج عن معنيين: 1-أنه بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. 2-بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه. ويوجد مصطلح ثالث للمتأخرين من المتكلمين والفقهاء وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهو ما أول به القرطبي صفات الله تعالى. انظر معاني التأويل عند المتكلمين: ابن فورك، **مشكل الحديث وبيانه**، ص37-44. الجويني، **الشامل**، ص 543-5636. الغزالي، محمد أبن محمد (ت505هـ)، **إلجام العوام عن علم الكلام**، ط1، (تحقيق محمد البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ص 63-77. السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت911هـ)، **تأويل الاحاديث الموهمة للتشبيه**، ط1، (تحقيق البسيوني إبراهيم)، دار الشروق، جدة، 1989م، ص 96-98. الكرمي الحنبلي، مرعي بن يوسف، (ت 1033هـ)، **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات**، ط1، (تحقيق شعيب الارنؤط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص47-48.

3 انظر: الغزالي، **المقصد الأسنى**، ص61. الرازي، **شرح أسماء الله الحسنى**، ص153.

4 الإرادة من الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة بالعقل والنقل، وهي: الحياة، والكلام، والقدرة، الإرادة، السمع، والبصر، والعلم، وأول بقية الصفات مع أنها ثابتة بالعقل والنقل. انظر: الباقلاني، محمد بن الطيب، (ت403هـ)، **الإنصاف**، ط1، (تحقيق عماد الدين حيدر)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م، ص48. البيجوري، **تحفة المريد**، ص74-85.

الأولى: الإرادة الكونية القدرية بمعنى المشيئة، وهي شاملة لجميع الكائنات، ولا تستلزم المحبة والرضى، ولا بد من وقوعها كما في قوله تعالى: "ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم" [هود:34].

الثانية: الإرادة الشرعية، وهي التي تستلزم المحبة والرضى، وقد تقع أو لا تقع، وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات، كما في قوله تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" [البقرة:185][1]، وقد اشتملت سورة الكهف على آيات عديدة وردت فيها صفة الإرادة الإلهية وذلك من خلال مجرى قصة موسى عليه السلام والخضر، كما في قوله تعالى في قصة الغلامين: "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك" [الكهف:82]، وقوله تعالى عن الخضر في قصة خرق السفينة: "فأردت أن أعيبها"]الكهف:79]، وقوله تعالى في قصة قتل الغلام: "فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما" [الكهف:81]، إلا أن القرطبي لم يتعرض لصفة الإرادة الإلهية بالتفصيل والبيان، وإنما أشار إليها إشارة بسيطة عند بيانه لوجوب تنزيه الله تعالى عن النقائص والآفات، فبيّن القرطبي أنه لا يُضاف إلى الله سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، تأكيداً منه على وجوب تنزيه المولى سبحانه عن النقائص والآفات، ويظهر ذلك جلياً عند قوله في المسألة الثانية: "وإن قال قائلٌ: كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى، وقال في خرق السفينة (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) [الكهف:79]، فأضاف العيب إلى نفسه؟"[2] فأجاب القرطبي بما يفيد وجوب التأدب مع الله سبحانه وتعالى في استخدام الألفاظ المضافة إليه

---

1 انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج8، ص188-189، 197-198. ابن القيم، محمد بن ابي بكر، (ت751هـ)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دون طبعة، (تحقيق الحساني عبدالله)، دار التراث، القاهرة، ص549-551.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 357.

إلاّ بما هو أكمل وأحسن فقال: "لما كان ذلك خبراً كله أضافه إلى الله تعالى، وأضاف عيب السفينة إلى نفسه؛ رعاية للأدب، لإنها لفظةُ عيب، فتأدب بأن لم يُسند الإرادة فيها إلاّ إلى نفسه، كما تأدّب إبراهيم عليه السلام في قوله:" وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" [الشعراء:80]، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى نفسه، إذ هو معنى نقص ومصيبة"[1].

فأثبت القرطبي أن لله إرادة تتعلق بالخير والشر، لكن تأدُّباً مع الله سبحانه نصفه بالخير دون الشر وإن كان الخير والشر بيده، ولذا قال القرطبي: "وهذا كما قال تعالى (بيدك الخير) واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، إن كان بيده الخير والشر والضرر والنفع، إذ هو على كل شيء قدير، وهو بكل شيء خبير"[2].

ويظهر من خلال كلام القرطبي السابق إثباته لصفة الإرادة لله تعالى، وأن الخير والشر كلاهما مخلوقان مقدران لله تعالى، لا يكون شيء منهما إلا بإذنه، فهو سبحانه خالقهما جميعاً، غير أن الشر لا يضاف إلى الله تعالى على انفراد لما فيه من توهم النقص والعيب، وهو ما نزه عنه القرطبي ربه جلّ وعلا.

وتأكيداً منه –رحمه الله تعالى– على أن أسماء الله عزوجل وصفاته توقيفية من الكتاب والسنة، ولا يجوز لنا أن نطلق على الله سبحانه مالم يسمّ به نفسه أو يصف به ذاته العلية قال: "ولله تعالى أن يطلق على نفسه مايشاء، ولا نطلق نحن إلاّ ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة"[3]، ثم ختم

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 357.
2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.
3 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 358.

قوله بما يُبدي الحكمة من النهي السابق وهو مزيد التنزيه والتعظيم لله تعالى فقال: "جلّ وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً"[1].

خامساً: صفة القدرة

ورد في سورة الكهف من صفات الله عزوجل القدرة، وذلك في قوله تعالى: "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا" [الكهف: 45]، وإن كان لله عز وجل عموم القدرة المطلقة إلاّ إنه وبما أنّ سياق الآيات كان عن الموت والإحياء لذلك ناسب أن يفسرها القرطبي بأنها القدرة على الإنشاء والإفناء والإحياء[2]، ولم يعلق القرطبي على لفظة "كان" في هذه الآية لكنه ذكر في سورة النساء عند قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا" [النساء:43] أي "لم يزل كائناً يقبل العفو"[3]. وكذلك لم يعلق القرطبي على ما يتعلق بشمول القدرة الإلهية وما يتصل بها من مقدورات، كما ذكر في اثبات القدرة لله عزوجل عند تفسيره لقصة صاحب الجنتين في قوله تعالى "لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" [الكهف: 38]، قال: "يحتمل أنه أراد لا أرى الغنى والفقر إلا منه وأعلم أنه لو أراد ان يسلب صاحب الدنيا دنياه قدر عليه)[4]، ومعنى ذلك أن نفى القدرة عن الله عزوجل هو إشراك بالله تعالى من حيث أن في ذلك النفي تعجيز للرب سبحانه، ومن أعجز الرّب فقد شبهه بالخلق العاجزين، والتالي كان في ذلك إشراك بالله سبحانه تعالى، وهو ما وضحه القرطبي بقوله: "ويحتمل أنه أراد:

---

1 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص291.

3 القرطبي، **الجامع**، ج6، ص399.

4 المصدر نفسه، ج13، ص279

جحودك البعث مصيره إلى أنّ الله تعالى لا يقدر عليه، وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى، ومن عجّزه سبحانه وتعالى شبهه بخلقه، فهو إشراك".[1]

سادساً: صفة العلم

ورد من الصفات الإلهية في سورة الكهف صفة العلم، وقد أثبتها القرطبي لله عزوجل، وأن العباد لا يعلمون إلاّ بما أعلمهم الله به عزوجل، فقال في تفسيره قوله تعالى عن أهل الكهف ومدة لبثهم: "قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا" [الكهف: 26]: "أي لا يعلم علم ذلك إلاّ الله أو من علّمه ذلك (له غيب السماوات والأرض)[2]. ولذا قال القرطبي: "كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أنا من ذلك القليل، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم"[3]، وذلك أن الله تعالى رد علم عدة أهل الكهف إليه سبحانه، وأخبر أن عالم ذلك من البشر قليل.

أما صفة الخشية فقد نزّه القرطبي – رحمه الله تعالى– ربه عن نسبة الخشية على ظاهرها إليه في قوله تعالى:" فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" [الكهف:80]، فأوّل صفة الخشية في الآية إلى معانٍ:

أولها: بمعنى العلم فقال: "(فَخَشِينَا) أي: فعلمنا".

ثانيها: بمعنى بالكراهة، فقال:" كان يُقال: فرّقتُ بينهما خشية أن يقتتلا، أي: كراهة ذلك".

---

1 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 254.

3 انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 248.

ثالثها: "أنها استعارة على المخلوقين أي: "على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين"[1].

سابعاً: صفتا السمع والبصر

فسر الإمام القرطبي قوله تعالى: "أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ" [الكهف: 26]، بإثبات السمع والبصر لله تعالى فقال: "أي: ما أبصره وأسمعه وهذه عبارات عن الإدراك"[2].

وفي نهاية هذا المبحث يتبين للباحثة تنزيه القرطبي -رحمه الله تعالى- للذات الإلهية عن الشبيه والمثيل وذلك بتمسكه بمنهج الأشاعرة في الفكر واعتمادهم في أدلتهم على كل من الدليل العقلي والنقلي بما يقرر قاعدة التنزيه في نظرهم. فتأويل القرطبي للصفات المذكورة في سورة الكهف إنما كان هدفه تقرير التنزيه بحيث يتفق مع ما ورد في القرآن عن ذات الله تعالى مع ما لذات الله تعالى من نفي المثل والشبيه[3]، كما نزه القرطبي ربه عن الشريك والولد وعن كل نقص يقدح في ربوبية المولى عزوجل وإفراده بالخلق والملك والتدبير. وتنزيه الله عزوجل في أسمائه وصفاته يقتضي إثبات ربوبيته على خلقه مما يستلزم إفراده بالعبودية، وهذا ما سنبينه في مبحث توحيد الله عزوجل، وبالله التوفيق.

---

1 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 352.

2 انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص254. ومعنى الإدراك أي "احاطة الشيء بكماله "أي أن الله تعالى سميع بصير بسمع وبصرٍ هما ليسا نفس علمه. الجرجاني، **التعريفات**، ص15. انظر في معنى الإدراك، الأشعري، **اللمع**، ص330.

3 انظر: راجح الكردي، **علاقة صفات الله تعالى بذاته**، ط2، دار الفرقان، الأردن، 1989م، ص 183-193.

المطلب الثالث: توحيد العبادة

عبادة الله تعالى وحده لا شريك له هي الوظيفة التي خلق العباد لتحقيقها، ويدل على ذلك قوله تعالى: "وما خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبدون". [الذاريات : 56]، قال القرطبي: "أي ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا"[1]، ومعنى " لا إله إلاّ الله " أي لا معبود بحق إلاّ الله، فهي تشتمل على نفي وإثبات، نفي الإلهية عمّن سواه، وإثباتها لله وحده لا شريك له، وقد وافق القرطبي قول السلف ونهج نهجهم، في معنى "(لا إله إلاّ الله)، أي لا معبود بحق إلاّ الله. وهو ما ذهب إليه القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: " وإلهكم إله واحد، لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم" [البقرة: 163]، قال: "(لا إله إلا هو) نفي وإثبات، أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلاّ الله"[2].

وبيّن القرطبي أن أصل الشرك هو الشرك في الإلهية، وهو شرك الجاهلية، حيث نقل عن علمائه، أن أصل الشرك هو شرك الإلهية فقال: " وأصله اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ". [النساء: 48][3].

وبناءً على مفهوم توحيد العبادة عند الإمام القرطبي، ذكر من المسائل التي تتعلق بتوحيد الألوهية ما يؤكد على أهمية هذا التوحيد ووجوب الخلوص في الأعمال والعبادات لله تعالى وحده، فذكر مسألة الرياء، والسجود لغير الله، واتخاذ القبور مساجد، والتوكل على الله، وهو ما سنوضحه في المطلب الثاني.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 19، ص 508.

2 القرطبي،. **الجامع**، ج2، ص 489.

3. القرطبي، **الجامع**، ج 6، ص299.

المطلب الرابع: مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

أولاً: التحذير من شرك الرياء

قال تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " [الكهف: 110]. فبعد أن بين القرطبي في تفسير هذه الآية من أن الرسل جاؤوا لإبلاغ الناس بأنه لا إله إلاّ الله، ذكر أنه لا بد من إخلاص العبادة لله تعالى، وأورد قول الماوردي[1] حيث قال: "وقال جميع أهل التأويل: معنى قوله تعالى " وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " أنه لا يرائي بعمله أحدًا" [2].

وذكر القرطبي في أسباب نزول هذه الآية ثلاثة أحاديث فيها بيان صورة من صور الرياء المتعددة، وهذه الأحاديث هي: قول ابن عباس [3]: "نزلت في جندب بن زهير العامري [4]، قال: يا رسول الله أني أعمل العمل لله تعالى، وأريد وجه الله تعالى، إلاّ أنه إذا اطلع عليه سرّني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن

---

1 هو الإمام، أقضى القضاة علي بن محمد الماوردي الشافعي، صاحب التصانيف، منها كتاب في التفسير " **النكت** "و " **أدب الدنيا والدين** " و " **الأحكام السلطانية** " وغيرها كثير، مات سنة خمسين وأربع مئة في بغداد، وعمره ست وثمانون سنة، قال الخطيب : كان ثقة. انظر ترجمته في: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3، ص282–284. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص64، 67.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص399.

3 هو. ترجمان القرآن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا العباس، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، توفي سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة. انظر ترجمته في: ابن سعد، محمد بن سعد الزهري ت 230 هـ، **الطبقات الكبير**، ط1، ج60، تحقيق علي عمر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص 320، 347. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص331، 359. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852 هـ)، **تهذيب التهذيب**،. الطبعة الأولى، ج5، تحقيق مصطفي عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص 245 – 248.

4 هو جندب بن زهير بن الحارث الأزدي الغامدي، اختلف في صحبته وأنزلت فيه آخر آية من سورة الكهف. انظر : ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص 303. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص 175، 177. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج2، ص107– 108.

الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما شورك فيه]. وقيل قال رجل: يا رسول الله! أني أحب الجهاد في سبيل الله تعالى، وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية وقيل: جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقل شيء. فأنزل الله تعالى: (فَمَنْ كان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)" [الكهف: 110][1].

وهذه الأحاديث الثلاثة جاءت مشتملة على بيان وجه من أوجه الرياء، وهي أن العامل إذا كان في بداية عمله مخلصاً لله تعالى فيه، ثم أحب أن يرى عمله ويمدح عليه فيه كان ذلك رياءً وإشراكاً بالله تعالى في عبادته، وهو ما بينه القرطبي -رحمه الله تعالى- عندما أورد قولاً لسهل بن عبد الله التستري[2] ذكر فيه أوجه الرياء وصوره، فقال القرطبي: "قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: الرياء على ثلاثة وجوه: أحدها: أن يعقد في أصل فعله لغير الله، ويريد به أن يُعرف أنه لله، فهذا صنف من النفاق، وتشكك في الإيمان، والآخر يدخل في الشيء لله فإذا اطلع عليه غير الله نشط، فهذا اذا تاب يريد أن يعيد جميع ما عمل، والثالث: دخل في العمل بالإخلاص، خرج به لله، فعرف بذلك ومدح عليه، وسكن إلى مدحهم، فهذا الرياء الذي نهى الله عنه"[3] وقد تنوعت الأعمال الصالحة في تلك الأحاديث الثلاثة المذكورة مما يدل على أن

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص398. لم أقف على تخريجه وانما ذكره الواحدي في كتابه، انظر: الواحدي، علي بن محمد (ت 468 هـ) ، **أسباب النزول**،. دون طبعة، المكتبة الثقافية، بيروت، 1989م، ص 172. وهذا الحديث لم تعثر عليه الباحثة.

2 هو أبو محمد، سهل بن عبد الله التستري، شيخ العارفين، الصوفي الزاهد، ولد سنة مئتين للهجرة في تستر، له كلمات نافعة في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعايب. انظر: أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دون طبعة، ج10، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص189-190. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص331-333.

3 القرطبي، **الجامع**، ج6، ص301.

الرياء يشمل ذلك وغيرها من الأعمال، وهذا ما علق به القرطبي على إيراده لتلك الأحاديث في سبب نزول الآية من آخر سورة الكهف فقال: "قلت: الكل مراد، والآية تعم ذلك كله وغيره من الأعمال"[1]. ثم أحال القرطبي القارئ إلى موضع آخر من سور القرآن الكريم توسع فيه بالكلام على الرياء وما جاء فيه من الأخبار فقال: "وقد تقدم في سورة النساء الكلام على الرياء، وذكرنا من الاخبار هناك ما فيه كفاية"[2]. وذكر القرطبي معنى العبودية ووجوب الإخلاص لله في كل عمل، وتصفية الأعمال من شوائب الرياء وغيره، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء : 36] ، "العبودية: وهي التذلل والافتقار لمن له الحكم والاختيار، فأمر الله تعالى عبادة بالتذلل له والإخلاص فيه، فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى، وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره قال الله تعالى: " فَمَنْ كان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " [الكهف: 110]"[3].

ويظهر أهمية توحيد الألوهية عند الإمام القرطبي وتصفيته من جميع الشوائب والقوادح التي تؤثر فيه من خلال اهتمامه ببيان أثر الرياء على الأعمال إذ يقول: "قال بعض علمائنا إنه من تطهر تبرداً أوصام مجماً[4] لمعدته ونوى مع ذلك التقرب، لم يجزه، لأنه مزج في نية التقرب نية دنيوية، وليس لله إلا العمل الخالص كما قال تعالى: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " [الزمر:3]"[5]. وقد توسع في ذكر الآيات والأحاديث الدالة

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 398.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص399.

3 القرطبي، **الجامع**، ج6، ص 297.

4 المجمة ما يجلب الراحة، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص106. **المعجم الوسيط**، ج1، ص137.

5. القرطبي، **الجامع**، ج6، ص 298. ذكر هذا الكلام ابن العربي في كتابه "أحكام القرآن" ثم قال: وهذا ضعيف فإن التبرد لله والتنظيف وإجمام المعدة لله، فإن كل ذلك مندوب إليه أو مباح في موضع، ولا تناقض الإباحة الشريعة. انظر: ابن العربي، محمد بن عبدالله (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، دون طبعة، ج1، (تحقيق محمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت،1996م، ص544.

على خطورة الرياء ووجوب إخلاص الأعمال والعبادات لله تعالى وحده. منها حديثٌ لأبي هريرة[1] قال فيه: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه]"[2].

وينقل القرطبي عن علمائه قولهم: إن الشرك ثلاث مراتب: وكله محرم وأصله: اعتقاد شريك لله في ألوهيته ... ويليه في الرتبة: اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهاً، كالقدرية مجوس هذه الأمة[3]، وإنما جعلهم الرسول صلى الله عليه وسلم مجوساً لمضاهاة مذهب القدرية مذهب المجوس في قولهم بالأصلين: الظلمة والنور، وبأن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى العباد فكانهم يثبتون خالقين اثنين، وهذا شرك[4].

---

1 الإمام الفقيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلف في اسمه والأرجح أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، حمل علماً كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، صحب النبي صلى الله عليه وسلم 4 سنين، مات سنة تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة، ودفن بالبقيع. انظر : ابن سعد، **الطبقات**، ج5، ص 230، 258. الذهبي، **السير**، ج 2، ص 578، 630.

2 أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، ج4، كتاب الزهد. والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم 2985، ص 2298.

3 القرطبي، **الجامع**، ج6، ص299. والحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم]. رواه أبو داوود، **كتاب السنة**، باب في القدر، حديث رقم 4691 ص 66. وقال وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر من طرق ليس فيها شيء يثبت، وذكره السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (ت 911 هـ)، **اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، الطبعة الأولى، ج1، (تحقيق صلاح عويضة)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص 236 – 240. وقال ينتهي بمجموع طرقة إلى درجة الحسن. والقدرية : هم الذين ينفون قدر الله، وهو علم الله الأزلي، ويزعمون أن العبد خالق لفعله انظر : الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص 43، 45. الجرجاني، **التعريفات**، ص 122، **الموسوعة المفصلة**، ج1، ص 311.

4 انظر : الخطابي، حمد، **معالم السنن**، ج 4، ص293. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458 هـ)، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، الطبعة الأولى، (تحقيق أحمد أبو العينين)، دار الفضيلة، الرياض، 1999م، ص 316. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص 263.

ثم ذكر القرطبي ثالث مرتبة من مراتب الشرك وهي الرياء قائلاً: "الإشراك في العبادة، وهو الرياء، وهو أن يفعل شيئاً من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره، وهذا هو الذي سيقت الآيات والأحاديث لبيان تحريمه، وهو مبطل للأعمال"[1].

هذا الرياء هو الشرك الخفي الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه عن أبي سعيد الخدري[2] قال: [خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قال: فقلنا: بلى يا رسول الله! فقال: [الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل][3]، ولخفائه وقوة الداعي إليه وعسر التخلص منه، لما يزينه الشيطأن والنفس الأمارة في قلب صاحبه كان الرياء أخوف من المسيح الدجال وأعظم خطراً[4].

وهكذا نبه الإمام القرطبي على أهمية إخلاص العمل لله، وأنه لا بد لقبول العمل من تنقيته من الشرك والرياء، وذلك لمنافاتهما للتوحيد، وكما أن الله واحد لا شريك له، قد تفرد بالربوبية، فكذا يجب أن يفرد بالعبودية وتكون العبادة له وحده لا شريك له[5]، لذا كانت حقيقة الإخلاص عند القرطبي هي: "تصفية الفعل

---

1 القرطبي، الجامع، ج6، ص 299.

2 سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري، كان من الحفاظ المكثرين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة أربع وسبعين من الهجرة. انظر : القرطبي، يوسف بن عبد الله ت 463 هـ. ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج4، دون طبعة، (تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 235. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج5، ص 211.

3 أخرجه أحمد في مسنده، أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج3، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991م، مسند أبي سعيد الخدري . حديث رقم 10859، ص : 41. وأخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد (275 هـ)، **سنن ابن ماجه**،. دون طبعة، ج2، (تحقيق محمد عبد الباقي) ، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، حديث رقم 4204، ص 1406. وفي الزوائد إسناده حسن.

4 ابن عبد الوهاب، سليمان عبد الله (ت 1233هـ)، **تيسير العزيز الحميد**، دون طبعة، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص 471.

5 انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ)، **مدارج السالكين**، ط1، ج3، (تحقيق أحمد الرفاعي ، عصام الحرستاني)، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص 494. عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد**، ص 465.

عن ملاحظة المخلوقين"[1] ونقل القرطبي عن علمائه بأن الرياء يفضي بصاحبه إلى استهزاء الناس به فقال: "وقال علماؤنا رضي الله تعالى عنهم: وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به"[2] ثم ذكر ما جاء في ذلك من حكايات فقال " وحكى الأصمعي[3] أن أعرابيا صلى فأطال، وإلى جانبه قوم. فقالوا: ما أحسن صلاتك؟! فقال: وأنا مع ذك صائم"[4] ".

وهكذا نرى الإمام القرطبي قد توسع في ذكر الرياء وما جاء فيه من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء، وما ذلك إلاّ لخطورة الرياء، وقوة ضرره على النفس حتى ابتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، ولم يسلم منه إلا الصديقون. ولذلك ذكر القرطبي ما روي عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال : [هو فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم]"[5].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 2، ص423.

2 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص400.

3 هو عبد الله بن قريب بن عبد الملك، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، وكان أعلم الناس في فنه، صدوق، وكانت له تصانيف ونوادر كثيرة، توفي سنة ست عشرة ومائتين، وله ثمان وثمانون سنة. انظر : الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 10، ص409، 418. السمعاني، **الأنساب**، ج10، ص 177، 178.

4 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 401.

5 انظر : القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 401. الحديث أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم رقم (716). انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، **الأدب المفرد**، ط4، م1، (تحقيق محمد ناصرالدين الألباني)، مكتبة الدليل، الجبيل،1997م، ص266، وقال الألباني: صحيح.

وقد أحال القرطبي إلى كتاب " الرعاية " للمحاسبي[1] لمن أراد الاستزادة من موضوع الرياء وما يتعلق به[2]، وهذا من منهجه رحمه الله فإنه كثيراً ما يحيل إلى كتب العلماء ويحيل إلى مؤلفاته هو أحياناً.

ثانياً: تحريم بناء المساجد على القبور

جاءت النصوص بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، أي بالنهي من أن تعظم القبور كما تعظم المساجد[3]، قال ابن تيمية[4]: "واتخاذها مساجد يتناول شيئين: أن يُبنى عليها مسجدٌ أو يُصلَّى عندها من غير بناء"[5] فمما ورد في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: "قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مرضه الذي لم يقم منه: [لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً]"[6].

وقد نص القرطبي على حرمة اتخاذ القبور مساجد، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: " لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا" [الكهف: 21] قائلاً: "وتنشأ هنا مسائل ممنوعة وجائزة، فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها

---

1 هو الحارث أبن أسد المحاسبي البغدادي الصوفي، ولد بالبصرة، وله كتب في الزهد والأصول، وله كتاب " الرعاية " وتوفي سنة 243 هـ. انظر : الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج8، ص 207، 211. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج2، ص 57، 58. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 11، ص 257.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 296. ذكر المحاسبي الرياء وصوره في كتابه الرعاية. انظر: المحاسبي، الحارث بن أسد (ت243هـ)، **الرعاية لحقوق الله**، ط1، (تحقيق عبدالرحمن البر)، دار اليقين، مصر، 1999م، ص197-373.

3 انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط1، ج1، ص634.

4 هو احمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، أبو العباس ابن تيمية، المفسر الحافظ، ذو التصانيف النافذة، صنف في فنون العلوم توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة في سجن دمشق. انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج3، ص80. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج7، ص15.

5 ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**،. م4، ص448.

6 رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث رقم 1330، ص 279. ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم. 529، ج 1، ص 376.

والبناء عليها، إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه، ممنوع لا يجوز"[1]. ثم استدل بأحاديث منها: عن عائشة، أن أم حبيبة [2] وأمّ سلمة [3] رضي الله عنهن جميعاً، ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة][4]، ثم يقرر القرطبي حرمة اتخاذ قبور الأنبياء والعلماء مساجد، فيقول: "قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد "[5] ' واستدل له بحديث عن أبي مرثد الغنوي [6] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها][7]. قال القرطبي أي: " لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها، إليها، كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام"[8].

ثم بين القرطبي حرص النبي عليه الصلاة والسلام على حماية التوحيد وسد الذرائع المؤدية إلى الشرك فذكر قوله عليه الصلاة والسلام : [اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد]

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 242.

2 رملة بنت أبي سفيان بن حرب، أم المؤمنين، ماتت سنة أربع وأربعين وقيل سنة اثنين وأربعين. انظر : ابن سعد، **الطبقات**، ج 10، ص 94، 98. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص 218، 223.

3 هي هند بنت أمية المخزومية، من المهاجرات الأول، دخل بها النبي سنة 4 من الهجرة، توفيت سنة إحدى وستين وعمرها أربع وثمانون سنة. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج 10،. ص 85-94. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص201- 210.

4 رواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ج1، حديث رقم 528، ص 375.

5 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 242.

6 هو كناز بن الحصين الغنوي، صحابي بدري، توفي بالمدينة في خلافة أبي بكر سنة اثني عشرة من الهجرة، وهو يومئذ ابن ست وستين سنة. انظر : ابن سعد : **الطبقات**، ج 3، ص 45. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج 4، ص 317.

7 رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، رقم الحديث 972، ج2، ص 668.

8 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 243.

[1] ثم ذكر ما روي في الصحيح عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال لرجل:" ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته][2] واستدل واستدل القرطبي بهذه الرواية على منع رفع القبور فقال:" قال علماؤنا: ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها"[3]، كذلك بين القرطبي – رحمه الله – حرمة تعلية القبور، وتفخيمها فقال: " وأمّا تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبها بمن كان يعظم القبور ويعبدها، وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال: هو حرام " [4] .

وهذا النهي مما اتفق عليه علماء أهل السنة، ووافقهم القرطبي في ذلك، قال ابن تيمية: " فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، واتفاق أئمة الدين"[5].

ثالثاً: تحريم السجود لغير الله تعالى:

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 243. الحديث أخرجه الإمام مالك في كتاب الموطأ، انظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، دون طبعة، م2، (تحقيق سليم الهلالي) ، مكتبة الفرقان، دبي، 2003م، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، حديث رقم 452 ، ص 72، 73. فيه عمر بن حجان وهو ضعيف.

2 القرطبي، **الجامع، ج13، ص243. والحديث** أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ج2، حديث رقم 969 ، ص 666.

3 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 243.

4 المصدر نفسه، نفس الجزء ص 244.

5 ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 27، 488.

في قوله تعالى: " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" [الكهف: 50] أحال القرطبي – رحمه الله تعالى– إلى تفسيره لها في سورة البقرة، وكثيراً ما يحيل إلى تفسيره لآيات عندما تتكرر بين السور قصداً منه إلى الاختصار وعدم الإطالة في تفسيره، وقد بين أن السجود معناه في كلام العرب التذلل والخضوع، وغايته وضع الوجه بالأرض [1]، وأكد أن السجود عبادة خالصة لله تعالى لا تكون لغيره فقال: " ولا خلاف أن السجود لا يكون إلا لله تعالى، لأن السجود عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله "[2].

ثم بين القرطبي سجود الملائكة لآدم منبهاً على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن سجود عبادة، وإنما كان ذلك السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، وقد بين القرطبي سجود الملائكة لآدم قائلاً: " فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض لآدم، كالسجود المعتاد في الصلاة، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع، وعلى هذا قيل: كان السجود تكريماً لآدم وإظهاراً لفضله، وطاعة لله تعالى، وكان آدم، كالقبلة لنا، ومعنى " لآدم " أي إلى آدم، كما يقال صلى للقبلة، أي: إلى القبلة"[3]

كما ذكر القرطبي عدم اختصاص آدم عليه السلام بالسجود دون غيره من جميع العالم، وأن السجود كان مباحاً بعد آدم عليه السلام حتى عصر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "والذي عليه الأكثر أنه كان مباحاً إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4] ونص على أن السجود للمخلوقين كان مباحاً إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم، واستدل على ذلك بما ورد في السنة من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود لغير الله تعالى فقال: بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له حين سجدت له الشجرة

---

1 انظر القرطبي، **الجامع**، ج1، ص434.

2 المصدر نفسه،نفس الجزء، ص431.

3 المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص436.

4 المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص437

والجمل: " نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل الشارد، فقال لهم: [لا ينبغي أن يسجد لأحد إلاّ لله رب العالمين][1]، ثم بين أن النبي صلى الله عليه وسلم "نهى عن السجود للبشر وأمر بالمصافحة "[2]، وقد أنتقد القرطبي على جهال الصوفية سجودهم لمشايخهم وهذا من منهجه رحمه الله تعالى في رده عليهم: " وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم، وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم، فنرى الواحد منهم إذا أخذه الحال[3] بزعمه يسجد للأقدام لجهله، سواء كان لقبلة أم غيرها جهالة منه، ضل سعيهم وخاب عملهم "[4] . وهذا حرص من القرطبي – رحمه الله – على وجوب إخلاص العبادة لله تعالى، وترك كل ما يقدح في خلوص العبادة لله، ونبذ كل صور الشرك وأنواعه.

رابعاً: التوكل على الله

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 437. والحديث أخرجه أحمد في مسنده، **مسند أنس ابن مالك**، حديث رقم 12203 بلفظ لايصلح لبشر أن يسجد لبشر....،ج3، ص633. وقال الهيثمي في زوائده: رواه أحمد وإسناده جيد. انظر: الهيثمي، علي ابن ابي بكر (ت 807 هـ) ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط1، ج9 ، (تحقيق محمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت:2001 ، حديث رقم (14153)، ص399.

2 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 437.

3 الحال: "معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب، أو حزن، أو بسط". الجرجاني، **التعريفات**، ص72. وانظر نحوه: الكاشاني، عبدالرزاق، (ت730هـ)، **معجم إصطلاحات الصوفية**، ط1، (تحقيق عبد العال شاهين)، دار المنار، القاهرة، 1992م، ص81. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (ت460هـ)، **الرسالة القشيرية**، ط1، ج1، (تحقيق عبد الحليم محمود، محمود الشريف)، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966م، ص193-194.

4 4 القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 438.

إن من أجّل العبادات وأعظمها تحقيقاً لمعاني العبودية والتوحيد هي عبادة التوكل على الله عز وجل، وهي عبادة الصادقين وسبيل المخلصين[1]، وحقيقة التوكل هو "صدق اعتماد القلب على الله عزوجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها"[2].

وقد بين القرطبي معنى التوكل في اللغة بقوله: " والتوكل في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير، وواكل فلان: إذا ضّيع أمراً متكلاً على غيره"[3]، وفي سورة الكهف عند قوله تعالى "فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا"[4] قال القرطبي: "قوله (آتِنَا غَدَاءَنَا) فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار رد على الصوفية الجهلة الأغمار الذين يقتحمون المهامة والقفار زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار"[5] وفي كلامه هذا ردٌ على جهلة المتصوفة وغيرهم ممن يزعم أن حقيقة التوكل يكون في ترك الأسباب بالكلية، وأن من أخذ بها زال عنه اسم التوكل. ولكي يؤكد القرطبي –رحمه الله تعالى– على أن السعي بالأسباب التي قدر الله تعالى المقدورات بها لا ينافي صدق التوكل عليه سبحانه؛ ضرب مثلاً في اتخاذ موسى عليه السلام الزاد في سفره فقال: "هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد" [6] ثم استدل على كلامه بما ورد في الصحيح فقال:

---

1 انظر: الغزالي، محمد بن محمد ت505 هـ، **إحياء علوم الدين**، ط1، ج2، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ص1540

2 ابن رجب، عبدالرحمن بن شهاب الدين ت 795 هـ، **جامع العلوم والحكم**، ط1، (تحقيق ماهر الفحل)، دار ابن كثير، بيروت، 2008م، ص915

3 القرطبي، **الجامع**، ج5، ص290.

4 الكهف: 62.

5 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص321.

6 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص291.

وفي صحيح البخاري[1] أن ناساً من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: "وتزودوا" [البقرة:197][2] ولم يكتف القرطبي –رحمه الله تعالى– بالرد على جهلة المتصوفة وانتقادهم في الاية السابقة فقط، بل انتقدهم أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: " فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا..." [3] فقال: "في هذه الآية دليل على سؤال القوت وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه خلافاً لجهال المتصوفة"[4].

وأنتقاد القرطبي لجهلة الصوفية في تركهم الأخذ بالأسباب وإطلاقه عليهم مسمى الجهلة من المتصوفة يدل على أنه يرى أن من الصوفية من هم على الكتاب والسنة، وأنهم محققون، وهذا ما صرح به بقوله: " وأن التوكل على لله هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماضٍ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الأسباب؛ من مطعم ومشرب، وتحرز من عدو، وإعداد الاسلحة، واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة، وإلى هذا ذهب محققو الصوفية"[5] وفي هذا إنصاف من القرطبي في عدم التعميم في الحكم على أحد، ثم بين رحمه الله تعالى أن تعاطي الأسباب لا يعني الركون إليها والالتفات إليها بالقلوب، وأن هذا هو عين قول محققي الصوفية فقال: "لكنه لا يستحق اسم المتوكل عندهم – اي محققو الصوفية– مع الطمأننية إلى تلك الأسباب والالتفات إليها بالقلوب؛ فإنها لا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضراً، بل

---

1 هو محمد بن إسماعيل أبن المغيرة، ولد سنة أربع وتسعين ومئة، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى المشهور بصحيح البخاري، وله تصانيف، اشتهر بحفظه وسعة علمه، توفي سنة ست وخمسين ومائتين. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12، ص391-471.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص321. رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب قول الله تعالى "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" م1، حديث رقم (1523)، ص206.

3 الكهف: 77.

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 335.

5 المصدر نفسه، ج5، ص291.

السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الأسباب فقد أنسلخ عن ذلك الاسم"[1] ولذا قال القرطبي: "التوكل: اعتمادُ القلب على الرب في أن يلم شعثه ويجمع عليه إربه، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر، وهذا هو الحق"[2] كما أورد قولاً لأحد علماء الصوفية ذكر من خلاله أن ترك الأسباب هو طعن في السنة فقال: "قال سهل[3]: من قال إن التوكل يكون بترك الأسباب فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4] وهذا ما صرح به القرطبي –رحمه الله تعالى– قائلاً: "القول بالأسباب والوسائط سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو الحق المبين والطريق المستقيم الذي انعقد عليه إجماع المسلمين"[5] ثم قال مستنكراً على من يدعي تحقيقه صحة التوكل على الله متجاهلاً الأخذ بالأسباب فقال: "فالعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل على التحقيق، ويقعد على ثنيات الطريق ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم"[6]. أنما كانت ردود الإمام القرطبي رحمه الله تعالى وانتقاده على جملة المتصوفة التزاماً منه بما اشترطه على نفسه. في مقدمة كتابه الجامع بالرد على أهل الزيغ والضلالات[7].

ولقد تبين للباحثة في نهاية هذا المبحث حرص القرطبي على أهمية الإخلاص في العبادة لله تعالى، وحرمة الرياء، وأنه مبطل للأعمال ومحبط لها، واستدل على ذلك بما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء والصالحين[8]، كما التزم القرطبي بما اشترطه على نفسه في مقدمة الكتاب من إضافة

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص291.

2 المصدر نفسه، ج15، ص387.

3 سبقت ترجمته في ص100.

4 القرطبي، **الجامع**، ج5، ص291.

5 المصدر نفسه، ج15، ص385.

6 المصدر نفسه، ونفس الجزء، ص386.

7 المصدر نفسه، ج1، ص7.

8 انظر : القرطبي، **الجامع**، ج6، ص 298، 302، ج 13، ص 399، 402.

الأقوال إلى قائليها مثال ذلك قوله: " وقال المأوردي[1]: ... " وقوله " ذكر هذه الفضائل الثعلبي"[2]، عند إيراده إيراده لفضائل آخر سورة الكهف. كما أنه يحيل أحيأناً إلى مؤلفات غيره من العلماء كإحالته في مسألة الرياء إلى كتاب " الرعاية " للمحاسبي مع ثنائه عليه. وأورد بعض الحكايات في حديثه عن الرياء وأنه يفضي بصأحبه إلى استهزاء الناس به. وكذلك انتقد القرطبي –رحمه الله تعالى– على جهال المتصوفة تعلقهم في القيام والقول بقوله تعالى: " إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" [الكهف:14]، واستباحتهم بناءً على تلك الآية للرقص، فقال في انتقاد فعلهم هذا، " قلت: وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء. أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام، والرقص بالأكمام، هيهات! بينهما والله ما بين الأرض والسماء، ثم هذا حرام عند العلماء"[3]. ثم بين أن الرقص والتواجد هو دين الكفار بعباد العجل[4].

ومن منهجه ايضاً أنه كثيراً ما يحيل إلى سور أخرى شرح فيها المسألة العقدية المرادة بتوسع وإسهاب، حرصاً منه على عدم التكرار في كلامه، كقوله: " وقد تقدم في " سبحان" – أي سورة الاسراء– عند قوله: " ولا تمش فى الأرض مرحاً ما فيه كفاية "[5] وفي قوله تعالى: " ربُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا" [الكهف: 14] دلالة على أن توحيد الربوبية يقتضي توحيد، الألوهية إلا أن القرطبي – رحمه الله تعالى– لم يتطرق لهذا المعنى.

---

1 سبقت ترجمته في ص99.

2 هو أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، صاحب التفسير، له كتاب " التفسير الكبير " وكتاب " العرائس " في قصص الأنبياء، كان صادقاً حافظاً بارعاً في العربية، توفي سنة سبع وعشرين وأربع مئة. انظر : ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص 79، 80. الذهبي، **أسير أعلام النبلاء**، ج17، ص437. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج7، ص307، 308.

3 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 224.

4 انظر: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 225

5 المصدر نفسه، ج13، ص 224، وانظر : ص 398، 399، 401.

ومن المسائل العقدية الواردة في سورة الكهف والتي لم يتطرق إليها الإمام القرطبي بتفسير أو إحالة إلى موضع سابق:

1- قوله تعالى " أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا " [الكهف:37-38]، يبدو أن الكفر معناه الجحود في هذه الآية فلا يكون مقابلاً للشرك بل صاحب الجنتين المذكور بالآية يعرف الله، لكنه يشرك به، ومن هذه الآية يتبين أن الكفر أنواع منها الاعتقادي المخرج من الملة والموجب الخلود بالنار، ككفر صاحب الجنة الذي أخبرنا الله تعالى أنه كفر بمجرد شكه في أن جنته -اي بستأنه- لن يبيد أبداً، وشكه في قيام الساعة. والنوع الثاني من أنواع الكفر هو الكفر العملي والذي لا يخرج صاحبه عن الملة إلا أنه موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود بالنار، وأرى أن جهل الناس في عصرنا الحالي في أنواع الكفر وجهلهم بأقوال العلماء في بيان مسائل الكفر ساعد على انتشار التكفير بين المسلمين بصورة واسعة بلا علمٍ بضوابط التكفير ومسائله[1].

2- وقوله تعالى: " يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا " [الكهف: 42]. لم يشرحه القرطبي ولم يعلق عليه.

وبعد أن تعرفنا إلى أهمية توحيد الله تعالى، وحرص الإمام القرطبي على سد باب الشرك وكل ما يقدح في كمال التوحيد لله تعالى وحده، ننتقل لبيان حقيقة أفعال العباد وعلاقتها بالقدر، من خلال معتقد القرطبي، خاصة إذا علمنا أن توحيد الربوبية والعبودية يقتضي الإيمان بطلاقة القدرة والحكمة الإلهية معاً، مما يقتضي كذالك الإيمان بأن الخالق هو الله عز وجل، وأن كل ما في الكون هو على تقديره ومشيئته

---

1 ابن بطة، عبيدالله، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، ج2، ص723-737. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج7، ص524، 537. ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص309.

وخلقه بقدرته، وأنه لولا الله ما وجد أحد سواه، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله [1]. وهذا ما سنوضحه في المبحث الآتي، وبالله التوفيق.

1 انظر : الرضواني، محمود عبد الرازق، **منة القدير**، الطبعة الأولى، ج1، شركة البحيرة، القاهرة، ص 518.

المبحث الرابع

القدر وأفعال العباد

المطلب الأول : القدر

الكون كله يسير وفق قضاء الله وقدره بحسب العلم الإلهي والمشيئة والكتابة والخلق، ولا يخرج عن ذلك قدر أنملة ولا أصغر من ذلك، والله عز وجل خالق جميع الموجودات، وأفعال جميع الكائنات، ومن ضمنها أفعال العباد، ولذلك كان الارتباط بين القدر وأفعال العباد لتعلق كلاهما بالآخر. كما أن مشيئته سبحانه سارية في الكون، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء، وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وأجمعوا عليه[1]، وخالفهم في ذلك فرقتان:

الفرقة الأولى: القدرية: وهم على قسمين[2] : القسم الأول: وهم الذين ينفون علم الله الأزلي الأبدي بكل شيء، وما العباد عاملون وإليه صائرون، وينكرون المشيئة الشاملة والقدرة التامة لله، ويزعمون أن الأمر أنف، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، إنما يعلمه بعد وقوعه وهؤلاء هم الغلاة، وقد انقرضوا ولم يبق منهم أحد. والقسم الثاني: وهم جمهور المعتزلة فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم، "وينكرون أن الله خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات"[3]، أي يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله.

---

1 انظر: الباقلاني، **الإنصاف**، ص 201 – 204. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458 هـ)، **الجامع لشعب الإيمان**، دون طبعة، ج 1، (تحقيق عبد العلي حامد)، الدار السلفية، الهند، 2008م، ص 352، 358. ابو اليسر البزدوي، محمد بن محمد (ت493هـ)، **أصول الدين**، بدون طبعة، (تحقيق هانزبيترلنس)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2003م، ص51 –52. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت 728 هـ)، **الوصية الكبرى**، ط 1، (تحقيق محمد النمري وعثمان ضميرية) ، مكتبة الصديق، الطائف، 1987م، ص54. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص 144، 146 ،243 – 244.

2 انظر: القاضي، **شرح الأصول الخمسة**، ص223، 340. البغدادي، **الفرق بين الفِرق**، ص 108. الجرجاني، **التعريفات**، ص 146. مجموعة من المحققين، **الموسوعة المفصلة**، ج1، ص 311، 313.

3 مجموعة من المحققين، **الموسوعة المفصلة**، ج1، ص 313.

والفرقة الثانية: هم الجبرية[1] : وهم ينفون أن يكون للعبد قدرة، أو إرادة أو اختيار، وأنه لا فعل له، وإنما هو مجبر على فعله، وأن افعال الخلق اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة وحركات الأشجار، وهم عكس القدرية نُفاة القدر.

وقد أشار القرطبي – رحمه الله تعالى– إلى إثبات مشيئة لله تعالى، ومشيئة للعبد، فأثبت مشيئة الله تعالى، وأن الهدى والضلال بيد الله عز وجل لا بيد الخلق، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ " [الكهف: 29] فقال: "قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: يا أيها الناس، من ربكم الحق، فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلالة، يهدي من يشاء، فيؤمن، ويضل من يشآء فيكفر، ليس إليّ من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء، وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من يشاء وإن كان غنياً..."[2] ثم أثبت القرطبي المشيئة للعبد بقوله: "ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا، وأن شئتم فاكفروا..."[3].

وقد أكد القرطبي على أن الهداية بيد الله عز وجل، وأنه لا يؤمن مؤمن ولا يكفر كافر إلّا بإرادته سبحانه، أي انه يثبت أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى" إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا " [الكهف: 57] قال: "أي: نحن منعنا الإيمان أن يدخل قلوبهم وأسماعهم، وعند قوله تعالى " وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى " [الكهف: 57] قال: أي إلى الإيمان، (فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا

---

1 مأخوذ من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية اثنان: متوسطة: تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية، وخالصة لا تثبت كالجهمية. الجرجاني، **التعريفات**، ص 66. وانظر: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص 174. الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص 85، 87. ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص 413. جماعة من المحققين، **الموسوعة المفصلة**، ج1، ص 579، 592.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص260.

3 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

أَبَدًا) [الكهف: 57]. وليؤكد القرطبي على ما يعتقده بأن الهداية والضلالة بيد الله عزوجل قال: "وهو يرد على القدرية قولهم"[1]. ويقصد القرطبي بعبارة "قول القدرية" أي زعمهم "أن الله لا يريد إلاّ الطاعة والإيمان، أما من كفر وعصى فقد أتى بما ليس بمراد الله تعالى"[2].

كذلك جاءت عدة آيات في سورة الكهف تثبت لله عز وجل مطلق المشيئة والإرادة والقدرة ومؤكدة لها، منها قوله تعالى: " وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " [الكهف:39]، فسرها القرطبي بما يثبت عموم مشيئة الله سبحانه تعالى وقدرته فقال: "أي ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع"[3] وقوله تعالى: " قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ولا أعصي لك أمراً" [الكهف: 69] اذ قال القرطبي في تفسيرها: "قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه لأن الصبر أمر مستقبل، ولا يدري كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه"[4] وهذا يدل أن الصبر والأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى وإرادته.

---

1 القرطبي **الجامع**، ج13، ص260.

2 الباقلاني، **الإنصاف**، ص217. وانظر نحوه: القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص431، 457، 459. الآمدى، **غاية المرام في علم الكلام**، ص 206. البغدادي، **أصول الدين**، ص 146 – 148. البيهقي، **الاعتقاد**، ص 190، 193. ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص 146، 244. البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص 154، 159.

3 القرطبي **الجامع**، ج13، ص280.

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص327.

المطلب الثاني: أفعال العباد

بالنسبة لموقف القرطبي من حقيقة أفعال العباد فقد أشار إشارة بسيطة لذلك في تفسيره لقوله تعالى: " قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " [الكهف: 69] فبعد أن بيّن سبب الاستثناء في الصبر دون المعصية قال: "ويمكن أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسباً لنا، بخلاف المعصية وتركها، فإن ذلك كله مكتسب لنا، والله أعلم"[1] فلعل القرطبي يعني بذلك أن أفعال العباد من الكسب[2]، وحتى نتبين صحة هذا الافتراض لا بد من استقراء موقفه من بعض الأيات المعنية بقضية أفعال العباد والأيات التي ورد فيها الكسب والاكتساب، فمما ورد من تلك الأيات قوله تعالى: " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم" [البقرة: 134]. قال القرطبي في تفسيرها: "وفي هذا دليل على أن العبد يضاف إليه أعمال وأكساب، وإن كان الله تعالى أقدره على ذلك، إن كان خيراً فبفضله، وإن كان شراً فبعدله، وهذا مذهب أهل السنة"[3].

وهنا نص منه رحمه الله بأن مذهب أهل السنة هو أن أفعال العباد هي خلقٌ من الله تعالى وكسب من العباد[4]، إلاّ انه يثبت أنه مع الأشاعرة فيما ذهبوا إليه في بيان حقيقة أفعال العباد بقوله: "فالعبد مكتسب

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 327.

2 الكسب في اصطلاح المتكلمين: ما وقع من الفعل مقارناً لقدرة محدثة واختيار. انظر: الأشعري، **اللمع**، ص69–80. البغدادي، **أصول الدين**، ص133. الجويني، **لمع الأدلة**، ص106–107. الغزالي، **قواعد العقائد**، ص193–200. الرازي، **المحصّل**، ص194–199. الإيجي، **المواقف**، ص311–316. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج2، ص353–360. البيجوري، **تحفة المزيد**، ص171–118. البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص161–164.

3 القرطبي، **الجامع**، ج2، ص 413.

4 الاختلاف بين الأشاعرة والسلفية هو في معنى الكسب، فالأشاعرة لا يقولون إن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ولكن مكتسبون لها بالقدرة الحادثة المقارنة للفعل، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل، بينما السلفية يقولون إن فعل العبد فعل له حقيقة وللعبد قدرة حقيقيه على الفعل. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ)، **خلق أفعال العباد**، ط1، (تحقيق بدر البدر)، الدار السلفية، الكويت، 1985م، ص 39 – 45. الباقلاني، **الإنصاف**، ص 201. البغدادي، **أصول الدين**، ص 134. البيهقى، **الاعتقاد**، ص 161. النسفي، ميمون بن محمد (ت 508هـ – 1110م)، **التمهيد لقواعد التوحيد**، دون طبعة، (تحقيق محمد الشافعي)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 2006م، ص 93، 94. ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص

لأفعاله، على معنى أنه خُلقت له قدرة مقارنة للفعل، يدرك بها الفرق بين حركة الاختيار وحركة الرعشة مثلاً، وذلك التمكن هو مناط التكليف"[1] فأوضح الإمام القرطبي أنّ وجود الفعل من العبد على الحقيقة هو بقدرة الله تعالى التي خلقها مقترنة بالفعل، أي أنّ للعبد قدرة حادثة مقترنة بالفعل، وهذا معنى الكسب عند الأشاعرة. ثم ذكر الطوائف التي ضلت في هذا الباب قائلاً: "وقالت الجبرية نفي اكتساب العبد؛ وإنه كالنبات الذي تصرفه الرياح، وقالت القدرية والمعتزلة خلاف هذين القولين، وإن العبد يخلق أفعاله"[2] ، وقد فرّق القرطبي بين الخلق والكسب تبعاً للأشاعرة[3]، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: (لها مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)[4]، "وفي هذه الأية دليل على صحة إطلاق أئمتنا على أفعال العباد كسباً واكتساباً، ولذلك لم يطلقوا على ذلك لا خلق ولا خالقاً، خلافاً لمن أطلق ذلك من مجترئة المبتدعة"[5].

وهنا يتبين مدى إطلاع القرطبي –رحمه الله– على آراء الفرق ومقالاتهم، فمعرفة آراء الفرق يستدعي الاطلاع على ما كُتب فيهم من كتب سابقة لعصره، وهذه إحدى إجراءات القرطبي العملية في تفسيره، كذلك صرح القرطبي في كتابه "التذكرة" بما ذهب إليه من القول بالكسب وأن الهداية والتوفيق من الله تعالى وبمشيئته فقال: "إذا كانت الهداية إلى الله مصروفة، والاستقامة على مشيئة موقوفة، والعاقبة مغيّبة، والإرادة

---

244. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، **منهاج السنة**، ط1، ج 2، (تحقيق محمد سالم)، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1986م، ص 298 – 299.

1 القرطبي، **الجامع**، ج 2، ص 413.

2 القرطبي، **الجامع**، ج 2، ص 413 – 414. وانظر نحوه: النسفي، **التمهيد في أصول الدين**، ص 94.

3 انظر: الجويني، **لمع الأدلة**، ص 107. الآمدي، علي بن محمد، (ت 631 هـ)، **أبكار الأفكار في أصول الدين**، م1، ط1، (تحقيق أحمد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 661، 671. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت 728 هـ)، **مجموعة الرسائل الكبرى**،ج1، دار الفكر، بيروت، ص 357. السفاريني، محمد بن أحمد، (ت 1188 هـ)، **لوامع الأنوار البهية**، ج 1، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1991م، ص 291.

4 البقرة: 286.

5 القرطبي، **الجامع**، ج4، ص 500.

غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وجميع قربك، فإنّ ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدّار عليك وخيره"[1].

وأخلص إلى القول بأن الإمام القرطبي –رحمه الله– قد وافق الأشاعرة في القول بالكسب في أفعال العباد، وهم من يقصدهم غالباً بعباراته بمثل قوله: "قال علماؤنا..."، وعبارة: "في هذه الأية دليل على صحة إطلاق أئمتنا..." هذا غاية في الأدب والتوقير للعلماء الكبار وعلمهم من الإمام القرطبي، كما أنه أثبت بأن الهداية والإضلال بيده سبحانه لا بيد خلقه، "وأنه لا يؤمن مؤمن ولا يكفر كافر إلاّ بإرادته سبحانه وتعالى، ولا يخرج مرادٌ عن مراده سبحانه، كما لا يخرج مقدور عن قدرته"[2]، ولذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى: " وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ " [الكهف: 55] قال: "أي ما منعهم عن الإيمان إلاّ حكمي عليهم بذلك، ولو حكمت عليهم بالإيمان آمنوا"[3].

كذلك في قوله تعالى: " مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ [الكهف: 39] ما يتعلق بمسألة أفعال العباد وأنه لا قوة للعبد إلاّ بالله تعالى ولذا أثبت القرطبي تلك المسألة بقوله: "أي ما اجتمع لك من مال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك"[4]، أما قوله تعالى: " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا " [الكهف: 17] على الرغم من أنها تشير إلى أن الهداية والإضلال بيد الله عزوجل إلا أن القرطبي لم يتطرق لها بتفسير ولا بيان[5]. كما أنّ من منهجه أنه يردُ على الفرق المخالفة كرده على القدرية في مسألة القدر

1 القرطبي، **التذكرة**، ص35.

2 الباقلاني، **الإنصاف**، ص 217.

3 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 310.

4 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص280.

5 لقرطبي، **الجامع**، ج13، ص226.

والمشيئة[1]، ولكن دون تفصيل لآراء الفرق أو مناقشة، بل يكتفي ببيان مذهبه في المسألة، ثم يُعقب بأنها ردٌ على المعتزلة أو القدرية.

وموقف القدرية والمعتزلة الخاطئ في مسألة القدر والمشيئة يعود إلى عدم فهمهم لإرادة الله ومشيئته فهما صحيحاً على الطريقة التي سار عليها السلف، وهي الإيمان بأن لله مشيئة وإرادة لا يخرج أي شيء عنهما فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كذلك يعود على عدم تفريقهم بين الإرادة والمحبة، ذلك أن الإرادة إما أن تكون كونية وهي تتعلق بكل شيء حتى معصية العاصي فلا يلزم منها التفرقة بين ما يحبه وما لا يحبه، وإما أن تكون الإرادة شرعية، وهي التي تتعلق بمحبة الله تعالى ورضاه عن الشيء[2]، وعلى هذا يكمن خطأ المعتزلة في كونهم لا يفرقون بين الإرادتين الكونية والشرعية، فيعتقدون أن كل ما أراده الله فقد أحبه، وبذلك توصلوا إلى أن المعاصي لا يريدها الله تعالى ولا يحبها، وبالتالي لم يأمر بها[3]. والحق في مسألة العباد والقدر هو ما هدى الله تعالى أهل السنة إليه فيما اختلف فيه الجبرية والمعتزلة من تلك المسألة وهو أن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير فيدخل في ذلك أفعال العباد وغير أفعال العباد[4]، وأن أفعال العباد هي من جملة مخلوقاته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والعبد فاعلٌ لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة فيستوجب العبد على فعله المدح والذم، لا يكون في ملكه تعالى إلا ما شاءه، ولا يكون في ملكه شيء إلا بقدرته وخلقه ومشيئته كل ذلك جاء بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[5].

---

1 لقرطبي، **الجامع**، ج13، ص 313.

2 انظر: أبن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص78،663، 677.

3 انظر: القاضي عبدالجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص80–81، 99.

4 المعتزلة يقولون أن أفعال العباد غير مقدورة. انظر: القاضي عبدالجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص77.

5 انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج8، ص43–44.

وبعد بيان منهج القرطبي واستدلالاته العقدية في جانب مسائل الإلهيات المذكورة في سورة الكهف ننتقل إلى بيان منهجه العقدي في مسائل النبوات المذكورة في هذه السورة، والله المستعان.

الفصل الثاني

مسائل النبوة في سورة الكهف ومنهج القرطبي في تفسيرها

تمهيد:

إن المسائل المتعلقة بالنبوات في سورة الكهف هي مسائل تتعلق بالنبوة والرسالة والولاية، والخضر بين النبوة والولاية، وصفات الرسل عليهم السلام الذاتية والخارجة عن ذواتهم، وفي السورة كذلك ذكر بعض خوارق العادات. وبيان هذه المسائل ومنهج القرطبي في تناوله لها فيما هو آت:

المبحث الأول: النبوة والرسالة وصفات الرسل عليهم السلام

المطلب الأول: النبوة والرسالة لغة واصطلاحا:

أولاً: النبوة والرسالة لغة:

وردت أصل كلمة نبي على أصلين اثنين أحدهما مهموز والآخر مشدد، فعلى الأصل المهموز لها ثلاثة أوجه: الأول: " من نَبّأ أو أَنْبأ وتعني خَبَّر أو أَخْبَر، والإنْباء: الإخبار، والنَّبيءُ: المُخْبِرُ عن الله وتركُ الهمز المختار"[1] والنَّبيء بهذا المعنى على وزن فعيل بمعنى فاعل، وجمعه نُبَآء، كما تجمع على أنبياء، ومن همز النَّبي، فلأنه أَنْبأَ عن الله عز وجل[2]. الثاني: من نَبأَ أي: ارتفع وظهر، ومن أرض إلى أرض خرج، يقال: نَبَأْتُ على القوم، إذا طلعت عليهم، ونَبَأْت من أرض إلى أرض، إذا خرجت من هذه إلى هذه[3] . الثالث

---

1 الفيروزآبادي، **القاموس المحيط،** ج1، ص 29.

2 ابن فارس، **مجمل اللغة،** ج3، ص 153.

3 ابن فارس، **معجم مقايس اللغة،** ج 5، ص 380. وانظر نحوه: الأزهري، **معجم تهذيب اللغة،** ج4، ص 3490.

من النَّبيءُ أي الطريق الواضح، والمكان المرتفع المحدودب[1]. كالنبيء، ومنه ما قيل: "لا تُصلوا على النَّبِئ أي الأرض المرتفعة المحدودبة أما على الأصل المشددّ فيرد على معنيين:

الأول: النَّبْوةُ والنَّباوةُ والنَّبيُّ: ما ارتفع من الأرض، والنَّباوة والنَّبْوة: الشرف المرتفع من الأرض، و"النَّبي: هو من أَنْبأ عن الله، فترك همزه: وإن أخذته من "النَّبْوة" و"النَّباوة" وهي الإرتفاع من الأرض لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز"[2] ، الثاني: من "النبيُّ وهو العَلَم من أَعْلام الأرض التي يُهتدى بها، ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله، وذلك لأنه يُهتدى به، وتصغيره "نُبَيّ" والجمع (أَنْبيآء) "والأجود ترك الهمز"[3] وقال صاحب الكليات: "النبي: في الأصل صفة، وهو بغير همزة من النبوة كالرحمة وهي الرفعة، والحق أنه مهموز اللام من النبأ، وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، وحقه أن يتعرّى عن الكذب"[4]، والتحقيق أن المعنى واحد، فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه، فلا يكون إلاّ رفيع القدر علياً"[5].

أما لفظ الرسول بمعنى (المُرسَل) بفتح السين فيطلق في اللغة على ثلاث معانٍ: الأول: الإرسال بمعنى التوجيه، وبه فسر إرسال الله أنبياءه[6] والاسم الرِّسالة والرَّسالة بكسر الراء وفتحها، والرسُول والرّسيل ورسول على وزن فعول، وما كان على وزن فعول أو فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثّل

---

1 الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج1، ص29.

2 الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج4، ص3489.

3 ابن منظور، **لسان العرب**، ج14، ص 30. الزبيدي، **تاج العروس**، ج10، ص 354 – 355.

4 أبي البقاء، **الكليات**، ص 900

5 ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (ت728هـ)، **النبوات**، ط1، (تحقيق عبدالعزيز الطويان)، أضواء السلف، الرياض، 1420هـ، ص882.

6 ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص 293.

صديق وعدو[1]. ثانياً: بمعنى المتابعة، قيل: "الرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة"[2]. ثالثاً: الانبعاث على التؤدة، ذلك أن "أصل الرِّسل الانبعاث على التؤدة، ويُقال ناقة رسلة: سهلة السير وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث"[3]، والرسول يُقال للقول المتحمل أي الرسالة، وتارة لمتحمل الرسالة أي الرسول، وقد يُراد برسل الله تارة الملائكة، وتارة أخرى يراد بها الأنبياء[4].

ثانياً: النبوة والرسالة اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف النبوة والرسالة اصطلاحاً بناءً على تعريفهم للنبي والرسول، وهل مفهومها واحد أم كل منها مغاير للآخر؟ فظهر نتيجة لذلك اتجاهان رئيسان، وهذان الاتجاهان أحدهما يقول بالتوحيد بين مفهومي النبي والرسول وأنهما مترادفان، وهو رأي المعتزلة وبعض الأشاعرة [5]، والآخر يقول بالتفريق بين بين مفهومي النبي والرسول، وهو رأي جمهور أهل السنة[6]، والفرق المميز بينهما هو التبليغ[7]، فعلى ذلك عُرّف كلاً من النبي والرسول بأنه: "إنسان أوحى الله إليه بواسطة جبريل أن يبلغ عامة الناس أو فئة منهم

---

1 الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت 502 هـ، 1108م)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط2، (تحقيق صفوان داودي)، دار القلم، دمشق، 1997م، ص 353.

2 ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص 284.

3 الراغب الاصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 352.

4 المصدر نفسه، ص 353، وانظر نحوه: الجوهري، **الصحاح**، ج4، ص1708 –1709.

5 انظر: القاضي، عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص 567. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص5.

6 انظر: الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ، 1058م)، **أعلام النبوة**، دون طبعة، (تحقيق طه سعد)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1971م، ص38–39. ابن تيمية، **النبوات**، ص714–719. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص5–6. السفاريني، **لوامع الأنوار**، ج1، ص 49 – 50.

7 "الخلاف ليس عاماً عند جمهرة علماء كل مذهب، كما أن الخلاف بين المساوين والمفرقين إنما هو أختلاف إجتهادي ظني الدلالة ولا يؤثر في حيثيات النبوة والرسالة". العمري، محمد نبيل، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، ط1، دار الفتح الأردن، 2015م، ص64.

أمراً من قِبل الله جل جلاله، فإن أوحى الله إليه بأمر ولم يأمره بتبليغه فهو نبي فقط"[1]، فالنبي أعم من الرسول. كما "أن الرسول له شريعة وكتاب فيكون أخص من النبي"[2]، ولابن تيمية كلام دقيق في هذه المسألة ملخصه: أن النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول"[3].

والراجح في مسئلة الخلاف في كون النبي غير مأمور بالتبليغ وإختصاص الرسول بالتبليغ هو: أن النبي والرسول كلاهما مأموران بالتبليغ فإن بعث في قومٍ مؤمنين فهو نبي، وإن أُرسل إلى قومٍ مخالفين أو كافرين فهو رسول[4]، دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: [ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوبٌ: كافر][5]

وقد وافق القرطبي جمهور أهل السنة في القول بالتفريق بين النبي والرسول، يظهر ذلك من خلال تفسيره لبعض آيات من سورة الكهف، فمن ذلك قوله في المسألة الثانية عند تفسيره لقوله تعالى: " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا " [الكهف: 66]، وبعد أن بيّن أفضلية موسى عليه السلام على الخضر قال: "في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبعاً للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يُظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول،

---

1 البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص 184.

2 التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص 6.

3 انظر: ابن تيمية، **النبوات**، ص 714.

4 انظر: المرجع نفسه، ص717. السفاريني، **لوامع الأنوار البهية**، ج2، ص265-269.

5 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، م1، حديث رقم (7131)، ومكرر حديث، (7127)، ص981.

والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان ولياً فموسى أفضل منه، لأنه نبي، والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبياً فموسى فضله بالرسالة، والله أعلم"[1] فهنا بيّن القرطبي أنه يفرّق بين النبي والرسول، كما أنه يُستنبط من قوله بأفضلية موسى على الخضر بالرسالة بأن الرسول هو من أُمِر بالتبليغ، كما نص في تفريقه بين النبي والرسول بتفسيره لقوله تعالى: " وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى " [الكهف: 82]، حيث قال في اثبات نبوة الخضر عليه السلام: "وقوله تعالى: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى)" يدل على نبوته، وأنه يوحَى إليه بالتكليف والأحكام كما أوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، غير أنه ليس برسول، والله أعلم"[2].

وكذلك رده على من زعم بأن معرفة أحكام الله تُعرف بطريق غير طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام حيث قال:"ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول"[3] ولمزيد تأكيد على تفريق القرطبي بين النبوة والرسالة، لا بد من إيراد قوله في بعض آيات القرآن التي ورد فيها لفظا النبي والرسول، حتى نتبين صحة الاستنباطات السابقة، ومن الآيات التي ورد فيها اللفظان قوله تعالى: "ا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ " [الأعراف: 157]، قال القرطبي: " والرسول والنبي اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي، وقُدم الرسول اهتماماً بمعنى الرسالة، وإلاّ فمعنى النبوة هو المتقدم ... وعلى هذا فكل رسولٍ نبي، وليس كل نبيٍّ رسولاً، لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام، وهو النّبأ، وافترقا في أمرٍ خاص، وهي الرسالة، فإذا قلت: محمد رسولٌ من عند الله تضمن ذلك أنه نبيٌّ رسول، وكذلك غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم" [4].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 326.

2 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 340.

3 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 359.

4 المصدر نفسه، ج9، ص 353.

المطلب الثاني: صفات الرسل عليهم السلام

اشتملت سورة الكهف على بيان بعض الصفات المتعلقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، منها ما يختص بذواتهم، ومنها ما هو خارج عنه، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: الصفات الخَلْقية:

وردت في سورة الكهف صفات تختص بذوات الأنبياء والرسل عليهم السلام وهي:

1. **البشرية:**

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يبعث إلى البشر رسلاً منهم، ليتمكنوا من الأخذ عنهم والاقتداء بهم، وليكون في بشرية الرسل عليهم السلام إبطال لحجة المخالفين والعصاة في اعتراضهم على أوامر الله عز وجل ونواهيه، فمن الآيات المؤكدة لبشريتهم في سورة الكهف قوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ " [الكهف: 110]. وقد قال القرطبي في تفسيرها: "أي لا أعلم إلا ما يعلمني الله تعالى، وعلم الله تعالى لا يحصى، وإنما أمرت أن أبلغكم بأنه لا إله إلا الله"[1].

بين القرطبي – رحمه الله تعالى– أن الله عز وجل قد خصّ أنبياءه ورسله بالوحي، وأنهم بشر لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به بالوحي، وبين بأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كسائر البشر لا قدرة لهم إلا بقدرة الله عز وجل، وذلك في قوله تعالى: "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً۞ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً..... قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً" [الإسراء: آية 93].

---

1 القرطبي: **الجامع**، ج 13. ص 398

قال القرطبي في تفسيرها: "قل لهم يا محمد "هل كنت" أي: ما أنا "إلا بشراً رسولاً" أتبع ما يوحى إليّ من ربي ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحداً من البشر أتى بهذه الآيات؟!. وقال بعض الملحدين: ليس هذا جواباً مقنعاً، وغلطوا؛ لأنه أجابهم فقال: إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتموني"،[1] وكذلك من صور بشريتهم عليهم السلام أنه يعتريهم ما يعتري البشر من الحزن والغضب والفرح وغير ذلك، وهذا ما أثبته القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " [الكهف آية 6] فقال: (باخع) أي مُهلك وقاتل، (آثارهم) جمع أثر...، والمعنى على أثر توليهم وإعراضهم عنك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي: القرآن (أسفاً) أي: حزناً وغضباً على كفرهم"[2] فأثبت رحمه الله تعالى أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يحزنون ويغضبون بحسب بشريتهم، والآية تشير كذلك إلى رحمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بأممهم؛ إلا أن القرطبي – رحمه الله تعالى – لم يشر إلى ذلك عند تفسير الآية.

وفي المقابل فالأنبياء على الرغم من بشريتهم فهم بشر ليسوا كسائر البشر، إذ إنهم منزهون عن النقائص وسيء الأخلاق، ولذا نزه القرطبي النبي عليه الصلاة والسلام عن حب الدنيا والتزّين لأهلها عند تفسيره لقوله تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " [الكهف 28]، فقال القرطبي: (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي: تتزين بمجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء من مجلسك"[3]، فلما ذكر القرطبي الظاهر من مفهوم الآية بأن انصراف الرسول صلى الله عليهم وسلم عن الفقراء المساكين ومجالسته لرؤسائهم كان طلباً للدنيا وزينتها، أوضح أن ذلك ليس المراد من

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 177.

2 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 207.

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص258

الآية فقال: "ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، ولكن الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله: " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ " [الزمر:65] وإن كان الله اعاذه من الشرك"[1].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الرغم من بشريتهم إلا أن الله عز وجل لم يجعل للشيطان عليهم سبيلاً كما جعله على سائر البشر[2]، ولذلك فهم منزهون عن كل ما هو من تسلط الشيطان وعمله ومن ذلك الاحتلام، فبين القرطبي – رحمه الله تعالى – أن الأنبياء لا يحتلمون وذلك عندما أورد خبراً في صفة يأجوج ومأجوج وخروجهم فقال: "وقال كعب الأحبار[3]. احتلم آدم عليه السلام، فاختلط ماؤه بالتراب فأسف، فخلقوا من ذلك الماء – فهم متصلون بنا من جهة الأب لا من جهة الأم،[4] ثم بين القرطبي رأيه في هذا الخبر قائلاً: "وهذا فيه نظر؛ لأن الأنبياء – صلوات الله عليهم – لا يحتلمون"[5].

ولأن النبوة أشرف مناصب الخلق، ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها، استحال أن يتصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالنقائص ورذائل الأعمال، وهذا المعتقد كان واضحاً جلياً عند الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، فعند قوله تعالى: " انْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا " [الكهف:

---

1 المصدر تفسه، نفس الجزء والصفحة

2 انظر، البيجوري، **تحفة المريد**، ص 139.

3 هو كعب بن ماتع الحميري، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله وسلم وحسن إسلامه، وكان خبيرا بكتب اليهود، ويروي كثيرا من الإسرائيليات، توفي في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص489-491

4 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 379.

5 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، وقد اعتمد القرطبي في رأيه على ما روي عن ابن عباس أنه قال: ما احتلم نبي قط، إنما الاحتلام من الشيطان. رواه الطبراني في الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الكبير**، دون طبعة، ج11، (تحقيق حمدي السلفي)، حديث رقم (11564)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص225. وأخرجه الهيثمي في زوائده، ج1، كتاب الطهارة، باب الاحتلام، ص373. وقال: فيه عبدالكريم بن ثابت هو على ضعفه.

77]، قال: "ويعفو الله عن الحريري[1] حيث استخف في هذه الآية وتمجن[2]، وأتى بخطل[3] من القول وزل، فاستدل بها على الكدية[4] والإلحاح فيها، وأن ذلك ليس بمعيب على فاعله، ولا منقصة عليه فقال: (وإن رددت فما في الرد منفعة عليك قد رد موسى قبل والخضر)"[5]. ثم رد القرطبي على هذا الاستدلال بما يحفظ مقام النبوة والولاية قائلا "وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام النبيين، وهي شنشنة أدبية، وهفوة سخافية"[6]، كما تبنّى الرأي القائل بأن الضيافة كانت واجبة على أهل القرية، وأن الخضر وموسى عليه السلام إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وذلك حتى ينزه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن سؤال الضيافة، وقد أفصح عن ذلك بقوله: "شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه، ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليه واجبة، وان الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء ومنصب الفضلاء والأولياء".[7]

2. صفة النسيان

---

1 هو القاسم بن علي البصري، له مصنفات مثل "درة الغواص في وهم الخواص" والمقامات، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 19، ص 460 – 465.

2 تمجن: الذي لا يبالي بما قال ويخلط الجد بالهزل. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج13، ص33.

3 الخطل: هو الكلام الفاسد الكثير المضطرب. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص205.

4 الكدية: حرفة السائل الملحّ، انظر: **المعجم الوسيط**، ط 4، مكتبة الشروق، 2004م، ص 780.

5 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 336.

6 المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

7 المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

إن إثبات صفة النسيان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينافي عصمتهم، لأنه من الأعراض البشرية الجبلية، إلا أن نسيان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وذلك بإجماع العلماء[1]. وأثبت القرطبي – رحمه الله تعالى – صفة النسيان للأنبياء عليهم السلام، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: " وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " [الكهف 24]. فيه مسألة واحدة وهو الأمر بالذكر بعد النسيان"[2] ثم أثبت وقوعه من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "وهذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي استفتاح كلام على الأصح، وليست من الاستثناء في اليمين بشيء، وهي بعد تعم جميع أمته؛ لأنه حكم يتردد في الناس لكثرة وقوعه، والله الموفق".[3]

أما عند تفسيره للآيات التي ذُكِر فيها النسيان في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، فلم يثبت القرطبي صفة النسيان لموسى عليه السلام، ولم يتطرق لقضية وقوع النسيان من الأنبياء عليهم السلام، فقال عند قوله تعالى: " لَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا " [الكهف 61] وقوله: "نسيا حوتهما" وإنما كان النسيان من الفتى وحده، ثم ذكر قولين في معناها فقال: "المعنى: نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله، فنسبت النسيان إليهما للصحبة، وقيل: إن النسيان كان منهما؛ لقوله تعالى: (نسيا) فنسب النسيان إليهما" [4]، فقدم المعنى الذي لا ينسب النسيان لموسى عليه السلام دلالة على اختياره لهذا المعنى، وذكر المعنى الثاني على سبيل الرواية دون الترجيح وبصيغه (قيل) وفيه إشارة إلى تضعيف هذا الرأي.

---

1 انظر: السفاريني، **لوامع الأنوار البهية**، ج2، ص304-305. البيجوري، **تحفة المريد**، ص139. عمر الأشقر، **الرسل والرسالات**، ط6، دار النفائس، الأردن، 1995م، ص101. حبنكة، **العقيدة الإسلامية**، ص337.

2 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 251.

3 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

4 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

ومع أنه لم ينسب النسيان لموسى عليه السلام في الآية السابقة إلا أنه نسب إليه في قوله تعالى: " قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ " [الكهف 73] حيث بين أن في معناها قولين فقال: "أحدهما: يروى عن ابن عباس قال: هذا من معاريض الكلام، والآخر: أنه نسي فاعتذر"[1]، ولم يرجح أحد القولين لكنه بيّن أن الإنسان غير مؤاخذ بنسيانه إذ قال: "ففيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره، ولو نسي في الثانية لاعتذر"[2] ويقصد القرطبي بذلك أن موسى عليه السلام لو نسي في الحالة الثانية وهي قتل الغلام لاعتذر وبذلك ينفي عنه النسيان في الحالة الثانية، وكانه كان ذاكرا للاتفاق المسبق بينهما بعد السؤال ولكن لعظم الموقف وشدة استنكاره له سأله. وقد أورد القرطبي ثلاث روايات في طريقة قتل الخضر للغلام، وحاول القرطبي أن يوفق بينها، ثم رجح الراوية الصحيحة قائلاً: "وحسبك بما جاء في الصحيح"[3].

---

1 القرطبي: **الجامع**، ج 13، ص 329.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

3 المصدر نفسه، نفس الجزء ، ص330.

ثانياً: الصفات الخُلُقية

لم يرد في سورة الكهف من صفات الأنبياء عليهم السلام الخارجة عن ذواتهم إلا صفة التبليغ، وهم مأمورون بها شرعاً، واصطفاهم الله لهذه المهمة، وقد أثبت القرطبي – رحمه الله تعالى – صفة التبليغ للنبي عليه الصلاة والسلام عند تفسيره لقوله تعالى" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ " [الكهف 110]. فقال: "أي لا أعلم إلا ما يعلمني الله تعالى، وعِلم الله تعالى لا يحصى، وإنما أمرت أن أبلغكم بأنه لا إله إلا الله"[1] وفي أثناء رد القرطبي على جهال الصوفية في اتخاذهم طريقاً آخر في أحكام الله الشرعية غير طريق الرسل عليهم السلام، أثبت القرطبي بأن أحكام الله وشرعه لا تكون إلا عن طريق رسله المبلغين عنه شرائعه وأحكامه فبيّن أن الله أجرى سنته، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تُعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصهم بما هناك، كما قال تعالى: " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "[الحج:75]، وقال تعالى: " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " [الانعام:124]. وقال تعالى: " كان النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ " [البقرة:213] " إلى غير ذلك من الآيات[2] واتصاف الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنهم صفوة خلق الله تعالى خصهم وميزهم بخصائص وميزات ليست موجودة في سائر البشر ولذا قال تعالى:"الله أعلم جيث يجعل رسالته" أي أنه أعلم بمن هو مأمون عليها وموضع لها. وشهادته لهم بأنهم مبشرون ومنذورن كل ذلك يلزم منه عدم كتمان شيء من أمور الدين، بل بلغوا رسالات ربهم وكانوا أمناء الله على وحيه.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 398.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص358-359

ومن الآيات التي صرحت بأن مهام الرسل الرئيسة التبليغ عن الله تعالى إما بالبشارة وإما بالنذارة قوله تعالى: " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ " [الكهف 56]، قال القرطبي: "(مبشرين) أي: بالجنة لمن آمن، "ومنذرين" أي: مخوفين بالعذاب من كفر"[1]، كما أن التبليغ يكون كذلك بتلاوة النصوص التي أوحاها الله تعالى من غير نقصان ولا زيادة كقوله تعالى: " وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا " [الكهف 27]، إلا أن القرطبي لم يتعرض إلى هذه الآية بتفسير ولا إشارة[2].

وتبين للباحثة أن القرطبي – رحمة الله تعالى– يثبت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميع صفات الكمال والإجلال، وينزههم عن جميع النقائص وخوارم الأخلاق، كما تبين تساهل القرطبي أحياناً في إيراد بعض الأخبار الإسرائيلية والروايات الواهية[3] على الرغم من تنبيهه إلى وجودها، ومحاولته الابتعاد عنها في مقدمة تفسيره "الجامع"، لكن إيراده للإسرائيليات والأخبار الواهية إنما كان لأن العصر الذي عاش فيه القرطبي– رحمه الله تعالى – كان عصراً راجت فيه هذه الروايات، فلا غرابة في إيراد القرطبي لها في تفسيره وخاصة في قصص الأنبياء والمرسلين وذلك من باب السهو أو الغفلة أو الاستعجال والله أعلم.

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص311.

2 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص255،

3 انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص361–363، 379–381. مثل اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع إلياس عليه السلام عند البيت في كل حول.

المبحث الثاني: النبوة والولاية وحقيقة الخضر

المطلب الأول: تفضيل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة

هناك خلاف بين العلماء في مسألة التفضيل بين البشر والملائكة عليهم السلام[1]، واغلب العلماء ذهبوا إلى تفضيل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة[2]، "وذهب قوم إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة"[3]، وذهبت المعتزلة الى تفضيل الملائكة على الأنبياء[4] ومنهم من يقف ولا يقطع فيهما بشيء[5].

وقد ذكر الإمام القرطبي أدلة القائلين بأفضلية آدم وبنيه على الملائكة وذلك بعد أن أحالنا القرطبي في قوله تعالى: "ۦإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَابِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...." [الكهف:50] إلى تفسيره لها في سورة البقرة قائلاً: "تقدم في (البقرة) هذا مستوفى"[6]، فقال هناك عند المسألة

---

[1] انظر: البيجوري، **تحفة المريد**، ص 145-147

[2] انظر: البغدادي، **أصول الدين**، ص166-167، البزدوي، **أصول الدين**، ص205-208. الرازي، **المحصل**، ص221-222، الأمدي، علي بن أبي علي، (ت631هـ) **أبكار الأفكار في أصول الدين**، ط2،ج4، (تحقيق أحمد المهدي)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2004م، ص225، الايجي، **المواقف**، ص367-370، ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص 356. وابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص 291- 298.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج1، البقرة، اية رقم 33، ص 430.

[4] صرح القرطبي بأن القدرية والقاضي أبا بكر الباقلاني قالوا: بأن الملائكة أفضل. انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص431. الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج1، ص 296.

[5] انظر: ابن ابي العز، **شرح الطحاوية**، ص291.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 299.

الثالثة: "استدل من فضل آدم وبنيه[1] بقوله تعالى للملائكة: "اسجدوا لآدم"، قالوا: وذلك يدل على أنه كان أفضل منهم"[2]. ثم رد القرطبي على هذا الاستدلال ببيانه معنى السجود في الآية فقال: "والجواب أن معنى (اسجدوا لآدم)"، اسجدوا لله مستقبلين وجه آدم، وهو كقوله تعالى: " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ " [الاسراء:78]، أي: عند دلوك الشمس، وكقوله: " وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ "[ص:72]. أي: فقعوا لي عند إتمام خلقه ومواجهتكم إياه ساجدين، وقد بينا أن المسجود له لا يكون أفضل من الساجد بدليل القبلة[3]". ودليل القبلة هو من الأدلة العقلية التي استخدمها القرطبي في الرد على أصحاب هذا القول فقال: "المسجود له لا يكون أفضل من الساجد، ألا ترى أن الكعبة مسجود لها[4]، والأنبياء والخلق يسجدون نحوها، ثم إن الأنبياء خير من الكعبة باتفاق الأمة"[5]. ثم يشرع في بيان معنى قوله: "أن الكعبة مسجود لها" فيقول: "ولا خلاف أن السجود لا يكون إلا لله تعالى لأن السجود عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله، فإذا كان كذلك، فكون السجود إلى جهة لا يدل على أن الجهة خير من الساجد العابد، وهذا واضح[6]" وهذا قولٌ ضعيف لأن السجود لآدم عليه السلام كان سجود تكريم وتشريف لا سجود عبادة، وإنما كان السجود طاعة لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام[7].

---

[1] يقصد القرطبي في قوله: "وبنيه" الأولياء منهم والصالحين وليس العوام منهم وهو مقصود من فضل البشر على الملائكة بدليل قوله: وذهب قوم إلى أن الأولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة" وقوله: "ومضى فيها الكلام بتفضيل الملائكة والمؤمن". القرطبي، **الجامع**، ج1، ص127، 430-431. وانظر نحوه: البيجوري، **تحفة المريد**، ص146-147.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص435.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء، والصفحة435.

[4] ليس السجود للكعبة، بل السجود لله تعالى، طاعة لأمره لنا بالسجود بإتجاهها. وهو ما سيذكره القرطبي لاحقاً.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج 1،ص 431

[6] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 431-432.

7 انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2، البقرة، اية رقم 34، ص230-231. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص358.

أما الدليل الثاني للقائلين بأفضلية الأنبياء وصالحي البشر فذكره القرطبي بقوله: "فإن قيل: فقد استدل ابن عباس على فضل البشر بأن الله تعالى أقسم بحياة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: " لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ " [الحجر:72]، وأمنه من العذاب بقوله: " لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ "[الفتح:2]. وقال للملائكة: " وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ "[الأنبياء:29]. فكان رد القرطبي– رحمه الله تعالى– عليهم بما يؤكد على أن الله عز وجل له أن يقسم بما شاء من خلقه دون أن يكون فيه دلالة على فضل المقسم به على غيره، فقال، "إنما لم يقسم بحياة الملائكة كما لم يقسم بحياة نفسه سبحانه، فلم يقل: لعمري، وأقسم بالسماء والأرض، ولم يدل على أنهما أرفع قدراً من العرش والجنان السبع، وأقسم بالتين والزيتون، وأما قوله سبحانه: (ومن يقل منهم إنى إله من دونه)، فهو نظير قوله لنبيه عليه السلام: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر:65]. فليس فيه إذا دلالة، والله أعلم"[1].

كما ذكر القرطبي أدلة من فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال: "احتج من فضل الملائكة بأنهم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) [الأنبياء:26–27] " لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " [التحريم:6] وفي البخاري[2]: [يقول الله عزوجل: من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم]. وهذا نص"[3]، لكنه لم يرد عليهم في استدلالهم، ثم ذكر حجة من فضل بني آدم فقال: "واحتج من فضل بني آدم بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) [البينة:7]

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج 1. ص 436

[2] سبقت ترجمته ص110.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج2، ص430–431، والحديث اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه)، م1، حديث رقم (7405)، ص196.

بالهمز، من: برأ الله الخلق، وبقوله عليه السلام: [إن الملائكة لتضع اجنحتها رضاً لطالب العلم][1] الحديث، وبما جاء في غيره من الأحاديث من أن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة، ولا يباهي إلا بالأفضل، والله أعلم" [2] ويظهر من ردود القرطبي على القائلين بأفضلية الأنبياء على الملائكة، وعدم رده على من فضل الملائكة وبني آدم من أنه يرى أنه لا يمكن الجزم ولا القطع في مسألة التفضيل، كما ليس فيما احتج به كل فريق على تأكيد صحة رأيه ما يكون بمنزلة النص الصريح الذي يعوّل عليه، وبالتالي هذا ما أكده القرطبي في إعلانه موقفه من خلال استشهاده بقول بعض العلماء فقال: "وقال بعض العلماء: ولا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا القطع بأن الملائكة خير منهم؛ لأن طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله، أو إجماع الأمة، وليس ها هنا شيء من ذلك[3]".

وكما صرح القرطبي بموقفه من مسألة التفضيل قائلاً: "وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع[4]". ومن خلال هذا تستنتج الباحثة أن موقف الإمام القرطبي من هذه المسألة هو عدم القطع بقول معين، والتوقف في المسألة، وقد قال شارح الطحاوية: "فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصّاً، وقد قال

---

1 اخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب فضل التوبة والاستغفار، م1، حديث رقم (3536)، ص803. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص431. والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه، ابن حبان، أحمد، (ت354هـ)، **صحيح ابن حبان**، ط1، ج9، (تحقيق شعيب الأرنؤط)، باب الوقوف بعرفة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ص163. وقال شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح على شرط مسلم.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج 1، ص431.

[4] المصدر نفسه، ج 13، ص127.

تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة:3]، (وَمَا كان رَبُّكَ نَسِيًّا) [مريم:64] فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً أولى"[1].

وقد تبيّن لي استخدام القرطبي للمنهج العقلي أحياناً في إيضاح بعض المسائل العقدية[2]، كما أنه يصيغها صياغة منطقية أحياناً قائمة على المقدمات والنتائج، مثاله: رده على من استدل على فضل آدم وبنيه بقوله تعالى للملائكة: "اسجدوا لآدم" فقال: "ولا خلاف أن السجود لا يكون إلا لله تعالى، لأن السجود عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله[3]". وصياغة هذا الدليل منطقياً كما يلي:

لأن السجود عبادة [مقدمة]

والعبادة لا تكون إلا لله [مقدمة]

إذن السجود لا يكون إلا لله تعالى: [نتيجة]، وقد لا يكون القرطبي قد تعمّد صياغتها منطقياً كصياغة علماء الكلام المنطقية المبنية على مقدمات ونتائج بشكل تفصيلي، ولكنه منطق العقل الذي أوجده الله عز وجل في بني آدم وكرمهم به على خلقه. هذا مع التنبيه أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان سجود تكريم وتشريف له وليس عبادةً له.

---

[1] إبن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص291.

[2] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص115، ج13، الكهف، اية 66–70، ص326.

[3] المصدر نفسه، ج1، البقرة، اية رقم 33، ص 431

المطلب الثاني: تفضيل الأنبياء عليهم السلام على الأولياء[1]

إنّ مسألة التفضيل بين الأنبياء والأولياء لم ترد في كتب أهل السنة إلا في معرض الرد على جهلة المتصوفة وغلاتهم[2]، وإلا فأهل السنة مجمعون على أفضلية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الأولياء، وعلى أن النبوة أخص من الولاية حتى قيل: "نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[3]". وقد صرح القرطبي بما يوافق إجماع أهل السنة في المسألة فقال: "ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعمله المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر وإن كان ولياً فموسى أفضل منه؛ لأنه نبي والنبي أفضل من الولي"[4]. وتعتبر قصة الخضر مع موسى عليه السلام البناء الأساس الذي اعتمده المتصوفة في قولهم المتمثل في الإلهام[5] والكشف[6] أو ما يسمى بالعلم اللدني[7].

---

[1] (الولي): هو "العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات". الجرجاني، **التعريفات**، ص213. وانظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (ت465هـ)، **الرسالة القشيرية**، ط2، (تحقيق معروف زريق، علي عبد الحميد)، دار الجيل، بيروت، 1990م، ص359.

[2] انظر ابن التلمساني، عبد الله بن محمد (ت 658 هـ) **شرح معالم أصول الدين**، ط 1، (تحقيق نزار حمادي) دار الفتح، الأردن 2010م، ص 528.

[3] ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص465، وانظر نحوه، البغدادي، **أصول الدين**، ص167، الكلاباذي، محمد بن اسحاق (ت 380 هـ)، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ط 1، (تحقيق أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص 76، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ)، **فقه التصوف**، ط 1، (تحقيق زهير الكبيسي) دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ص128، التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج 5، ص77-80.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 326.

[5] الإلهام، "ما يلقى في الروح بطريق الفيض" وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين"، الجرجاني، **التعريفات** ص 32. وصوفية الكتاب والسنة يشترطون العلم في الخواطر والإلهامات. انظر في شروط الإلهام: القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص84.

[6] الكشف هو "الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا". "الجرجاني، **التعريفات**، ص154-155. وانظر: رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1999م، ص790.

[7] العلم اللدني: "هو العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك وبني بالمشافهة والمشاهدة" التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ج3، ص1066.

وأما زنادقة الباطنية فقد ركز القرطبي – رحمه الله تعالى– على بيان مذهبم الذي يحرفون فيه نصوص الشريعة ولا يعملون بها إلا على وفق إلهامات باطلة، فشدد الرد عليهم وانتقدهم انتقاداً شديداً، واتهم القائلين بذلك بالكفر والزندقة، فمن انتقاداته عليهم ما نقله عن شيخة أبي العباس[1]، حيث قال القرطبي: "قال شيخنا الإمام أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطينة[2]، إلى سلوك طريق يلزم منه هدم الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الأغبياء والعامة"[3]. ويقصد بهذا القول ما أسموه بعلم الظاهر أو بعلم الشريعة، أما علم الباطن أو الحقيقة[4]، مما يختص بعلمه أولياء أولئك الزنادقة الباطنية فبينه في قوله: "وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم، وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغيار..."[5].

---

[1] هو أحمد بن عمر القرطبي، المالكي المحدث، ولد بقرطبة سنة 87، اختصر الصحيحين، وشرح صحيح مسلم وسماه "المفهم" كان بارعاً بالفقه وعارفاً بالحديث، توفي سنة ست وخمسين وستمائة، انظر، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 7، ص 264-265.

[2] الباطنية: اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة يشتركون في اعتقادهم أن لكل شيء ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويلاً، انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ط 2، ص251.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص358.

[4] الشريعة والحقيقة عبارتان يعبرون بإحداهما عن صحة الظاهر، وبالثانية عن إقامة حالة الباطن، وقالوا: الحقيقة عبارة عن المعنى الذي لا يجوز عليه النسخ وحكمه متساوٍ إلى يوم القيامة، والشريعة: هي المعنى الذي يجوز عليه النسخ والتبديل، انظر: الهويجري، **كشف المحجوب**، دون طبعة، (تحقيق اسعاد قنديل)، دار النهضة. بيروت 1980م ص 626- 627.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 358. وصرح الشنقيطي –رحمه الله تعالى– أن المقصود بهاؤلاء الزنادقة الباطنية هم الجهلة المدعين للتصوف، وذكر نص القرطبي المذكور عن شيخه ابي العباس. انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج4، ص205-208.

ثم بين القرطبي على لسان شيخة زعمهم أنه لصفاء قلوبهم تتجلى لهم العلوم الإلهية التي يستغنون بها عن أحكام الشريعة، فقال: "فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات"[1].

وقد استدل زنادقة الباطنية بقصة الخضر على صحة علومهم اللدنيه، وهذا ما بينه القرطبي نقلاً عن كلام شيخه في أنهم يقولون: "كما اتفق للخضر؛ فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم، وقد جاء فيما ينقلون: "استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون[2]". وهذا الحديث أيضاً مما يستدلون به على حجّية الإلهام لديهم[3]، ولقد أكد القرطبي على كلام شيخه في أن زنادقة الباطنية يحتجون بما يقع في قلوبهم من الإلهام والخواطر، فقال بعد أن ذكر خبر من تنبأ وزعم أن الله أوحى إليه: "ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن، وما كان عليه السلف من السنن، فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم[4]".

ولذلك رد عليهم القرطبي بأن معرفة الأحكام والشرائع إنما تعرف عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام بإجماع السلف والخلف ولا طريق غيره، فقال القرطبي: "وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص358.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، والحديث أخرج نحوه أحمد في مسنده من حديث إبي ثعلبة الخشني "البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون" حديث رقم (17742) وقال النووي حديث حسن، ج 29، (تحقيق شعيب أرناؤوط)، ص 78.

[3] انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص32 (نصّ على ذلك الجرجاني في كتابه).

[4] القرطبي، **الجامع**، ج 8، ص 458

أمره ونهيه، ولا يُعرف شيءٌ منها إلا من جهة الرسل[1]". ثم بين حكم من خرج عن هذا الإجماع، وزعم استغنائه عن طريق الرسل في معرفة أحكام الله تعالى بقوله: "فمن قال: إن هناك طريقاً آخر يُعرف به أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل، فهو كافر، يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب[2]". وسبب حكم +القرطبي بكفر صاحب هذا القول ومدّعيه، أنه يلزم منه إثبات أنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أوضحه القرطبي في قوله: "ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول[3]".

وحتى يبين القرطبي وجه الدلالة في استلزام قولهم إثبات نبوة بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، قال: "وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه، وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: [إن روح القدس نفث في روعي]"[4]. كما أكد القرطبي – رحمه الله تعالى – على تعلق جهال الصوفية وزنادقة الباطنية بقوله تعالى: " وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً " [آل عمران:8] ومثيلاتها من الآيات على ما أسموه بالعلم اللدني، فقال، "ولعل جهال الصوفية وزنادقة الباطنية يتشبثون بهذه الآية وأمثالها فيقولون: العلم ما وهبه الله ابتداء من غير كسب، والنظر في الكتب والأوراق حجاب، وهذا مردود[5]".

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص359.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة، وانظر: ابن تيمية، **فقه التصوف**، ص131.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 359

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه، **كتاب البيوع** ج 2، حديث رقم (2136)، ص 5، وقال: صحيح على شرط مسلم.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج 5. ص 32.

وهكذا يتبين موافقة القرطبي لأهل السنة في أن مقام النبوة من أرفع المقامات وأزكاها، وأن الولي مهما بلغ من درجات الإيمان واليقين أعلاها، فلن يصل لمقام النبوة، فالنبوة غير مكتسبة[1]، وإنما هي اصطفاء واجتباء من الله عز وجل، وليس في البشر من يوازي الأنبياء لا صديق ولا ولي[2]. وإذا كانت الولاية لا تصل بالمرء إلى مقام النبوة، إلا أن لها ثمرات عديدة على الولي الصالح من ضمنها حفظ الله تعالى له في نفسه وذريته من بعده وهو ما بينه القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: " وكان ابوهما صالحا" [الكهف:82] فقال: "ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دِنية"[3]. وقيل هو الاب السابع، وقيل: العاشر، فحفظا فيه وإن لم يُذكرا بصلاح، ففيه ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه، وقد روي أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف:196]"[4] وعلى هذا يتبين أن الإنسأن ممكن أن يحفظ بصلاح أبائه وأجداده وإن لم يُذْكَر فيه صلاح، وهي الولاية.

والتي ذكر القرطبي معناها عند قوله تعالى: (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) [الكهف:44] فقال: "الوَلاية بالفتح من الموالاة كقوله تعالى" (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) [البقرة: 257]. (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) [محمد:11] وبالكسر يعني: السلطان والقدرة والإمارة، كقوله تعالى: " وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

---

[1] انظر، ابن تيمية، **النبوات**، ص 422، التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج 5، ص 77-79- البيجوري، **تحفة المريد**، ص 142.

[2] انظر: الكلابادي، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ص 76. القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص356.

[3] دنية: أي الأب المباشر. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج14، ص273.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص355-356.

" [الإنفطار:19]"[1]. هذا وإنّ الولي لا يكون ولياً إلاّ بمتابعة الرسول أو النبي وإلاّ كان من أولياء الشيطان وهو المعروف بالإستدراج.

كما تبين موقفه رحمه الله تعالى من زنادقة الباطنية وجهال المتصوفة، فمن خلال سبر كلام القرطبي وردوده عليهم، يتضح لنا أن هجومه الشديد عليهم وموقفه الحازم لم يكن حكماً متفرداً خاطئاً، بل جاءت ردوده على مخالفات زنادقة الباطنية وجهال الصوفية للكتاب والسنة عن ادراك تام للصواب، فكان موقفه – رحمه الله تعالى– موقف العالم الفقيه والعابد الزاهد المتمسك بالكتاب والسنة والمنافح عنهما.

المطلب الثالث: الخضر بين النبوة والولاية

لم يصرح القرآن الكريم بأسم العبد الصالح المذكور بسورة الكهف في قوله تعالى: " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " [الكهف: 65]، إلا أنه ورد في الأحاديث الصحيحة التصريح بأسم الخضر في قصته مع موسى عليه السلام[2]، لذا قال الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" معلقاً على الآية السابقة بقوله: "هذا العبد المذكور في هذه الآية الكريمة هو الخضر عليه السلام بإجماع العلماء، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم"[3].

اختلف العلماء في الخضر عليه السلام هل هو نبي أو ولي، وهذا الاختلاف أفصح عنه الإمام القرطبي عند تفسيره لقصة الخضر مع موسى عليه السلام في قوله تعالى: " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " [الكهف: 65] فقال: "والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص287.

2 جاء في صحيحي البخاري ومسلم حديث من طريقي عن ابن عباس، فيه التصريح باسم الخضر. انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث رقم 3401، م1، ص840–841.

3 الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج4، ص202.

صالح غير نبي، وقيل: كان مَلَكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه ممّا حمله من علم الباطن"[1] وقد صرّح في موافقته للجمهور باعتماده لنبوة الخضر بقوله: "والآية تشهد نبوته؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلاّ بوحي"[2]، كما استدل عقلياً بنبوة الخضر بقوله: " فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلاّ من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس نبياً"[3]، بل إنه رحمه الله، وتأكيداً منه لنبوة الخضر فسّر الرحمة بالنبوة في قوله تعالى: " آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا" [الكهف: 65] فقال الرحمة في هذه الآية النبوة"[4]، ومن استدلالاته على نبوة الخضر أيضاً، قوله بأن الخضر يوحى إليه، والوحي لا يكون إلاّ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث قال: "وقوله تعالى " وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي " [الكهف: 82] يدل على نبوته، وأنه يوحى إليه بالتكليف والأحكام، كما أوحي للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، غير أنه ليس برسول، والله أعلم"[5].

ثم إن الإمام القرطبي أكدّ على اعتقاده لنبوة الخضر عليه السلام بعد أن أورد أدلة من نفى نبوة الخضر، وقال في أدلة النفاة: "قال بعض العلماء: ولا يجوز أن يقال: كان نبياً، لأن إثبات النبوة لا يجوز بأخبار الآحاد[6]، لا سيّما وقد روي من طريق التواتر، بإجماع الأمة قوله عليه الصلاة والسلام: "لا نبي

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13 ص 325.
[2] القرطبي، **الجامع**، ج13 ص 325.
[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[4] المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص340.
[6] خبر الآحاد: هو ما فقد شروط المتواتر. انظر: عبد الرحمن الخميس، **معجم علوم الحديث**، ط1، دار ابن حزم، جدة، 2001م، ص45.

بعدي"[1] وقال تعالى: " وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " [الأحزاب:40]، والخضر وإلياس جميعاً باقيان مع هذه الكرامة، فوجب أن يكونا غير نبيين"[2].

والقول بأن الخضر وإلياس باقيان مع هذه الكرامة، أي أنهما ما زالا حيّيْن هو الذي جعل بعض العلماء يقولون بأنهما غير نبيين لما يستلزم من هذا القول نقض الأحاديث والآيات الدالة على ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك قالوا: "لأنه لو كانا نبيين لوجب أن يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، إلاّ ما قامت الدلالة في حديث عيسى أن ينزل بعده"[3] فأكد القرطبي على قوله بنبوة الخضر في رده عليهم بقوله: "الخضر كان نبياً وليس بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، أي يدعي النبوة بعده، والله أعلم"[4]، أعلم"[4]، كما رجحّ القرطبي حياة الخضر[5] وذلك بعد بيانه للاختلاف في مسألة حياة الخضر ومماته حيث قال: "ذهب الجمهور من الناس إلى أن الخضر مات، صلى الله عليه وسلم، وقالت فرقة، إنه حي لأنه شرب

---

[1] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، م1، حديث رقم (2404)، ص607.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص341.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[5] وممن قال بنبوة الخضر ابن حجر العسقلاني، واستدل على ذلك في كتابه "الزهر النضر" كما أبطل القول بحياة الخضر. انظر في اختلاف العلماء في نبوة الخضر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص338-341. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت852هـ)، **الزهر النضر في نبأ الخضر**، ط1، (تحقيق سمير حلبي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص26-32. الشنقيطي، محمد بن محمد، (ت1393هـ)، **أضواء البيان**، ج4، دون طبعة، (تحقيق بكر أبو زيد)، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ص202-203. عمر الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص22-24.

من عين الحياة، وإنه باقٍ في الأرض وأنه يحج البيت.... والصحيح القول الثاني، وهو أنه حي"[1] واستدل القرطبي على إثباته لحياة الخضر بأدلة[2] قال فيها ابن كثير[3]".

وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا تقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد، وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره، لأنه يجوز عليه الخطأ. والله أعلم"[4]، وقد أورد القرطبي بعض أدلة القائلين بأن الخضر ميت[5]، منها استدلالهم بقوله عليه الصلاة والسلام: "أرأيتكم ليلكم هذه، فإنه لا يبقى مّمن هو اليوم على ظهر الأرض أحد"[6]، وذكر قول أين عطية: "ولو كان الخضر عليه السلام حياً يحج لكان له في ملة الإسلام ظهور"[7]. ولقد ذهب جمعٌ من العلماء على تضعيف الأخبار الواردة في إثبات حياة الخضر وأوردوا الأدلة المبطلة لها[8]، فنبوة الخضر وحياته ليس عليها دليل شرعي معتمد، أما حياته

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 359 – 360.

[2] ذكر القرطبي أدلة القائلين بالرأي الذي رجحه وهو إثبات حياة الخضر، واسترسل في ذلك، ولمن أراد التفصيل انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13،ص360–363.

[3] اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في الشام، وتناقل الناس تصانيفه في حياته ومن كتبه: "**البداية والنهاية**" و "**تفسير القرآن العظيم**" وغيرها كثير، توفي في دمشق سنة 774هـ. انظر الزركلي، **الأعلام**، ج1، ط8، ص320.

[4] ابن كثير، اسماعيل بن عمر، (ت 774 هـ)، **البداية والنهاية**، ط1، ج1، (تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود)، دار الكتب العالمية، بيروت، 1994م، ص 290.

[5] صرح القرطبي بأن الإمام البخاري وابن العربي وطائفة من المحدثين هم ممن أنكر حياة الخضر. انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص364.

[6] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص360. والحديث أخرجه البخاري، كتاب **العلم**، باب السمر في العلم، حديث رقم 116، ص 43. وأخرجه مسلم، كتاب **فضائل الصحابة**، باب لا تأتي مئة سنة على الأرض نفس منفوسة، حديث رقم 2537، ص 1965.

[7] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 360.

[8] ممن أبطل حياة الخضر البخاري وابن كثير وابن حجر العسقلاني وغيرهم. انظر في ذلك: ابن تيمة، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص337. ابن حجر العسقلاني، **الزهر النضر**، ص33–44. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج1، ص290.

فالصواب ما عليه المحققون من أهل العلم من موت الخضر عليه السلام[1]، وقد قال ابن القيم: "الأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد"[2]، كذلك قوله تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد" [الأنبياء:34] فلو دام البقاء كان خالداً، وعندما سُئل عنه ابن تيمية قال: "لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: [اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض][3] وكانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟"[4] فالله أعلم بحقيقة حاله، فلسنا مكلفين بالحكم عليه إن كان حياً أو ميتاً، فالواجب الإمساك عن الاسترسال في مثل هذه الأمور الغيبية. والله أعلم.

وفي نهاية هذا المبحث يتبيّن لي توقف الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– في مسألة التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام والملائكة وعدم القطع فيها، كما أكد على أفضلية الأنبياء عليهم السلام على الأولياء، واعتقد بنبوة الخضر وأنه حي معمر، واستدل على ترجيحه لحياة الخضر وعدم موته بأدلة قال فيها طائفة من المحدثين أنها واهية. وبعد أن بينّا المسائل العقدية المتعلقة بالنبوات في سورة الكهف، ومنهج الإمام القرطبي في بيانها، ننتقل إلى بيان مسائل الغيبيات في سورة الكهف ومنهج القرطبي في بيانها وبالله الوفيق.

---

1 انظر: ابن تيمية، **منهاج السنة**، ج4، ط1، جامعة الإمام محمد مسعود الإسلامية، الرياض، 1986م، ص93–94.

2 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت751هـ)، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، دون طبعة، (تحقيق يحي الشمالي)، دار دار عالم الفوائد، غير معروف البلد، ص63.

3 اخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب الامداد والملائكة في غزوة بدر، حديث رقم 1763، ص453.

4 المصدر نفسه، ص64.

المبحث الثالث: خوارق العادات والفرق بينها

خوارق العادات "هي الأمور التي تطرأ على ما هو معتاد ومألوف حسب قوانين الكون وأنظمته سواء بالإيجاد أو بالإعدام"[1] وقد ذكر الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– نوعين من الخوارق: وهما المعجزة والكرامة، والتي تناولتها سورة الكهف في العديد من آياتها وقصصها، وهذا ما سنوضحه في النقاط الآتية:

المطلب الأول: المعجزة:

هي "ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله"[2] وهذا التعريف يشير إلى فائدة المعجزة[3]، بينما عرّف بعض العلماء المعجزة بتحديد شروطها وأركانها، ومن ذلك القول بأن المعجزة: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوة الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة"[4]، وعلى الرغم من اختلاف عبارات العلماء في تعريف المعجزة إلاّ أنها تدور حول مفهوم واحد هو ما قُصد به إظهار صدق مدعي النبوة.

أمّا القرطبي –رحمه الله تعالى– فقد ذكر في تعريفه السبب في تسمية الآية بالمعجزة فقال في تفسيره لمعنى (الآية): "سُميت (معجزة) لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها"[5]. وعند بيان القرطبي للفروق بين المعجزة والكرامة؛ أحال القارئ إلى مقدمة تفسيره "الجامع" والتي ذكر فيها خمسة شروط للمعجزة، قائلاً: "وقد

---

[1] العمري، **النبوة**، ص 223. وقسم العلماء الخوارق إلى أقسام منها: المعجزة، الكرامة، السحر، المعونة، الاستدراج، والإهانة. انظر: ميمون النسفي، **تبصرة الأدالة في أصول الدين**، ج1، ص538. السفاريني، **لوامع الأنوار البهية**، ج2، ص392.

[2] الإيجي، **المواقف**، ص 339.

[3] انظر: العمري، **النبوة**، ص 219.

[4] البيجوري، **تحفة المريد**، ص 148. وانظر في تعريفات المعجزة: الباقلاني، **الإنصاف**، ص 63. البغدادي، **أصول الدين**، ص 107. الجويني، **لمع الأدلة**، ص 110. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص11. عبد الفتاح بركة، **شرح السنوسية الكبرى**، ط1، دار القلم، الكويت، 1982م، ص 351.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 112.

تقدم في مقدمة الكتاب شرائط المعجزة، والحمد لله تعالى وحده لا شريك له"[1] والتي أكد عند بيانه لها على أنه إذا اختل منها شرط لا تكون معجزة، وبيان شروط المعجزة عند القرطبي ما هو آت:

الشرط الأول:

أن تكون مما لا يقدر عليها إلاّ الله سبحانه، ولو جعل مدعي الرسالة معجزته في أن يتحرك ويسكن، ويقوم ويقعد، لم يكن ادعاؤه معجزة له، ولا دليل على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات ممّا لا يقدر عليها البشر[2] " أي أنّ جنس آيات الأنبياء عليهم السلام تكون خارجة عن مقدور البشر، بل وعن مقدور جنس الحيوان"[3].

الشرط الثاني:

"هو أن تخرق العادة"[4]، ولقد بين القرطبي سبب وجوب هذا الشرط بقوله: "وإنما وجب اشتراط ذلك، لأنه لو قال مدعي الرسالة، آيتي مجيء الليل بعد النهار، وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادّعاه معجزة، لأن هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلاّ الله، فلم تُفعل من أجله، وقد كان قبل دعواه على ماهي عليه في حين دعواه، ودعواه في دلالتها على نبوته، كدعوى غيره، فاستشهاده بها لا يدل على صدقه"[5]، وقد وقد بيّن القرطبي معنى شرط خرق العادة في المعجزة، فأتى بمعجزات الأنبياء واستشهد بها كدليل على شرط خرق العادة، فقال: "والذي يستشهدُ به الرسولُ عليه السلام له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول: الدليل على صدقي أن يخرق اللهُ تعالى العادة من أجل دعواي عليه الرسالة، فيقلب هذه العصا ثعبانا، ويشق

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع** ، ج13، ص 343.

[2] انظر: المصدر نفسه، ج1، ص 112.

[3] ابن تيمية، **النبوات**، ص 9.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 113.

[5] المصدر نفسه، ونفس الجزء والصفحة.

الحجر ويُخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي، كما ينبعُه من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي يتفردّ بها جبار الأرض والسموات"[1]

والقرطبي باستشهاده على خوارق الرسل عليهم السلام يريد أن يبين أن المعجزة "لو كانت معتادة لما تحقق صدق مدعيها، ولما دلت هي في نفسها على صدقه فيما يدعيه"[2]، ولذا كان لابد أن تكون المعجزة من فعل الله المنفرد به، لان هذا الفعل ينزل منزلة قول الله لمدعي النبوة صدقت فيما بلّغت عني[3]، وهذا ما أكده القرطبي بقوله: "فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه –لو أسمعنا كلامه العزيز وقال–: صدق، أنا بعثته"[4] وليقرب الإمام القرطبي المسألة إلى ذهن القارئ ضرب مثالاً على المسألة ليزيدها وضوحاً فقال: "ومثال هذه المسألة –ولله ولرسوله المثل الأعلى– ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض، وهم بمرأى أو مسمع منه، فقال أحد رجاله والملك يسمعه: الملك يأمركم بكذا وكذا، ودليل ذلك أن الملك يصدّقني بفعل من أفعاله، وهو أن يُخرج خاتمه من يده قاصداً بذلك تصديقي، فإذا سمع الملك كلامه لهم، ودعواه فيهم، ثم عمل ما استشهد به على صدقه، قام ذلك مقام قوله –لو قال– : صدق فيما ادّعاه عليّ"[5]. وهنا يتبين أن من منهج القرطبي وأحد إجراءاته في تفسيره هو ضرب الأمثلة لتقريب المعاني للأذهان وزيادة وضوحها.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 113.

[2] العمري، **النبوة، ص 221**

[3] انظر: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت 548 هـ)، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، ط1، (تحقيق ألفريد جيوم)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م، ص 416.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 113. وانظر: نحوه: الجويني، **الإرشاد**، ص 262. الآمدي، **أبكار الأفكار**، ص664.

[5] القرطبي، الجامع، ج1، ص 113

الشرط الثالث:

هو "أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزوجل، فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتاً، أو يحرك الأرض عند قولي لها: تزلزلي، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المُتحدّى به[1]. وذلك أن المدعي إذا ادعى أن الله يصدقه بما يفعله أو بما يقوله، فإن الفعل يقوم مقام التصديق بالقول كما وضحنا في الشرط السابق، كما أن مدّعي النبوة يقومون أحياناً ببعض الأفعال المباشرة كالمشي على الماء أو الصعود إلى السماء وذلك لا ينقض أن تكون تلك الخوارق من فعل الله تعالى خاصه إذا تكاملت شروط المعجزة ووقع التحدي بها فإنها تكون معجزة.[2] وفي حين أن القرطبي يشترط التلفظ، إلا ان كثيراً من العلماء لا يشترطون ذلك اذا اجتمعت الشروط كلها[3].

الشرط الرابع:

هو "أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها، المُستشَهِد بكونها معجزة له"[4] أي أن تكون المعجزة مصدقة لدعوى النبي لا مكذبة له[5]، وضرب القرطبي مثالاً على ذلك فقال: "لو قال المّدعي للرسالة: آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق يدي، أو هذه الدابة، فنطقت يدُه، أو الدابة، بأن قالت: كذب، وليس هو بنبي، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دالٌ على كذب ذلك المدّعي للرسالة؛ لأن ما فعله الله له لم يقع على وِفق دعواه"[6].

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 114.

[2] انظر: العمري، **النبوة**، ص 219 – 220 .

[3] انظر: التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص18.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 114.

[5] انظر: الجويني، **الإرشاد**، ص 265.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 114.

ثم استدل القرطبي على كلامه بما روي عن مسيلمة الكذاب فقال: "وكذلك ما يُروى أن مسيلمة الكذاب –لعنه الله– تفل في بئر ليكثر ماؤها، فغارت البئر، وذهب ما كان فيها من الماء، فما فعل الله سبحانه من هذا، كان من الآيات المكذِّبة لمن ظهرت على يده"[1].

الشرط الخامس:

"أن لا يأتي أحدٌ بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة"[2]. يتبين من قول القرطبي في هذا الشرط أنه يرى أن معارضة المعجزة تقتضي مماثلة المعارض لها، كما عليه أكثر العلماء من اشتراط المماثلة بين المعارض وما أتى به الرسول من خارق[3]، ولقد استدل القرطبي على هذا الشرط بآيات من القرآن الكريم كعادته في منهجه –رحمه الله تعالى– فقال: "ولهذا قال المولى سبحانه " فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانوا صَادِقِينَ " [الطور: 34] وقال: " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ "[هود:13].

ثم أورد القرطبي في نهاية شروط المعجزة، شبهة من الشبه التي تُثار حول معنى المعجزة وشرائطها، فقال رحمه الله تعالى: "لا يقال إن المعجزات المقيّدة بالشروط الخمسة لا تظهر إلاّ على أيدي الصادقين، فهذا المسيح الدّجال –فيما رويتُم عن نبيكم– يظهر على يديه من الآيات العظام، والأمور الجِسام، ما هو معروف ومشهور"[4] فكان ردهُ على هذه الشبهة يتمثل:

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 114.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[3] انظر: الشهرستاني، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، ص 416 – 417. الآمدي، **أبكار الأفكار**، ص 666. عبد الفتاح بركة، **شرح السنوسية الكبرى**، ص 362.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص115.

أولاً: بيان الاختلاف بين الادعاءين فقال: "فإنّا نقول: ذلك يدّعى الرسالة، وهذا يدّعى الربوبية، وبينهما من الفرقان ما بين البُصراء والعميان"[1].

ثانياً: استدّل القرطبي على بطلان هذه الشبهة بدليلين عقليين الأول قوله: "وقد قام الدليل العقلي على أنّ بعثة بعض الخلق إلى بعض غيرُ ممتنعة، ولا مستحيلة، فلم يبعُد أن يقيم الله تعالى الأدّلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملّة"[2] والدليل الثاني في قوله: "ودلت الأدلة العقلية أيضاً على أنّ المسيح الدّجال فيه التصوير والتغير من حال إلى حال، وثبت أن هذه الصفات لا تليق إلاّ بالمحدثات، تعالى ربُّ البريات عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيءٌ (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[3]. والإمام القرطبي في هذا الاستدلال اعتمد الأدلة العقلية في رده على تلك الشبهة، ليؤكد أنه وإن كان يغلب اعتماده في تفسيره على النقل إلاّ أنه لا يلغي العقل، بل يستدل به في توضيح بعض المسائل وتأكيدها بما يعارض به النقل. كما يظهر هنا تنزيهه لله تعالى تعظيماً وإجلالاً عن مشابهة المخلوقين أو أن يشبهه شيء من مخلوقاته.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص 115.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

المطلب الثاني: الكرامة

تُعد الكرامة من خوارق العادات، يظهرها الله عزوجل على يد أوليائه، والولي هو: "من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان"[1]، ولذا عّرفت الكرامة بأنها: ظهور أمر خارق للعادة على يد ولي غير مقارن لدعوى النبوة[2]، وقد أثبت أهل السنة والجماعة وقوع الكرامات للأولياء[3]، وأنكرتها المعتزلة وقالوا بأن العادة لا تُخرق إلاّ لنبي فلذلك لا يؤمنون بالكرامات والسحر وغيرهما مما يطلق عليها خوارق العادات، والعلة في إنكارهم بأن ظهور المعجز على يد غير الأنبياء لا يمكن التفرقة بين النبي ومن ليس بنبي، كما أنه لو ظهرت على غير الأنبياء لزهد في النظر في معجزات الأنبياء[4].

وأمّا الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– فهو موافق لأهل السنة والجماعة في إثبات كرامات الأولياء، بل وكان ينتقد من ينكرها انتقاداً شديداً فيقول: "كرامات الأولياء ثابتة على ما دلت عليه الأخبار الثابتة، والآيات المتواترة، ولا ينكرها إلاّ المبتدع الجاحد، أو الفاسق الحائد"[5]، ولقد استدل القرطبي –رحمه الله تعلى– على كرامات الأولياء في قصة إقامة الجدار على يد الخضر عليه السلام، فقال في الخبر الذي نقله عن الثعلبي[6] في كتابه "العرائس": "وفي بعض الأخبار: إنّ سُمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن،

---

[1] الجرجاني، **التعريفات**، ص 213.

[2] انظر التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص72.

[3] انظر: البغدادي، **أصول الدين**، ص184 – 185. الجويني، **الإرشاد**، ص266. ميمون النسفي، **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، ج1، ص536 – 538. الإيجي، **المواقف**، ص370. ابن تيمية، **النبوات**، ص6 – 8. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص 468. عمر الأشقر، **الرسل والرسالات**، ص154.

[4] انظر: القاضي عبدالجبار، عبدالجبار أحمد (ت 415 هـ) **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، (تحقيق محمود الخضيري ومحمود قاسم)، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ج15، ص 241 – 243. التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص72، 75 – 76. البيجوري، **تحفة المريد**، ص169 – 170.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، الكهف، أية 77–78، ص341.

[6] سبقت ترجمته في ص112.

وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع، وعرضه خمسون ذراعاً، فأقامه الخضر عليه السلام أي: سواه بيده فاستقام. قاله الثعلبي في "العرائس". ففي هذا دليل على كرامات الأولياء، وكذلك ما وصف من أحوال الخضر عليه السلام في هذا الباب كلها أمور خارقة للعادة، هذا إذا تنزّلنا على أنه ولي لا نبي"[1].

والقرطبي –رحمه الله تعالى– إذ يعزو القول إلى الثعلبي وقد وفىّ بما اشترط على نفسه في مقدمة تفسيره من إضافة الأقوال إلى قائليها، ممّا يعبّر عن نزاهته وأمانته العلمية –رحمه الله تعالى– لكن يظهر اكتفاء القرطبي هنا في إيراده للخبر بعزوه الى الثعلبي دون تثبت من صحة ذلك الخبر أو عدمه. كذلك ولمزيد إثبات من القرطبي لمسألة كرامات الأولياء ذكر ما ورد من آيات تدل على الكرامات فقال: " فالآيات ما أخبر الله تعالى في حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف، والصيفية في الشتاء، وما ظهر على يدها حيث أمرت النخلة وكانت يابسة فأثمرت وهي ليست بنبيّة، على الخلاف[2].

ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار"[3]

والقرطبي –رحمه الله تعالى– أكدّ ما ذهب إليه العلماء من وجوب اشتراط أن تكون المعجزة والكرامة من خوارق العادات، وبين ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: " فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ " [الكهف: 77] حيث ذكر قولين في بيان معنى قوله تعالى "فأقامه" فقال: "قوله تعالى: "فأقامه" قيل: هدمه ثم قعد يبنيه، وقال

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، الكهف، أية 77–78، ص340. ذكرنا سابقاً ترجيح القرطبي لنبوة الخضر في مبحث النبوة والرسالة.

[2] ذكر الإجماع على أنه ليس في النساء نبية لدلالة القرآن والسنة في اشتراط الذكورة فيمن أكرمه الله بالنبوة، وخالف في إشتراط الذكورة ابو الحسن الأشعري، وتبعه القرطبي وابن حزم. انظر في الخلاف في نبوة المرأة وأدلة المنكرين لنبوتها: القرطبي، **الجامع**، ج5، ص 126 – 129، ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**، ج4، ص 121، 132. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص396. السفاريني، **لوامع الأنوار البهية**، ج2، ص 266. الابوني، **النبوة والأنبياء**، ص12.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، الكهف، أية 77–78، ص 341.

سعيد بن جبير[1]، مسحه بيده وأقامه فقام"[2] ثم تبنىّ القول الثاني وبينّ سبب تبنيه فقال: "وهذا القول هو الصحيح وهو الأشبه بأفعال الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بل والأولياء"[3].

وبعد أن بين اتفاق المعجزة والكرامة في كونهما من خوارق العادات، ذكر الفروق التي بينهما فقال: "والفرق بين المعجزة والكرامة، أن الكرامة من شروطها الاستتار، والمعجزة من شرطها الإظهار"[4] ومع ان أصحاب الكرامة يسترون كراماتهم إلا أن الله سبحانه يظهر ما يشاء على يد من شاء، كإظهار الله كرامة العلاء بن الحضرمي[5] المشي على الماء، وإظهار الله كرامة عمر رضي الله عنه في مخاطبته لسارية[6] رضي الله عنه على المنبر وغيرهما[7]. كذلك من الفروق التي قيلت بين المعجزة والكرامة والتي ذكرها القرطبي – رحمه الله تعالى– قوله: "وقيل: الكرامة ما تظهر من غير دعوى، والمعجزة ما تظهر عند دعوى الأنبياء، فيطالبون بالبرهان، فيظهر أثر ذلك"[8] ثم ذكر القرطبي الأحاديث الواردة في الدلالة على ثبوت الكرامات[9].

---

[1] هو ابن هشام أبو عبدالله الأسدي، روى عن ابن عباس وعن التابعين، سكن الكوفة وكان من علماء التابعين، قتله الحجاج بن يوسف في سنة خمس وتسعين من الهجرة. انظر في ترجمته الذهبي، **سيرا أعلام النبلاء**، ج4، ص 321 – 341.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج 13، ص 340.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 343. ولمزيد من الفروق بين المعجزة والكرامة انظر: البغدادي، **أصول الدين**، ص 174. الجويني، **الإرشاد**، ص 267 – 270. قحطان الدوري ورشدي عليان، **أصول الدين الإسلامي**، ط2، دار الفكر، الأردن، 2002م، ص 267.

[5] هو عبد الله بن عباد بن ربيعة، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم البحرين، كان مجاب الدعوة، وخاض البحر بكلمات قالها ودعا بها، وقد ذكرت في "الكامل في التاريخ" وذلك مشهور عنه. توفي في خلافة عمر رضي الله عنه سنة أربع عشرة وقيل توفي سنة إحدى وعشرين. انظر في ترجمته: ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج2، ص364

[6] سارية: هو سارية بن زنيم بن عبد الله الكناني، صحابي من الشعراء القادة الفاتحين، كثير الغارات، أسلم وجعله عمر أميراً على جيش، وسيره الى بلاد فارس سنة 23هـ. توفي نحو ثلاثين هجري. انظر في ترجمته: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص69.

[7] انظر: ابن تيمية، **النبوات**، ص 7.

[8] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 343.

[9] ذكر القرطبي في إثبات الكرامات أحاديث صحيحة وضعيفة. انظر، القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 343 – 346.

وأن من أهم الفوارق بين الأنبياء والأولياء هو متابعة الولي للنبي ظاهراً وباطناً، وأما من ادعى محبة الله تعالى وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله تعالى وأولياء الشيطان كما أن حدوث الأمور الخارقة للعادة ليست دليلاً على الولاية فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب وتكون لأهل البدع ومن الشياطين، فلا يغتر بمن حصلت له تلك الخوارق حتى يُنظر في متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه[1].

وفي نهاية هذا المبحث تبينّ للباحثة بأن الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– يرى ثبوت وقوع خوارق العادات لكل من الأنبياء وتسمى معجزة، وللأولياء الصالحين وتُسمى كرامة، وأنه يستدل غالباً بالأحاديث الصحيحة على المسائل المختلف فيها، إلاّ أنه أحياناً يتساهل في إيراد بعض الأحاديث الضعيفة، لكن الطابع العام لمنهج القرطبي هو استدلاله بالأحاديث الصحيحة، وإضافته معظم الأقوال إلى قائليها، وجُل الأحاديث إلى مصنفيها، إيفاء منه بما وعد في مقدمة كتابه التفسير "الجامع".

1 انظر: ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم، (ت728هـ)، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، دون طبعة، (تحقيق عبدالقادر أرنؤوط)، مكتبة دار البيان، الرياض، 1985هـ، ص7-12، 79.

الفصل الثالث

مسائل الغيب في سورة الكهف ومنهج القرطبي في تفسيرها

تمهيد:

إن المسائل المتعلقة بالغيب في سورة الكهف هي مسائل تتعلق بالملائكة والجن، وأشراط الساعة "يأجوج ومأجوج"، وفيها إثبات عقيدة الحشر والمعاد، وذكر بعض أهوال يوم القيامة كالنفخ في الصور والعرض والحساب والميزان وأحوال المؤمنين والكافرين الآخروية وإثبات الجنة والنار ووصفها وإثبات الخلود لأهلها. وبيان هذه المسائل ومنهج القرطبي في تناوله لها فيما هو آت:

المبحث الأول : الملائكة والجن

إنّ الملائكة والجن مخلوقات غيبية عنّا ذُكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والإيمان بوجود الملائكة والجن والشياطين من أركان العقيدة الإسلامية، فمن أنكر وجودهما فهو منكر لكلام الله ورسوله، ويحكم عليه بالكفر[1]، وقد ورد ذكر الملائكة في سورة الكهف في قوله تعالى: " و إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ " [الكهف:50] ، إلّا أنّ القرطبي – رحمه الله تعالى – لم يتطرق إلى ذكر تفاصيل في شأن الملائكة وما يتعلق بهم، واكتفى بذكر خلاف العلماء في مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنّه ذهب إلى التوقف في هذه المسألة، وقد سبق بيان ذلك في الفصل السابق.

---

[1] انظر: حبنكة، **العقيدة الاسلامية**، ص234 .

أمّا إبليس فقد عرّفه القرطبي بقوله: " وإبليس وزنه إفعيل، مشتق من الإبْلاس وهو اليَأْس من رحمة الله تعالى"[1]، ثم ذكر القرطبي الخلاف في حقيقة إبليس هل كان من الملائكة أم من الجن[2]؟ فقال: " قوله "إلا إبليس" نصبٌ على الاستثناء المتّصل، لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور: ابن عباس، وابن مسعود، وابن جُريج[3]، وابن المسيّب[4]، وقتاده[5]، وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن[6]، ورجّحه الطبري وهو ظاهر الآية."[7] وبذلك رجّح القرطبي هذا القول ثم ذكر ما قيل على أنه من الملائكة، منها قول ابن عباس رضي الله عنه، فقال القرطبي: " قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل، وكان من أشراف الملائكة، وكان من أولي

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص440 .

[2] اختلف العلماء هل إبليس من الجن أم من الملائكة على ثلاثة أقوال: القول الأول: أنه من الملائكة والقول الثاني: أنه من الجن، والقول الثالث: أنه كان من الملائكة فمسخه الله من الجن لمّا عصاه. واستدل كل فريق على قوله بأدلة. انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج1، (تحقيق عبد الله التركي)، عالم الكتب، الرياض، 2003م، ص525-542. ج1، الماوردي، علي بن محمد (ت450 هـ)، **النكت والعيون**، (تحقيق: السيد بن هشام) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص102-103 ، ج3، ص313- 314 . الرازي، **التفسير الكبير**، ط3، ج11، ص136، ج1، ص213-215 . ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط 1 ، ج1، مكتبة الهلال، بيروت، 1986م، ص112-114، ج3، ص121-122 . السيوطي، جلال الدين (ت911 هـ)، **الدر المنثور**، ط1، ج1، (تحقيق عبد الله التركي)، مركز هجر، القاهرة، 2003م .

[3] هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، صاحب التصانيف، وأول من دوّن العلم بمكة، وكان من بحور العلم، ولد سنة ثمانين، وكان له رواية نحو ألف حديث والتفسير له منه الشيء الكثير، توفي سنة خمسين ومئة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص326-336

[4] هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، عالم أهل المدينة، من فقهاء التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، كان من أعلم الناس بالحديث، توفي سنة أربع وتسعين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص217-245 . **ابن سعد، الطبقات**، ج7، ص119-147 .

[5] هو قتادة بن دعامة السدوسي، كان من أوعية العلم والحفّاظ، من أعلام المفسرين والمحدّثين، ولد سنة ستين وكان ضريراً، توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص269- 282 .

[6] تمت ترجمته في ص9.

[7] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص438 .

الأجنحة الأربعة، ثم أبلَس بَعد"[1]. وحكي "أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يُقال لهم: الجِنّة"[2]. وذكر القرطبي كذلك القول القائل: "إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار، وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور[3]. ثم ذكر القرطبي القول الثاني القائل بأن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة[4]، فقال: "قال ابن ابن زيد والحسن وقتادة أيضاً: ابليس أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن ملكاً. وقال شهر بن حوشب[5] حوشب[5] وبعض الأصوليين: كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة، فسبوه صغيراً، وتعبّد مع الملائكة، وخوطب"[6] وبعد أن ذكر القرطبي – رحمه الله تعالى – قولي أهل العلم في المسألة، بيّن أدلة القائلين بكون إبليس من الجن، وكانت أدلتهم كالآتي:

1- " أنّ الاستثناء في قوله تعالى: " إلا إبليس" استثناء منقطع، مثل قوله تعالى: " مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا "،[النساء:157] وقوله: " إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ "[المائدة:3] على أحد القولين"[7]

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص438. أخرجه ابن الانباري، محمد بن القاسم، **الأضداد**، بدون طبعة، (تحقيق محمد إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص336. قال الطبري حديث ضعيف. انظر: الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ)، **ضعيف تاريخ الطبري**، ط1، م6 (تحقيق محمد البرزنجي)، دار ابن كثير، دمشق، 2007م، ص48 ص485. وقال الشنقيطي هو من الإسرائليات التي لا معول عليها انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج3، ص291.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1،ص438 .

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء ص439 . والحديث أخرجه الطبري في ضعيفه. الطبري، **ضعيف تاريخ الطبري**، ج6، (رقم101) ص5.

[4] قال به جماعة من العلماء، انظر: **الزمخشري**، محمود بن عمر (ت338هـ)، الكشاف، دون طبعة، ج2، دار المعرفة، بيروت، بيروت، ص393 . ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص346. الشنقيطي، محمد الأمين (ت1393هـ)، **أضواء البيان**، بدون طبعة، ج4، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1988م، ص130-132 .

[5] هو أبو سعيد الأشعري، الشامي، مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصارية، من كبار التابعين، توفي سنة اثنتي عشرة ومئة. انظر في ترجمته الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص372-378 .

[6] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص439.والحديث أخرجه الطبري في ضعيفه. الطبري، **ضعيف تاريخ الطبري**، ج6، (رقم111) ص5 وقال ضعيف.

[7] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص439.

2- "احتج بعض اصحاب هذا القول بأن الله عزوجل وصف الملائكة، فقال: " لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " [التحريم:6] وقوله تعالى: " إِلَّا إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ " [الكهف:50] والجن غير الملائكة"[1]. أي أن حجة أصحاب هذا القول أمران أحدهما : عصمة الملائكة والثاني: صريح الآية بأن ابليس كان من الجن، والجن غير الملائكة.

ثم ذكر القرطبي – رحمه الله تعالى – ردود أصحاب القول الأول القائلين بأن إبليس من الملائكة فقال: "أجاب أهل المقالة الأولى بأنه لا يمتنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق في علم الله بشقائه عدلاً منه "لا يُسأل عما يفعل" [الأنبياء:23]، وليس في خلقه من نار، ولا في تركيب الشهوة حين غضب عليه ما يدفع أنه من الملائكة"[2]. وأمّا من قال بأن إبليس كان من جن الأرض فسُبي، فقد ردّ عليهم القرطبي بقوله: "قد رُوي في مقابلته أنّ ابليس هو الذي قاتل الجن في الأرض مع جُند من الملائكة"[3]. وهنا يدلل القرطبي في هذه الرواية على تأكيد رأيه في كون إبليس كان من الملائكة ثم أبلس، وأمّا تسمية الله عزوجل لإبليس أنه من الجن في قوله تعالى: " إِلَّا إِبْلِيسَ كان مِنَ الْجِنِّ " [الكهف:50]، فقد فسّره القرطبي بقوله: "حكى الثعلبي[4] الثعلبي[4] عن ابن عباس: أنّ ابليس كان من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السموم،

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص439 .

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة .

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. أخرجه الحاكم نحوه عن ابن عباس رضي الله عنه ولم يرد فيه لفظ ابليس وقال الحاكم الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: الحاكم، محمد بن عبد الله (ت405 هـ)، **المستدرك**، ط2، ج2، (تحقيق مصطفى عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، كتاب التفسير، حديث رقم (3035)، ص287

[4] سبقت ترجمته في ص112.

وكان من خزّان الجنة، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فرأى لنفسه بذلك شرفاً وعظمة، فذلك الذي دعاه إلى الكفر، فعصى، فمسخه شيطاناً رجيماً."[1]

كذلك ذكر القرطبي ما جاء في كلام العرب من تسمية الملائكة جنّاً فقال: "والملائكة قد تسمّى جنّاً؛ لاستتارها، وفي التنزيل:" وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا " [الصافات:158]، وقال الشاعر في ذكر سليمان عليه السلام: (وسخر من جن الملائك تسعة   قياماً لديه يعملون بلا أجر)"[2] وذكر القرطبي أيضاً تعليله لتسمية الله عزوجل لإبليس أنه من الجن قوله: " وأيضاً لمّا كان من خُزّان الجنّة نُسِب إليها، فاشتق اسمه من اسمها، والله أعلم".[3]

أمّا عند قوله تعالى: " أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي " [الكهف:50] فقد بيّن القرطبي خلال تفسيره لهذه الآية وجود اختلاف بين أهل العلم في اثبات ونفي مسألة ذرية إبليس فقال: " واختلف هل لإبليس ذرية من صلبه"[4]؟ ثم ذكر ما قيل في إثبات الذرية لإبليس قائلاً: " قال الشعبي[5]: سألني رجلٌ فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إنّ ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله: " أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي " فعلمتُ أنه لا

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص440 . قال محقق تفسير القرطبي: لم يثبت في ذلك نص صحيح. والأثر أخرجه الطبري في تاريخه، الطبري، **ضعيف تاريخ الطبري**، ج6، حديث رقم (97)، ص49، وقال ضعيف.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص440.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. والتحقيق: "إن إبليس من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله". ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص346.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300 .

[5] هو عامر بن شراحيل، ولد سنة إحدى وعشرين، كان حافظاً فقيهاً ثقة، وروى عنه خلقٌ كثير، توفي سنة ست ومائة، انظر ترجمته: أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت430 هـ)، **حلية الأولياء**، ج4، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص310 . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص294-318 .

تكون ذريةٌ إلا من زوجة، فقلت: نعم"[1]. أمّا القول الثاني في المسألة فذكره القرطبي بقوله: " وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وذريته أعوانه من الشياطين"[2]. ثم ذكر القرطبي بعض ما روي في كيفية التوالد وحدوث ذرية إبليس[3]، إلا أنّ ما روي في كيفية التوالد لإبليس لم يثبت بها نص صحيح، وهو ما أثبته القرطبي وحسم به المسألة، فأورد قول القشيري[4] قائلاً: "قال القشيري أبو نصر: والجملة أنّ الله تعالى أخبر أن لإبليس أتباعاً وذرية، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم وهم أعداؤهم، ولا يثبت عندنا كيفيةٌ في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن إبليس، فيتوقف الأمر فيه على نقلٍ صحيحٍ."[5]، وهذا ما اعتمده القرطبي غالباً في تفسيره واشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره "الجامع"[6].

وتأكيداً منه – رحمه الله تعالى – على تحرّيه النقل الصحيح فيما يورده من روايات وأخبار قال: "قلت: الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي[7] في " الجمع بين الصحيحين " عن الإمام أبي بكر البرقاني أنّه خرّج في كتابه مسنداً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لا تكن أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فبها باض الشيطان وفرّخ.] وهذا يدل على أنّ للشيطان ذريةً من صلبه، والله

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300

[3] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] هو أبو محمد الفضل بن محمد القشيري، سمع العلّامة عبد القاهر البغدادي وغيره، توفي سنة ست وخمس مئة وله ست وثمانون سنة وكان فاضلاً، حسن السمت. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص280 .

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300 .

[6] انظر: المصدر نفسه، ج1، ص8 .

[7] هو محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي، كان من أصحاب الحديث علماً وعملاً، وكان ورعاً تقياً، وله كتب عديدة منها " جُمل تاريخ الإسلام " و " مخاطبات الأصدقاء" وغيرها كثير، توفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص120–126 .

أعلم"[1]. وبهذا يتبين إثبات القرطبي – رحمه الله تعالى – الذرية لإبليس؛ مما جعله يسترسل في ذكر أسماء الشياطين من ذرية إبليس على ما وردِ فيه من روايات، ثم أعقبهُ بقول لابن عطية[2] يقول فيه: " قال ابن عطية: وهذا وما جانسه ممّا لم يأت به سندٌ صحيح وقد طوّل النقّاش[3] في هذا المعنى، وجلب حكايات تبعد عن الصحة، ولم يمرّ بي في هذا صحيحٌ إلّا ما في " كتاب مسلم" من أنّ للصلاة شيطاناً يُسمّى خُنزبْ[4] وذكر الترمذي[5] أنّ للوضوء شيطاناً يسمى الولهان"[6].

وقد عارض القرطبي قول ابن عطية السابق بقوله: " قلت: أمّا ما ذُكر من التعيين في الاسم فصحيح، وأمّا أنّ له أتباعاً وأعواناً وجنوداً فمقطوع به، وقد ذكرنا الحديث الصحيح في أنّ له أولاداً من صلبه."[7] وهذا

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300–301، والحديث ذكره الحميدي، محمد بن فتوح (ت488 هـ)، **الجمع بين الصحيحين**، ط2، ج3، (تحقيق علي البواب)، دار ابن حزم، بيروت، 2002م، مسند سلمان الفارسي، حديث رقم (2840)، ص361. وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة رضي الله عنها، ج1، حديث رقم (2451)، ص1906 .

[2] هو عبد الحق بن غالب بن عطية، مفسر، فقيه، أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له مصنفات منها كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشر مجلدات" ، (ت 541هـ وقيل 546هـ) انظر: الزركلي، **الأعلام**، ص282.

[3] هو أبو بكر محمد بن الحسن، ولد سنة ست وستين ومائتين، كان قوياً في القرآن، وله مصنفات عديدة منها كتاب الإشارة في في عريب القرآن، وكتاب "المناسك" وغيره كثير توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص574–576.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، حديث رقم (2203)، ج4، ص1728 .

[5] هو محمد بن عيسى الضحاك، مصنف (الجامع وكتاب العلل) ولد سن عشر ومائتين، كان عالماً حافظاً تقياً توفي سنة تسع تسع وسبعين ومئتين. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص270–276.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص302 . والحديث أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى (ت279 هـ)، **الجامع الكبير**، ط1، ج1، (تحقيق بشار معروف) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، باب كراهية الإسراف في الماء، حديث رقم (57)، ص101–102 ، وقال الترمذي: حديث غريب وليس إسناده بالقوي والصحيح عند أهل الحديث.

[7] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص302 .

يؤكد على أنّ القرطبي – رحمه الله تعالى – يرى أنّ ما ذُكر في أسماء الشياطين صحيحٌ وأن لإبليس ذرية من صلبه، ولذلك استشهد بما ورد في الصحيح في شأن إبليس وأعوانه وجنده واستطرد فيه[1].

وفي قوله تعالى: " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " [الكهف:51] قال القرطبي في تفسيرها: " الكناية في قوله (ما أشهدتهم) ترجع إلى المشركين، وإلى الناس بالجملة، فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع، والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من ينخرط في هذه الأشياء"[2]. فالقرطبي – رحمه الله تعالى – يرى أن ادعاء هؤلاء الغيب هو من إضلال إبليس وذريته لهم لذلك هم مندرجون تحت هذه الآية الكريمة، لذا أورد القرطبي قولاً لابن عطية تأكيداً لما ذهب إليه في تفسير الآية فقال: " قال ابن عطية: وأقول: إنّ الغرض المقصود أولاً بالآية هم إبليس وذريته، وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان[3] والعرب والمعظمين للجن، حين يقولون: يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي، إذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس وذريته، وهم أضلوا الجميع، فهم المراد الأول بالمضلين، وتندرجُ هذه الطوائف في معناهم"[4]. كما أورد القرطبي قولاً لبعض أهل العلم في تفسير الآية السابقة، فقال: " وقال بعض أهل العلم: " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ " [الكهف:52] ردٌّ على المنجمين أن قالوا: إن الأفلاك تُحدِث في الأرض وفي بعضها في بعض، وقوله: (الأرض) ردٌّ على

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص303–304 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص304 .

[3] الكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب. انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص153 .

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص305 .

أصحاب الهندسة حيث قالوا: إن الأرض كُريّة والأفلاك تجري تحتها، والناس ملصقون عليها وتحتها، وقوله: (ولا خلق أنفسهم) ردّ على الطبائعين حيث زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس"[1].

وإنما أورد القرطبي هذا القول لبعض العلماء لما فيه من تفصيل لما عليه المنجّمون من ادعاء الغيب، وأنّ للأفلاك والأرض والنفوس تأثيراً في الكون ومجرياته، لذا صرّح القرطبي في كثير من الآيات المتعلقة بهذا الأمر في جميع سور القرآن الكريم بما يدحض مفتريات المنجمين ويبين كذبهم على الله عزوجل، فقال عند تفسير قوله تعالى: " أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "[البقرة:33] " دليلٌ على أنّ أحداً لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله، كالأنبياء، أو من: علمه الله تعالى، فالمنجمون والكهّان وغيرهم كَذَبة"[2].

ومما سبق يتبين إثبات القرطبي – رحمه الله تعالى – للجن والشياطين، وأن لإبليس ذرية من صلبه، وله أعوان وجنود في إضلال الناس وإغوائهم، وذكر من صور إضلاله طوائف المنجمين والكهان ومن شاكلهم ممن يدّعون معرفة الغيب، كما يتبين تحري القرطبي للنقل الصحيح فيما يورده من روايات وأخبار، ويظهر في هذا المبحث سعة إطلاعه – رحمه الله تعالى – في كتب غيره من العلماء وذلك من خلال ذكر اسم الكتاب ومؤلفه كقوله: "وحكى أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي[3] في "كتاب اللؤلؤيات"[4] كما أن القرطبي – رحمه الله تعالى – تبنّى الرأي القائل بأنّ ابليس كان من الملائكة، وذكر أن هذا هو قول الجمهور، لكنه استدل بروايات وأخبار قال فيها ابن كثير: " هذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور ويقع فيه اسرائيليات

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص305 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص432 .

[3] هو مكحول بن الفضل، أبو مطيع النسفي، صاحب كتاب "اللؤلؤيات" في الزهد والأدب، توفي سنة ثمان وثلاث مئة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج15، ص33 .

[4] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص302 .

كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم"[1]. وقد قال بعض العلماء أن ما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره من أن ‘بليس كان من أشراف الملائكة وخزّان الجنة وأن اسمه عزرائيل كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها[2].

ومسألة كون إبليس من الملائكة أو من الجن هي موضع خلاف بين العلماء، وقد ذكر القرطبي –رحمه الله تعالى– أقوال العلماء في المسئلة وإختلافهم والنصوص والادلة التي اعتمدها كل فريق منهم، والتحقيق في ذلك والله أعلم أن الراجح في المسألة هو حجة القائلين بكون إبليس كان من الجن ولم يكن ملكاً من الملائكة، لقوة أدلتهم فإن إبليس خلق من نار وخلقت الملائكة من نور، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون كما وصفهم الله في كتابه العزيز، أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك كان مستكبراً كما قال تعالى: "إلا إبليس أبى وستكبر وكان من الكافرين" [البقرة:34]، كما أن في قوله تعالى: "كان من الجن ففسق عن أمر ربه" [الكهف:50] أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، "لان الفاء من الحروف الدالة على التعليل، كقولهم: سرق فقطعت يده"، إي: لإجل سرقته.

وظاهر قوله تعالى: "إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه" يدل على أن إبليس لم يكن من الملائكة في الأصل بل من الجن، وأنه كان يتعبد معه فشمله الأمر بالسجود مع الملائكة، لذا كانت أظهر الحجج في المسئلة حجة من قال أنه ليس بملك لصريح قوله تعالى : "إلا إبليس كان من الجن" والجن غير الملائكة[3].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص114 .

[2] انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج4، ص130–132 . ابن تيميه، **مجموع الفتاوى**، ج4، ص346 .

3 انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج1، ص507. الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط2، دار الفكر بيروت، 1981م، ج2، البقرة، اية رقم 43، ص234–234، ج21، ص137. الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج4، ص130-132.

المبحث الثاني : أشراط الساعة

المطلب الأول : معنى أشرط الساعة لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى أشراط الساعة لغةً:

معنى الشَّرْط في اللغة: الشَّرَطُ بالتحريك: العلامة، وبه سميت شُرَطُ السلطان، وهم نخبة من أصحابه الذين جعلوا لأنفسهم علامات يُعرفون بها، وجمعه أَشْراط، وأَشْراطُ الشيء أَوائِلُه، وأَشْراطُ الساعة: علاماتها التي يعقبها قيام الساعة[1].

ثانياً: أشراط الساعة اصطلاحاً

وهي الوقت الذي تقوم فيه الساعة، وسمي يوم القيامة إما لقربها أو لأنها تأتي بغتة في ساعة، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة، فيصعق الخلق كلهم جميعاً بصيحة واحدة[2].

وعليه فإن أشراط الساعة: هي العلامات والآيات التي تسبق قيام الساعة وتدل على قربها[3].

---

1 انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص82- 84 . الزبيدي، **تاج العروس**، ج5، ص166 – 167. ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت606 هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط1،ج2، (تحقيق صلاح عويضة) دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص412. الجرجاني، **التعريفات**، ص 108. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج11 ، ص 352 .

2 انظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج2، ص379 .

3 انظر: السفاريني، **لوامع الأنوار**، ج2، ص65 . الأشقر، عمر سليمان، **اليوم الآخر**، ط7، دار النفائس، الأردن، 1997م، ص127 .

المطلب الثاني: خروج يأجوج ومأجوج

أولاً: ذكر قصة ذي القرنين

لم يذكر الله عزوجل أمر ذي القرنين في القرآن العظيم إلا فيما جاء في أواخر سورة الكهف في قوله تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ " [الكهف: 83]. وقد اختلف المفسرون في شأن ذي القرنين ونبوته وهل كان نبياً أم كان عبداً صالحاً؟ فجاء في ذلك أقوال بينها القرطبي في تفسيره للآية منها: " ما روي عن خالد بن معدان الكلاعي[1] – وكان خالدٌ رجلاً قد أدرك الناس – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن ذي القرنين فقال:[ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب] وقال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم غفراً، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة؟!

قال ابن اسحاق[2] : فالله أعلم أي ذلك كان؟ أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أم لا؟ والحق ما قال[3]. وقد اكتفى القرطبي هنا بذكر الروايات الدالة بمفهومها على الرأي القائل بأن ذا القرنين كان من الملائكة، ثم ذكر القرطبي القول الثاني وهو ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: "إنه عبد ملك –بكسر اللام– صالح نصح الله فأيده" ، أما القول الثالث فقد قيل: " هو نبي مبعوث فتح الله تعالى

---

1 هو خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، تابعي من أئمة الفقه، حدَث عن خلق من الصحابة، وأكثر ذلك مرسل، ثقة، عابد زاهد، توفي سنة ثلاث ومئة. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص536–541 .

2 هو محمد بن إسحاق بن يسار القرشي، يكنى بأبي بكر، صاحب السيرة النبوية، كان أعلم الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتهم بالقدر، لكنه حسن الحديث، صدوق، توفي سنة إحدى وخمسين ومئة. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج7، ص30–45 .

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص365. والحديث أخرجه الطبري في تفسيره، **جامع التأويل**، ج18، ص354 . والحديث سنده ضعيف جداً. قاله محقق تفسير الطبري.

على يديه الأرض"[1]، ، إلا أن القرطبي لم يرجح قولاً من الأقوال الثلاثة، لكنه أورد رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذُكر فيها أن ذا القرنين كان عبداً صالحاً، فقال القرطبي: " وسأل ابن الكوَاء[2] علياً عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: لا ذا ولا ذا، كان عبداً صالحاً، دعا قومه إلى الله تعالى، فشجوه على قرنه، ثم دعاهم، فشجوه على قرنه الآخر، فسمي ذا القرنين"[3]، ثم أعقبه القرطبي بقوله: " وبالجملة فإن الله تعالى مكنه وملكه فدانت له الملوك"[4]، فلعله يميل إلى القول بأن ذا القرنين كان ملكاً صالحاً؛ وقد استرسل في استدلاله بالروايات الدالة على ذلك[5]، وفي رد ذي القرنين على طلب بناء السد من قبل المجاورين ليأجوج ومأجوج وهو قوله تعالى: [قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ] [الكهف:95]، هذا وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[ما أدري أتّبع نبياً أم لا، وما أدري ذا القرنين نبياً أم لا][6].

استنبط القرطبي منها مسألة غاية في الأهمية في وجوب حماية الملك لرعيته ورعاية أموالهم، وفي ما يجب على الرعية اتجاه الحاكم عليهم فقال: " في هذه الآية دليل على أن الملك فرضٌ عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم، من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص365.

2 هو عبد الله بن الكوَاء، من رؤوس الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين جرى أمر التحكيم، واجتمعوا بحروراء بإمرته قال البخاري: لم يصح حديثه . انظر الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب (ت 259هـ)، **أحوال الرجال**، ط1، (تحقيق: صبحي السامرائي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص33-34. الذهبي، محمد بن أحمد(ت748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ط1، ج2، (تحقيق محمد العرقسوسي)، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ص425. ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، ج4، ص102 – 103.

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص367. أخرجه الطبري في تفسيره. انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج15، ص370. والحديث سنده ضعيف جداً.

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص367.

5 انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص366، 368، 373، 374- 385.

6 رواه الحاكم في مستدركه، ج1، ص92. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا اعلام له علة ولم يخرجاه.

تجمعها أخزنتهم تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفذتها المؤن؛ لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم"[1].

ثم بيّن الشروط التي تجب على الملك في أموال الرعية فقال: " وذلك بثلاثة شروط: الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء. الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة فيهم. الثالث: أن يسوى في العطاء بينهم على قدر منازلهم، فإذا فنيت بعد هذا وبقيت صفراً فأطلعت الحوادث أمراً، بذلوا انفسهم قبل أموالهم، فإن لم يُغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير، وتصرف بتدبير"[2].

ويظهر من ذلك مدى فهم القرطبي وفقهه للواجبات المفروضة على الحاكم المسلم اتجاه الرعية وما يتعلق بحقوقهم وأموالهم وفق ما جاء في الكتاب والسنة، وفي المقابل ما يجب على الرعية في بذل أنفسهم وأموالهم عند حاجة الدولة والحاكم لهم في مواجهة الحوادث والنكبات. وفي قوله تعالى: [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكان وَعْدُ رَبِّي حَقًّا] [الكهف: 98]، وقوله تعالى: [حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ] [الأنبياء: 96-97] ، فإن هاتين الآيتين قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج إنما يجعله الله عزوجل دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، كما دلتا على أن ذلك سيحصل عند اقتراب يوم القيامة، ولذا قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:"(فإذا جاء وعد ربى) أي يوم القيامة وقيل: وقت خروجهم، (جعله دكاً) أي : مستوياً بالأرض"[3].

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص384-385 .

2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص390.

كما استدل القرطبي على أن خروج يأجوج ومأجوج هو قبيل يوم القيامة بقوله تعالى: " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " [الكهف: 99] فقال: "الضمير في (تركنا)" لله تعالى، أي : تركنا الجن والإنس يوم القيامة يموج بعضهم في بعض، وقيل: تركنا يأجوج ومأجوج "يومئذ" أي: وقت كمال السد يموج بعضهم في بعض، وقيل : تركنا يأجوج ومأجوج يوم انفتاح السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم"[1]، ثم رجح القرطبي القول الدال على اقتران يوم القيامة بخروج يأجوج ومأجوج إذا دُك السد وقربه منه فقال: " قلت: فهذه ثلاثة أقوال، أظهرها أوسطها، وأبعدها آخرها، وحسن الأول، لأنه تقدم ذكر يوم القيامة في تأويل قوله تعالى: (فإذا جاء وعد ربي)، والله أعلم"[2].

ثانياً : ذكر يأجوج ومأجوج

إن من أشراط الساعة وعلاماتها خروج يأجوج ومأجوج، ودلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، أمّا من الكتاب فقد بيناه في تفسير القرطبي – رحمه الله – عند قوله تعالى:" فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَان وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" [الكهف: 98]، وأما في السنة فقد وردت بها أحاديث صحيحة منها ما روي عن حذيفة بن أسد الغفاري[3] قال: [اطّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: " ما تذاكرون ؟ " قالوا : نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص391.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. وقد استشهد القرطبي على خروج يأجوج ومأجوج قبيل الساعة بما روي في السنة من ذلك. وتوسع في ذكر الأخبار والمرويات في كتابه " **التذكرة** " انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص 572 – 574.

3 هو حذيفة بن اسيد بن خالد الغفاري، بايع تحت الشجرة، ونزل الكوفة وتوفي بها، أخرج له مسلم وأصحاب السنن، توفي سنة اثنتين وأربعين، انظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ص259. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في معرفة الصحابة**، ج2، ط1، مركز هجر، القاهرة، ص494.

بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم][1]، وقد صرّح بذلك القرطبي في كتابه " التذكرة " في باب أشراط الساعة فقال: " وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، فمنها: خروج الدجال، ونزول عيسى، وقتله الدجال، ومنها خروج يأجوج ومأجوج ...."[2]، كما ذكر القرطبي بعض ما ورد في صفتهم وخروجهم فقال: " وقد وردت أخبار بصفتهم وخروجهم وأنهم ولد يافث، روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ولد لنوح سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام القبط والبربر والسودان]"[3].

وأما صفتهم فقد ذكر القرطبي روايات واخباراً كثيرةً فيها[4]، منها ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [لا يموت رجلٌ منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل][6] . ومن

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، م1، حديث رقم (2901)، ص 716 – 717 .

2 القرطبي، **التذكرة**، ص 522 .

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص378. وفي سنده يزيد بن سنان وقد ضعفه أحمد وابن معين وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: النسائي، أحمد بن علي (ت303هـ)، **الضعفاء والمتروكين**، ط1، ج1، (تحقيق محمود زايد)، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ص252. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج13، ص132. وقد صرح الحافظ ابن حجر بأنه ضعيف. الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، ج3، ص885. وقال: حديث ضعيف.

4 استرسل القرطبي في ذكر الروايات والأخبار في وصف يأجوج ومأجوج وأكثرها ضعيفة أو من الإسرائيليات، انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص379–381.

5 سبقت ترجمته في صفحة 103

6 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص379. والحديث سنده ضعيف جداً، وفي سنده محمد بن سعد قال عنه البخاري متروك الحديث، وقال النسائي: غير ثقة ولا مأمون انظر: البخاري، محمد بن اسماعيل (ت 256هـ)، كتاب **الضعفاء الصغير**، ط1، (تحقيق محمود زايد)، دار المعرفة، بيروت، 1986م، ص104–105. النسائي، **الضعفاء والمتروكين**، ص231.

الروايات التي ذكرها القرطبي وفيها وصف دقيق ليأجوج ومأجوج ما أورده عن وهب بن منبه[1]، حيث قال: " وقال وهب بن منبه: رآهم ذو القرنين، وطول الواحد منهم نصف الرجل المربوع منّا، ولهم مخالب في مواضع الأظفار، وأضراس وأنياب كالسباع، وأحناك[2] كأحناك الإبل، وهم هُلب[3]، عليهم من الشعر ما يواريهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، وكل واحد منهم عرف أجله، لا يموت حتى يخرج له من صلبه ألف رجل إن كان ذكراً، ومن رحمهما ألف أنثى إن كانت أنثى[4]. وبعد أن ذكر القرطبي بعض ما ورد في وصف يأجوج ومأجوج، بيّن أن قبيلة من قبائل يأجوج ومأجوج بقيت خلف السّد، وهم الترك، فقال رواية عن السدي[5] والضحاك[6]:" الترك: شرذمة من يأجوج ومأجوج خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السّد، فبقيت في هذا الجانب"[7].

ثم شرع – رحمه الله تعالى – في بيان ما جاء من وصفهم في الصحيح فقال: " قلت : وإذا كان هذا، فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كما نعت يأجوج ومأجوج، فقال عليه الصلاة والسلام: [لا

---

1 هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه، كان إخبارياً، يقص القصص، غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب، تابعي ثقة، توفي سنة ثلاث عشرة ومائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص544 – 557.

2 حنك: محركة باطن أعلى الفم من داخل، أو الاسفل من طرف مقدم اللحيين. انظر: مجموعة من العلماء، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، ج1، مطبعة بريل، ليدن، 1969، ص523.

3 أهلب: كثير الشعر. انظر: مجموعة من العلماء، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، ج7، ص98.

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص381. والحديث اسناده ضعيف جداً. انظر أخرجه: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، ج5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص190.

5 هو اسماعيل بن عبد الرحمن، الإمام المفسّر، أحد موالي قريش، صدوق، صالح الحديث، رِمي بالتّشيع، أخرج له الجماعة إلا البخاري، توفي سنة سبع وعشرين ومئة. انظر في ترجمته: الذهبي، **السير**، ج5، ص264–265. الداوودي، **طبقات المفسرين**، ط1، ج1، ص110.

6 هو ابن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وهو صدوق في نفسه، توفي سنة اثنتان ومئة. وقيل غير ذلك. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص598.

7 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص381.

تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر ويمشون في الشعر] وفي رواية " ينتعلون الشعر" اخرجه مسلم وابو داوود وغيرهما". [1]

ويرى القرطبي – رحمه الله تعالى– أن لهؤلاء الترك قوة وكثرة في العدد، وصرّح بخروجهم وكثرتهم في زمنه وأنهم قد يكونون مقدمة يأجوج ومأجوج فقال: " ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم عددهم وكثرتهم قال عليه الصلاة والسلام: [اتركوا الترك ما تركوكم][2] ، وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يرّدهم عن المسلمين إلا الله تعالى، حتى كانهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم"[3].

وقد تبيّن لي في هذا المبحث استرسال القرطبي – رحمه الله تعالى – في إيراد الأخبار الإسرائيلية والروايات الضعيفة سنداً بل والموضوعة دون أن يُعلق عليها أو أن يتعقبها[4]، وهو القائل: " والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات؛ فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أُذنيك، فإنها لا تُعطي فكرك إلّا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلّا خبالاً"[5]. فبالرغم من رفضه للإسرائليات وتجنبه لها إلا أنه وقع في ذكر بعضها، فلعل ذلك كان من باب السهو أو الغفلة أو العجلة والله أعلم، ولكل جواد كبوة، وما ذكره في تفسيره

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص382 . والرواية الأولى عند مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر... ، م1، حديث رقم (2912)، ص719 . والرواية الثانية في صحيح مسلم حديث رقم (2912) مكرر (63). وهي عند البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، م1، حديث (2928) ص395 .

2 أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب النهي عن تهييج الترك والحبشة، ج6، حديث رقم (4302)، ص358 . وقال: حسن لغيره.

3 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص382 .

4 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص365 – 368، 376، 379–382 .

5 المصدر نفسه، ج18، ص215 . ذكره القرطبي معلقاً على كثرة الروايات الإسرائلية في قصة مرض أيوب عليه السلام.

" الجامع " من الإسرائيليات والروايات الضعيفة والواهية غيض من فيض ما ذكره في كتابه " التذكرة " تحت باب عنونه " بباب ما جاء في نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفي لباسهم وطعامهم "[1]

ولكن يخفف هذا العتب على القرطبي أن العصر الذي عاش فيه كان عصراً راجت فيه هذه الروايات، وتلك الأساطير[2]، كما يخففه قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح [بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار][3]. والملاحظ أنه تساهل في إيراد الروايات الإسرائيلة في القصص فقط دون الأحكام والتي يتحرى فيها بشدة الصحيح من الروايات والأخبار.

كما يظهر موافقة القرطبي لكثير من المفسرين في القول بأن ذا القرنين كان ملكاً من عباد الله الصالحين[4]، واعتقاده بحقيقة يأجوج ومأجوج وخروجهم آخر الزمان كما بينتها الآيات والأحاديث الصحاح، وأرى أن يأجوج ومأجوج غيب من الغيبيات التي أخبرنا الله سبحانه عن ظهورهم بين يدي الساعة في كتابه العزيز والأحاديث الصحاح، أمّا ما وراء ذلك من التفصيلات المتعلقة بصفاتهم وكيفياتهم وتفصيل أخبارهم؛ فإنما تناقل الناس كثيراً منها عن طريق أحاديث واهية أو منكرة أو باطلة، فنكتفي بما ورد فيهم في القرآن والسنة الصحيحة[5].

---

1 انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص573-576 .

2 انظر: الفرت، **القرطبي المفسر**، ص199 .

3 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني اسرائيل، م1، حديث رقم (3461)، ص473

4 انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص333 – 335 . البغوي، **معالم التنزيل**، ج16، ص178 . الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ)، **الكشاف**، ط3، (تحقيق خليل شحا)، دار المعرفة، بيروت، 209م، ص628 . ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص137- 138 . الألوسي، شهاب الدين محمود (ت127هـ)، **روح المعاني**، ط4، ج106، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص30 .

5 انظر البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص334-335 .

المبحث الثالث: إثبات عقيدة الحشر والمعاد

جاءت قصة أصحاب الكهف لإثبات عقيدة الحشر والمعاد[1]، وذلك في قوله تعالى: " وكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا " [الكهف:21]، حيث بيّن القرطبي – رحمه الله تعالى – السبب الذي من أجله أعثر الله عزوجل على أهل الكهف فقال: " قوله تعالى: "أعثرنا عليهم" أي: أطلعنا عليهم وأظهرناهم "ليعلموا أنّ وعد الله حق" يعني الأمة المسلمة التي بُعث أهل الكهف على عهدهم، وذلك أن دقيانوس مات ومضت قرون، وملك أهل تلك الدار رجل صالح، فاختلف أهل بلده في الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس، واستبعدوه وقالوا: إنما تُحشر الأرواح والجسد تأكله الأرض، وقال بعضهم: تُبعث الروح والجسد جميعاً، فكبر ذلك على الملك وبقي حيران، حتى لبس المسوح[2]، وقعد على الرماد، وتضرّع إلى الله تعالى في حجّة وبيان فأعثر الله على أهل الكهف"[3]، فدل قوله تعالى: "أعثرنا عليهم" على أن هناك بعثاً وأن الله قادر على أن يبعثهم يوم القيامة.

ثم بيّن القرطبي اعتقاده ببعث الروح والجسد معاً كما بينتها سورة الكهف في بعث الله لأصحاب الكهف بأجسادهم وهيئاتهم التي كانوا عليها قبل رقدتهم الطويلة، حيث قال بعد أن ذكر قصة بعث أصحاب الكهف: "ورجع من كان شك في بعثاً الأجساد إلى اليقين، فهذا معنى: "أعثرنا عليهم"[4]، وليؤكد القرطبي على

---

[1] انظر: النجدي، عبد الرحمن بن محمد(ت1392هـ)، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ط2، ج12، مؤسسة فؤاد، بيروت، ص319 . الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، ج2، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص171 .

[2] المسوح، جمع (مِسح) وهو ثوب من الشعر الغليظ . انظر: الزبيدي، **تاج العروس**، ج6، ص122.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص240 . وانظر نحوه: الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص194–195.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص241.

إثباته لعقيدة البعث والقيامة قال في تفسيره لقوله تعالى: "ليعلموا أنّ وعد الله حق" : "أي ليعلم الملك ورعيته أنّ القيامة حق والبعث حق"[1].

كما بيّن القرطبي أن إعادة الأجساد التي يجحدها منكرو البعث ليست بأعظم من النشأة الأولى وذلك ظاهر في قصة أصحاب الجنتين، حيث قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: " قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا" [الكهف:37] قال: "وعظه وبيّن له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التي لا ينكرها أحدٌ أبدعُ من الإعادة"[2]، فالإنشاء والإفناء والإحياء بقدرة الله تعالى وهو سبحانه على كل شيء مقتدر[3].

ولتعلق قصة أصحاب الكهف بقضية البعث والفناء ذكر القرطبي مسألة في اختلاف العلماء في أصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا، أو هم نيام وأجسادهم محفوظة؟ فأورد الرواية التي اعتمدها القائلون بأن أصحاب الكهف ماتوا وفنوا فقال: "فروى ابن عباس أنّه مرّ بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجَبَله، فمشى الناسُ معه إليه، فوجدوا عظاماً فقالوا: هذه عظامُ أهل الكهف، فقال لهم ابن عباس: أولئك قومٌ فنوا وعُدموا منذ مدة طويلة، فسمعه راهبٌ فقال: ما كنت أحسب أن أحداً من العرب يعرف هذا، فقيل له: هذا ابن عمّ نبينا صلى الله عليه وسلم"[4]. وأمّا الفرقة الثانية القائلة بعدم موت أصحاب الكهف وأنهم

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص241

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء ، ص277

[3] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء ص291

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء ، ص255

ما زالوا نياماً حتى قرب الساعة فذكر القرطبي رأيهم بقوله: "وروت فرقةٌ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ليحُجّن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجُّوا بعد]"[1].

وبعد أن أورد القرطبي اختلافي الآراء في موت أصحاب الكهف أو حياتهم ذكر رأيه في المسألة المُختلف فيها بقوله: "قلت: ومكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً أو معتمراً أو يجمع الله له ذلك، فيجعلُ الله حوارِيَّه أصحابَ الكهف والرقيم، فيمرون حجاجاً، فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا"[2]. ثم صرّح القرطبي عقبه برأيه في المسألة بعد أن أحال القارىء الى تمام الخبر في كتابه "التذكرة" فقال: "وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب "التذكرة" فعلى هذا هم نيام ولم يموتوا إلى يوم القيامة بل يموتون قُبيل الساعة"[3].

واستناد القرطبي – رحمه الله تعالى– في استدلالاته على حياة أهل الكهف بما جاء في كتب أهل الكتاب قد يعارضه عموم الآيات القرآنية التي جاءت في إثبات موت كل نفس وما يعززها من أحاديث صحيحة والتي استدل بها القائلون بموت أصحاب الكهف وفنائهم، وهي أقوى وأصح في نظري والله أعلم[4]، إلا أنّ هذا الاختلاف في حياة أصحاب الكهف أو موتهم من المسائل التي لا يحتاج المسلمون إلى معرفتها في دينهم، والكلام فيها لا يخرج عن فضول الكلام، وأمّا ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله عزوجل نصب على الحق فيه دليلاً[5]، وأمّا ما يؤخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه كما ثبت في

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص241. والحديث مرفوع لا إسناد له. ذكره ابن عطية في كتابه، ابن عطية ، **المحرر الوجيز**، ط1، ج3، ص511.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء ص255.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] هي نفس أدلتهم في إثبات موت الخضر وقد سبق بيانه في مبحث النبوة من هذا البحث.

[5] انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص1217.

الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام [لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا :" آمنّا بالله وما أنزل إلينا] "[1]، كما ذكر القرطبي أن قوله تعالى: " بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا " [الكهف:48]، فيه ردٌ على منكري البعث بإثبات البعث فقال: (بل زعمتم) هذا خطابٌ لمنكري البعث، أي: زعمتم في الدنيا أن لن تُبعثوا وأن لن نجعل لكم موعداً للبعث"[2]، ولقد أوضح ذلك في سياق تفسيره لقوله تعالى: " ولقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة" [الكهف:48]، المتعلق بالحشر إلى الله عزوجل يوم القيامة. فقال القرطبي في تفسيرها: "أي بعثناكم كما خلقناكم"[3]، وسيكون له مزيد بيان في مبحث أهوال يوم القيامة.

والبعث والمعاد الجسماني متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[4]، وهو ما أكده القرطبي – رحمه الله تعالى – وذلك عند إيراده لما قيل في معنى قوله تعالى: " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا " [الكهف:103]، من أنهم هم الحرورية واليهود والنصارى، فرد القرطبي بقوله: " ويضعف هذا كله قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ" [الكهف:105]. وليس من هذه الطوائف من يكفر بالله ولقائه والبعث والنشور، وإنما هذه صفة مشركي مكة عبدة الأوثان"[5]. وأنكرته الفلاسفة، وإن

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا "، م1، حديث رقم (4485)، ص611 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص297 .

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] انظر: الإيجي، **المواقف**، ص372-373 . التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص82 . الحنفي، قاسم بن قطلوبجا ، **المسامرة في شرح المسايرة**، ط1، ج2، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006م، ص100 . السفاريني، **لوامع الأنوار**، ج2، ص158 . عمر الأشقر، **القيامة الكبرى**، ط13، دار النفائس، الأردن، 2004م، ص43 .

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص393.

كان الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام لم ينكروا البعث مطلقاً لكنهم أنكروا البعث الجسماني؛ لأنه لا يمكن البرهنة عليه عقلاً بزعمهم[1].

وأمّا الباطنية فأولوا القيامة في القرآن والسنة، وكل ما يتعلق بأمور الآخرة من البعث والحشر والجنة والنار وغيرها[2]. ولذلك انتقدهم القرطبي – رحمه الله تعالى – في تفسيره الجامع فقال عند تفسيره لقوله تعالى: "أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم، إنّا جعلناها فتنة للظالمين" [الصافات : 62، 63] أي " المشركين، وذلك أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر؟ وهذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة، حتى حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخيله الأرواح، وحملوا وزن الأعمال والصراط واللوح والقلم على معاني زوّروها في أنفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع"[3].

وقد استْطردّتُ في ذكر تأويلات الباطنية الفاسدة ونقدهم بشدة لعظيم خطرهم وضررهم على المسلمين؛ فهم شرٌ من جميع الكفار، وقد استشرى أمرهم في زمننا هذا، وتلبّسوا بلباس العلم والتقوى حتى لبّسوا على الناس دينهم، ولذا حذّر منهم القرطبي – رحمه الله تعالى – فقال: " وحدث في الإسلام أقوام ليس يمكنهم إنكار البعث خوفاً من المسلمين، فيتأولون، ويرون القيامة موت البدن، ويرون الثواب والعقاب إلى خيالات تقع للأرواح بزعمهم، فشر هؤلاء أشد من شر جميع الكفار، لأن هؤلاء يلبسون على الحق، ويغتر

---

[1] انظر: ابن سينا، حسين بن عبد الله (ت428 هـ)، **الأضحوية في المعاد**، ط1، (تحقيق حسن عامي)، مؤسسة شمس تبريزي، إيران 1983م، ص50–55 . الغزالي، محمد بن محمد (ت505 هـ)، **تهافت الفلاسفة**، ط1، (تحقيق جيرار جهامي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993م، ص204–215

[2] انظر: الملطي، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، ص20–21 . البغدادي، **الفَرق بين الفِرَق**، ط4، ص260–262 . الغزالي، محمد بن محمد (ت505 هـ)، **فضائح الباطنية**، بدون طبعة، (تحقيق فرج درويش)، المكتب الثقافي، القاهرة، ص44–45 . الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص194 . الديلمي، محمد بن الحسن، **بيان مذاهب الباطنية وبطلانه**، بدون طبعة، دار ابن قتيبة، غير معروف البلد، ص37–39 ، 77– 78.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج18، الصافات، آية رقم 62–63، ص42.

بتلبيسهم الظاهر، والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم ."[1] ولقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم التصريح بالبعث بحيث لا يقبل التأويل ولا النفي، وهكذا أثبت القرطبي الحشر والمعاد مما جاء في سورة الكهف من آيات.

---

[1] المصدر نفسه، ج19، ص167 .

المبحث الرابع: أهوال يوم القيامة

المطلب الأول: النفخ في الصور

أولاً: معنى الصور وبيان نافخه

ورد ذكر النفخ في الصور في قوله تعالى: " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ". [الكهف: 99]، وقد بينّا سابقاً أن المقصود بهذه الآية يوم القيامة[1]، إلّا أنّ القرطبي لم يتعرض لتفسير قوله تعالى : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ " [الكهف: 99]، بل أحال القارىء إلى سورة الأنعام فقال: " قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ " تقدّم في " الأنعام"[2] حيث فسّر " الصُّور " في سورة الأنعام في قوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ " فقال: "والصُّور: قرن من نور يُنفخ فيه"[3]، كما ذكر القرطبي أن هناك من زعم أنّ الصُّور هو الصُّورَة، فقال: "وليس الصُّوْر جمع صُورة كما زعم بعضهم؛ أي: يُنفخ في صُوَرِ الموتى"[4]. واستدل على قوله في معنى الصُّور بما ورد في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو[5] : [... ثم ينفخ في الصُّور فلا يسمعه أحدٌ إلّا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوض إبله، قال: فيصعق

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص391 . في مبحث علامات الساعة وخروج يأجوج ومأجوج.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص391 .

[3] المصدر نفسه، ج8، الأنعام، آية رقم 71-73، ص430 .

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[5] هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً عابداً، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً جمّاً، قرأ القرآن والكتب المتقدمة، وكتب الكثير بإذن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ثلاث وستين. انظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج1، ص720 . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص79-94 .

ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال: يُنزل الله – مطراً كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون][1].

ثم بدأ القرطبي بالرد على من زعم بأن الصَّور، هو جمع صورة وذلك بأدلة عدة من خلال اللغة والاستدلالِ العقلي ومن ثم الإجماع، أما الاستدلال باللغة على بطلانه فقال : " وكذا في التنزيل: " ثم نفخ فيه أخرى" [الزمر : 68] ولم يقل: فيها، فعُلم أنه ليس جمع الصُّورة"[2]، وأما بطلانه بالدليل العقلي فقال: " وأيضاً لا يُنفخ في الصور مرتين بل يُنفخ فيه مرة واحدة، فإسرافيل ينفخ في الصُور الذي هو القرن والله عزوجل يُحي الصُّوَر، وفي التنزيل: فنفخنا فيه من روحنا" "[3]، وأما الإجماع فقال القرطبي: "والأمة مجمعة على أن الذي ينفخ في الصُّور إسرافيل عليه السلام؛ قال أبو الهيثم[4]: "من أنكر أن يكون الصُّور قرناً فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط ، وطلب لها تأويلات."[5] فأراد القرطبي من إيراده لقول أبي الهيثم أن يُثبت بأنه كما كان الإجماع على ثبوت العرش والميزان والصراط بالأدلة القرآنية والسنة النبوية الصحيحة بما لا مجال أبداً لإنكارها أو الشك فيها،؛ فكذلك ثبوت الإجماع بأن الصُّور هو قرن يُنفخ فيه.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج8، ص430 . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، م1، حديث رقم (2940)، ص726 . والليت: صفحة العنق وهو جانبه . يلوط حوض إبله: يطينه ويصلحه. انظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ص845 – 848 . ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص396 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج8، الأنعام، آية رقم 71–73، ص430.

[3] التحريم : 12 . المصدر نفسه، نفس الجزء، ص432.

[4] هو أبو الهيثم الرازي، اشتهر بكنيته، وكان نحوياً بارعاً، عالماً ورعاً كثير الصلاة، صاحب سنة، له من التصنيف: " **كتاب الشامل في اللغة** " و" **الفاخر في اللغة**" توفي سنة ست ومائتين. انظر: القِفطي، علي بن يوسف،(ت624هـ)، **انباه الرواة على أنباه النحاة**، ط1، ج4، (تحقيق محمد إبراهيم)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص188.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج8، الأنعام، آية رقم 71–73، ص430.

ثانياً : عدد النفخات

إنّ ردّ القرطبي في إنكاره على من زعم أن الصُّور هو جمع صُورة بقوله: " وأيضاً لا يُنفخ في الصُّور مرتين" [1] دليلٌ على أنه يرى أن النفخ نفختان، وأكّده قوله في كتابه " التذكرة ": " واختلف في عدد النفخات، فقيل ثلاث:

نفخة الفزع لقوله تعالى: " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ " [النمل : 87]. ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " [الزمر: 68]، ثم ذكر القول الثاني في المسألة والذي رجحه فقال: " وقيل: هما نفختان ونفخة الفزع هي نفخة الصعق، لأن الأمرين لازمان لهما أي فزعوا فزعاً ماتوا منه" [2] وقد رجّح هذا القول باستدلالات من الحديث واللغة فقال: " والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة[3] يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى. وقال تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " [الزمر:68] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة"[4].

---

[1] القرطبي **الجامع**، ج8، الأنعام، آية رقم 71-74، ص432.

[2] القرطبي، **التذكرة**، ص156.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص153. والحديث رواه الطبراني في معجمه، الأحاديث الطوال، (حديث الصور الطويل)، ج25، ص226. انظر الطبراني، سليمان بن أحمد (ت360هـ)، **المعجم الكبير**، ط2، ج25، (تحقيق حمدي السلفي)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص226. قال أبو موسى المديني: الحديث وإن كان فيه نكارة وفي إسناده من تكلم فيه فعامة ما يروى مفرقاً في أسانيد ثابتة. وقال ابن كثير في تفسيره ج3 ص276، هذا حديث مشهور وهو غريب جداً. وصححه القرطبي في كتابه التذكرة.

[4] القرطبي، **التذكرة**، ص157. وقد استرسل القرطبي في ذكر الأدلة على رجحان القول بالنفختين، ولمن أراد الاستزادة انظر: المصدر نفسه ص164-168 .

المطلب الثاني: أهوال البعث وما بعده

بيّنا في المطلب السابق أن القرطبي – رحمه الله تعالى – رجّح القول بأنهما نفختان لا ثلاث، لذا فهو يرى أن التكوين واختلال نظام العالم الأرضي سيكون بعد نفخة البعث وهي النفخة الثانية فقال: فأمّا التكوين يوم القيامة قبل الحساب فقد قال تعالى: " إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ " [الحاقة : 13–18] يعني الآخرة " وحملت الأرض والجبال " إلى قوله تعالى " ولا تخفى منكم خافية " فدلت هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء، فدلت هذه الآية على أنّ الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية، والله أعلم "[1]. ومن أهوال البعث التي ذكرت في سورة الكهف ما يأتي:

أولاً: تسيير الجبال:

حيث قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " [الكهف: 47] أي: "نُزيلها من أماكنها من على وجه الأرض، ونُسيرها كما نسير السحاب كما قال في آية أخرى: " وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " [النمل :88]، ثم تُكسر وتعود إلى الأرض؛ كما قال تعالى: " وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا " [الواقعة : 5–6]. ولذا عدّ القرطبي من أسماء القيامة " يوم التسيير " فقال: " وقوله تعالى: " وإذا الجبال سُيّرت " [التكوير :3][2]، هو مثل قوله: " ويوم نُسيّر الجبال" [الكهف: 47]، أي تحوّل عن منزلة الحجارة فتكون " كثيباً مهيلاً "، أي رملاً سائلاً، وتكون هباءً منبثاً، وتكون سراباً، مثل السراب الذي ليس بشيء، وهو يوم التسيير لقوله تعالى: "وتسير الجبال سيراً" [الطور:10]"، وإذا الجبال سُيّرت" [التكوير:3]، كما عدّ من أسماء يوم القيامة يوم الإنفطار، ويوم التكوير، ويوم العرض، وغيرها بحسب أحوال يوم القيامة،

---

[1] القرطبي، **التذكرة**، ص167

[2] المصدر نفسه، ص 181–182

فقال: " وهذه أحوال فقد يجري يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كاليوم المتجدد"[1] وقال: " وكل ما عَظُم شأنه تعددت صفاته وكثرت اسماؤه وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لمّا عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمسمائة اسم، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة، منها ما ذكرناه"[2].

ثم بيّن أن معنى قوله تعالى: " بارزة " أي: " ظاهرة وليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان أي: قد اجتثت ثمارها، وقلعت جبالها، وهُدم بنيانها، فهي بارزة ظاهرة"[3].

ثانياً: الحشر:

الحَشْر: "(الجَمْعُ) والسَّوْقُ، يُقال: حَشَرَ يَحْشُرُ بالضم و [يَحْشِر] بالكسر حَشْراً: إذا جَمَع وساقَ، ومنه يوم (المَحْشَرِ)"[4]. وقد ذكر القرطبي أن الحشر على أربعة أوجه فقال: " باب الحشر ومعناه الجمع" وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، أمّا الذي في الدنيا فقوله تعالى: " هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ " [الحشر:2]، والثاني: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [" يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين

---

[1] القرطبي، **التذكرة**، ص182.

[2] المصدر نفسه، ص182.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص295.

[4] الزبيدي ، **تاج العروس**، ج11، ص19.

واثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا " أخرجه البخاري أيضاً][1].

وقد استدل القرطبي – رحمه الله تعالى – على أنّ الحشر المذكور في الحديث سيكون في الدنيا بقوله: " والقول من أنّ ذلك في الدنيا أظهر والله أعلم؛ لما في الحديث نفسه من ذكر المساء والمبيت والصباح والقائلة، وذلك ليس في الآخرة"[2]. ثم قال القرطبي: " والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف، قال تعالى: "وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً" [الكهف: 47][3]، " ولذلك قال في تفسير هذه الآية من سورة الكهف: " وقوله تعالى "وحشرناهم" أي: إلى الموقف، "فلم نغادر منهم أحداً" أي: لم نترك"[4]. ولأن الحشر يكون لجميع الخلائق قال القرطبي في معنى الآية: "حشرنا برَهم وفاجرهم وجنّهم وإنسهم"[5].

وأمّا ما جاء في صفة الناس عند الحشر فقد بينها الله عزوجل في قوله تعالى: " وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا" [الكهف:48]. وقوله تعالى:" وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا " تتعلق بموضوعين وهما صفة الحشر وصفة العرض على الله تعالى في يوم العرض والحساب، وبما أن القرطبي ذكرها في كتابه "التذكرة" متعلقة بيوم العرض[6]، فسأتطرق لها في مسألة مسألة العرض والحساب دفعاً للتكرار، وأمّا قوله تعالى:" لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" [الكهف : 48]،

---

[1] القرطبي، **التذكرة**، ص168 – 169 . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، م1، حديث رقم (2861)، ص707 . ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، م1، حديث رقم (6522)، ص 902.

[2] القرطبي، **التذكرة**، ص170.

[3] المصدر نفسه، ص171.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص295.

[5] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص296.

[6] انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص218–219.

فقد قال القرطبي في تفسيرها: أي " يقال لهم: لقد جئتمونا حُفاة عراة لا مال معكم ولا ولداً "[1] ثم ذكر قولاً آخر في معنى الآية فقال:" وقيل: فرادى دليل قوله تعالى:" وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " [الانعام : 94][2]، وقد صرّح القرطبي أن ذلك يكون عند الحشر فقال: " قوله تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى " هذه عبارة عن الحشر"[3].

ويظهر من استدلال القرطبي في تفسير سورة الكهف بآيات من سورة الأنعام اعتماده كثيراً على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة الشريفة وهو ما يُسمى بالتفسير المأثور[4] كما اصطلح عليه أهل التفسير، وتبيّن وتبيّن ذلك جليّاً في استشهاده على قوله بحشر الناس حفاة عراة بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [" ويُحشر الناس يوم القيامة حُفاة عراة غرلاً " قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟! قال: يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض "][5] ثم "قال: "غرلاً "أي : غير مختونين "[6]. كما يظهر واضحاً أنه يقدم رأيه أولاً في الآيات التي هو بصدد تفسيرها.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص296.

[2] المصدر نفسه نفس الجزء، ص 297.

[3] المصدر نفسه، ج8، ص462 .

[4] التفسير بالمأثور: هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه. انظر: محمد الزرقاني، **منأهل العرفان في علوم القرآن**، دون طبعة، ج2،(تحقيق أحمد علي)، دار الحديث، القاهرة، 2001م ، ص14-16 . مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص347 . **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، ج7، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، 1999م، ص59.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص297. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، م1، رقم الحديث (2859)، ص707 .

[6] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص297 .

ثم أيّد تفسيره للآية بما قاله العلماء فقال: " وقال العلماء: يُحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان يوم وُلد، فمن قُطع منه عضو يُرد في يوم القيامة عليه، وهذا معنى قوله غرلاً: أي غير مختونين، أي يرد عليهم ما قُطع منه عند الختان"[1]

المطلب الثالث: العرض والحساب والميزان

اولاً: العرض والحساب

قال تعالى: "وعرضوا على ربك صفاً" [الكهف:48] ، وقال القرطبي في تفسيرها: "يُعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة، كل أمة وزمرة صفاً، لا أنهم صفٌ واحد، وقيل: جميعاً كقوله: "ثم ائتوا صفاً" [طه:64] أي: جميعاً، وقيل، قياماً"[2]، ثم ذكر حديثاً قال إنّ الحافظ أبا القاسم عبد الرحمن ابن منده[3] قد خرجه في كتابه "التوحيد" وهو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إنّ الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي، أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين، يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم، ويسروا جواباً؛ فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي، أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب][4] وقد اعتمد القرطبي على هذا الحديث

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ، ج8، سورة الأنعام، آية 94، ص463.

[2] المصدر نفسه، ج13، الكهف، أية 47-48، ص296.

[3] هو ابو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن منده، ولد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، كان صاحب خلق ورعاً زاهداً، وكان شديداً على أهل البدع، توفي سنة سبعين وأربع مئة. انظر: القاضي أبا يعلى، محمد بن أبي يعلى، (ت526هـ)، **طبقات الحنابلة**، ط1، ج3، (تحقيق عبد الرحمن العثيمين)، مكتبة العبيكان ، الرياض، 2005م، ص242. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص349-354

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص296، الحديث أخرجه السيوطي، **الدر المنثور**، ج4، ص226، وقال السبكي: لم أجد له إسناداً. انظر السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج6، (تحقيق محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو)، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، ص287-389. وانظر: محمود الحدّاد، **سلسلة تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، ط1، ج1، دار العاصمة للنشر، الرياض،1987م، ص2792 .

في تفسير الآية ولذا قال بعد أن أورده: "قُلت: هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية، ولم يذكره كثيرٌ من المفسرين، وقد كتبناه في كتاب "التذكرة"، ومنه نقلناه والحمد لله"[1].

ولكن هذا الحديث يصف الله تعالى بان له [صوتاً رفيعاً غير فظيع]، وهذا يخالف ما ذهب إليه القرطبي في أن الله يتكلم بلا حرف ولا صوت، إلا أن القرطبي ذكر في كتابه "التذكرة" ما يرفع هذا الإشكال بقوله: "وإن كل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه –إنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائغٌ في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبلغني نداء الأمير، وأن ذلك من باب حذف المضاف، والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتب الديانات"[2] .

وفي هذا اليوم تُنشر كتب الأعمال ويحاسب الناس على ما فيها، وهذا ما بيّنه القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "ووضع الكتاب" [الكهف:49] حيث بيّن أن في تفسيرها وجهين للعلماء فقال:"قوله تعالى" ووضع الكتاب" اسم جنس، وفيه وجهان: أحدهما أنها كتب الأعمال في أيدي العباد، الثاني: أنه وضع الحساب، فعبّر عن الحساب بالكتاب؛ لأنهم يُحاسبون على أعمالهم المكتوبة"[3]. ثم رجّح بين القولين قائلاً:" والقول الأول أظهر"[4]، واستدل على ترجيحه للقول الأول بما روي عن رجل من بني أسد قال: "قال عمر لكعب: ويحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة، قال كعب: يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رُفع اللوح المحفوظ، فلم يبق أحد من الخلائق إلّا وهو ينظر إلى عمله، قال: ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص296.

[2] القرطبي، **التذكرة**، ص236.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص297.

[4] المصدر نفسه ونفس الجزء والصفحة.

فتنثر حول العرش، وذلك قوله تعالى: " وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا "[1] [الكهف:48]."

وقد بوّب القرطبي لذلك في كتابه "التذكرة" تحت عنوان "باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب" وذكر تحته كثيراً من الأحاديث والروايات، منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حوسب يوم القيامة عُذّب" قالت: يا رسول الله أليس قد قال الله: "فأمّا مَن أوتي كتابه بيمينه فسوف يُحاسَب حساباً يسيراً" فقال: ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذّب"][2]، وقد فرّق القرطبي بين الحساب وإتيان الكتب بقوله: "فإذا وافق الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها"[3]، فالمحاسبة تكون عند إتيان الكتب لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم، ولذلك قال تعالى: "يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه" [المجادلة :6].

ثانياً : الميزان

ذكر القرطبي –رحمه الله تعالى– في كتابه "التذكرة" ان الوزن يأتي في الترتيب لأحداث يوم القيامة بعد المحاسبة، لأن الوزن للجزاء ولإظهار مقادير الأعمال، والمحاسبة لتقدير تلك الأعمال، فكان الميزان بعدُ

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص298. الحديث أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على ابن المبارك في كتاب الزهد باب صفة النار حديث رقم 396. انظر: ابن مبارك،عبدالله المروزي، (ت181هـ)، **الزهد والرقائق**، ط2، ج16، (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص519.

[2] انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص218–223 . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، ج1، حديث رقم (2876)، ص2204.

[3] القرطبي، **التذكرة**، ص221.

ليكون الجزاء بحسبها[1]، ولقد جاءت كثير من نصوص الكتاب والسنة مثبتة للميزان، وسورة الكهف من ضمن السور التي جاء فيها ذكر الميزان حيث قال تعالى في حق الأخسرين أعمالاً " أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا " [الكهف:105]، وقد قال القرطبي في تفسيرها: "والمعنى: أنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار"[2]. ويتبيّن من تفسير القرطبي للآية أنه يرى أن الميزان حق وبه توزن الأعمال، ولذا استشهد عقِب تفسيره للآية بقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: "يُؤتى بأعمالٍ كجبال تهامة، فلا تزن شيئاً"[3].

ثم ذكر القرطبي القول الثاني في معنى الآية ولكن بعد أن قدّم رأيه وما يذهب إليه في تفسيره لمعنى الآية، وهذا من منهجه البارز – رحمه الله تعالى– فقال: "تحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله اعلم[4]. وبما أن الآية جاءت في سياق ذكر الكافرين وخسرانهم أعمالهم وترك الوزن جزاءً لهم، فإنه يرد في ذلك مسألة وهي: هل يرى القرطبي أن أعمال الكافرين توزن يوم القيامة؟ أم أنّ الوزن خاصٌ بأعمال المؤمنين؟ وجواب ذلك نجده في كتابه "التذكرة" حيث جاء تحت عنوان "باب ما جاء في الميزان وأنه حق " قال تعالى: " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا " [الأنبياء:47]

---

[1] القرطبي، **التذكرة**، ص269.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص394.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. والحديث صححه الألباني. انظر: الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج2، حديث رقم 505، ص13.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص394.

وقال: " فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ..."[القارعة:6-9] إلى آخر السورة، وقال: "ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم"[1].

وهذه الآيات إخبارٌ لوزن أعمال الكافر؛ لأن عامة المعنيين بقوله: "خفت موازينه" في هذه الآيات هم الكفار"[2]. وليدلل على صحة قوله بوزن أعمال الكافرين يوم القيامة ذكر القرطبي العلة من وزن أعمال المؤمن والكافر فقال: "وإنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير"[3].

وأورد القرطبي قولاً لأحد التابعين أثبت من خلاله أن الميزان من الغيبيات التي لا مجال لإثباتها إلّا من جهة النقل الصحيح لا من جهة الرأي فقال: "قال عبيد بن عمير[4] : يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة"[5]، وعلق القرطبي على ذلك بقوله: " قُلت: هذا لا يُقال مثله من جهة الرأي وقد ثبت معناه مرفوعاً في "صحيحي البخاري ومسلم" عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ["إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح

---

[1] الأعراف : 8 ، والمؤمنون : 103.

[2] القرطبي، **التذكرة**، ص269.

[3] القرطبي، **التذكرة**، ص274

[4] هو عبيد الله بن عمير بن قتاده الليثي، يُكنى أبا عاصم، قاصّ أهل مكة، من كبار التابعين وثقاتهم، يروي عن عمر وغيره من الصحابة، توفي سنة أربع وسبعين. انظر في ترجمته: الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج3، ص266، ابن الأثير، **أسد الغابة**، ص808، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص156.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص393. لا يوجد نص بهذا اللفظ من الحديث لكن جاء في معناه حديث صحيح وهو ما سيذكره القرطبي لاحقاً.

بعوضة، اقرؤوا ما شئتم: "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً"][1]، والمغيّبات في القرآن من جملة ما جاء به الوعيد من تفسيره بالرأي، وهو ما ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره تحت عنوان" باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك". وذكر فيه أن مغيّبات القرآن لا سبيل إليها إلّا بتوقيف من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يُعلم الله به كوقت قيام الساعة، ونحوها مما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض[2].

وبما أنّ ذكر الميزان قد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم: فقد أحال القرطبي القارئ إلى مزيد بيان في شأن.

الميزان وما يتعلق به من مسائل إلى سورة الأعراف فقال: "وقد تمضى في الأعراف هذا المعنى[3]، وتقدم فيها ذكر الميزان، وأنّ له كفين توزن فيهما صحائف الأعمال فلا معنى للإعادة"[4]، وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى: والوزن يومئذ الحق۞ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون۞ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون"[الاعراف:9] وضّح القرطبي المراد بالوزن في الآية فقال: "

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص394 . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير سورة الكهف، باب أولئك الذين كفروا بأيات ربهم ولقائه ... ، م1، حديث رقم (4729)، ص659 . وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، دون باب، م1، حديث رقم(2785)، ص692 .

[2] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص56 .

[3] المعنى المقصود هو ما استدل به القرطبي من قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث [إنه ليأتي الرجل العظيم السمين ...] على ذم السمن الزائد في ذم السمن لمن تكلفه وتحريم الأكل الزائد على الاكل الزائد قدر الكفاية. انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص394–395، ج9، ص196 .

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص395.

المراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان قال ابن عمر: المراد توزن صحائف أعمال العباد"[1]، ثم قال معلقاً: "وهذا هو الصحيح وهو الذي ورد به الخبر"[2].

وهكذا ابتدأ القرطبي بذكر الرأي الذي يرجحه ويعتقده في المسألة كما هو منهجه غالباً في جميع آيات القرآن الكريم، وقد استدل على ما ذهب إليه من إثبات الميزان الحقيقي، وأن الموزون هو صحائف الأعمال بما ورد في الصحيحين حيث قال: "وفي الصحيحين: "فيعطى صحيفة حسناته"[3]، " فيُخرج له بطاقة"[4]، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأنّ الموزون صحف الأعمال كما بيّنا، وبالله توفيقنا"[5]، ثم ذكر باقي الأقوال في المراد بالميزان فقال: "وقيل: الميزان بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن ضرب مثل، كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا وفي وِزانه أي: يُعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن."[6] وردّ القرطبي على هذا القول بقول الزجّاج[7] فقال: "قال الزجاج: هذا سائغٌ من جهة اللسان، والأولى أن يُتّبع ما جاء في الأسانيد الأسانيد الصّحاح من ذِكر الميزان"[8].

---

[1] المصدر نفسه، ج9، ص156.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[3] المصدر نفسه نفس الجزء والصفحة، والحديث اخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قول الله تعالى: ألّا لعنة الله على الظالمين" ، م1، حديث رقم (2441)، ص323 . وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم (2768)، ص273 .

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في من يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله، حديث رقم (2639)، ص595 . قال الترمذي: حديث حسن غريب

[5] القرطبي، **التذكرة**، ص273.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص156

[7] هو إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي، نحوي زمانه، أبو اسحاق، مصنف كتاب "معاني القرآن"، وله تآليف جمّة، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص 360.

[8] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص156،. وانظر نحوه: القرطبي، **التذكرة**، ص272.

وقد أكّد القرطبي على وجوب الأخذ بظواهر النصوص في كل ما ورد من أمور الآخرة والغيبيات كالميزان والصراط والجنة والنار وغيرها، مع عدم التأويل ومنعه في مثل هذه الآيات، فقال نقلاً عن القشيري: (قال القشيري وقد أحسن فيما قال، إذ لو حُمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظواهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً "[1].

وكان ذلك رداً من القرطبي على من أوّل ظواهر النصوص المثبتة للميزان، أما من أنكر الميزان، فقد بيّن القرطبي حجتهم في الإنكار فقال نقلاً عن ابن فورك[2]: "قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها"[3]، ثم ذكر قولاً لبعض المتكلمين الذين أرادوا أن يردّوا على المعتزلة بأن الأعراض توزن يوم القيامة بعد أن يقلبها الله عزوجل أجساماً فقال القرطبي: " ومن المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة"[4]،

لكن القرطبي أكدّ أن هذا القول من بعض المتكلمين غير صحيح، ترده النصوص الصحيحة في أن الموزون هو كتب الاعمال لا نفس الأعمال فقال: "وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، وقد روي في الخبر ما يحقق ذلك، وهو أنه روي أن ميزان

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص156 . وانظر نحوه: القرطبي، **التذكرة**، ص273.

[2] سبقت ترجمته في صفحة 88.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص156 . ليس جميع المعتزلة أنكروا الميزان بل بعضهم، والقضية هنا مهملة لم يدخل عليها سور كلي وهي في قوة الجزئية أي ان بعض المعتزلة قالوا بذلك والبعض الاخر مسكوت عنه . انظر رأي المعتزلة في ذلك. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج13، ص659 . التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص117، القاضي عبد الجبار، **شرح الأصول الخمسة**، ص735.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص157.

بعض بني آدم كاد يخف بالحسنات، فيوضع فيه رق مكتوب فيه، لا إله إلا الله، فيثقل"[1]، فقد عُلم أن ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه الأعمال لا نفس الأعمال، وأن الله سبحانه يخفف الميزان إذا أراد، ويثقله إذا أراد؛ بما يوضع في كفتيه من الصحف التي فيها الأعمال"[2].

ويظهر من خلال رد القرطبي السابق، أنه يثبت أن الميزان حقيقي له كفتان ولسان، واستشهد على ذلك بما روي عن ابن عباس فقال: " وقال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزانٍ له لسانٌ وكفتان "[3]، ولم يكتف القرطبي بإثبات أن صحائف العباد توزن يوم القيامة، بل أثبت أيضاً بأن الأشخاص توزن كذلك، واستدل عليه بقوله: " وقال عليه الصلاة والسلام حيث ضحكوا من حُمش[4] ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة: [تضحكون من ساق توزن بعمل أهل الأرض][5] فدلّ هذا على أنّ الأشخاص توزن"[6]، وبهذا يتبيّن للباحثة إثبات القرطبي – رحمه الله تعالى – للميزان وأنّ له كفّتيْن ولساناً، وبه توزن صحائف أعمال الأشخاص كذلك، وهو بذلك يكون موافقاً لأهل السنة والجماعة في ذلك[7].

---

[1] لعل القرطبي قصد به حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (حديث البطاقة) وقد ذكرناه سابقاً.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص157. وقد استرسل القرطبي في ذكر الأخبار والروايات في بيان الموزون وصورته، انظر: المصدر نفسه، ج9، ص 157-160.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج9، ص158. والحديث أخرجه السيوطي في كتابه، انظر: السيوطي، **الدر المنثور في تفسير بالمأثور**، ج3، ص.70

[4] "حَمِشَ (الرّجلُ حَمشاً) بالفتح، (وحَمَشاً)، بالتحريك: صار دقيق الساقين، فهو أحمش الساقين". الزبيدي، **تاج العروس**، ج17، ص158

[5] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج1، حديث رقم (920)، ص559. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المناقب، حديث رقم 15561: "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة". انظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج9، ص347.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص395.

[7] انظر الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج2، ص164 . ابن بطة، **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**، ج2، ص544. ص544. أبن الهمام، **المسامرة**، ج1، ص163. البغدادي، **أصول الدين**، ص245-246 . الغزنوي، أحمد بن محمد

وفي نهاية هذا المبحث يتبين إثبات القرطبي –رحمه الله تعالي– ليوم القيامة وما فيه من أهوال، وتقرير لحقيقة تلك الأهوال في كثير من آيات كتاب الله، وجاءت الأحاديث النبوية معززة لتلك الحقيقة ومؤكدة لها بشيء من التفصيل لمجملها، ومعضّدة لما استشكل على العلماء من معاني نصوص يوم القيامة وما فيها من أهوال ومبيّنة لها، والقرطبي – رحمه الله تعالى – كان موافقاً لأهل السنة في إثبات الميزان والحشر والحساب، وان ذلك كله حق على ما جاء في ظواهر النصوص القرآنية دون تأويل ولا نفي. كما رجّح القرطبي القول بأن النفخ في الصور هو نفختان لا ثلاث. وجمع بين النصوص التي ظاهرها أنها ثلاث نفخات بقوله: إن نفخة الفزع هي نفخة الصعق، ومن ثم استدل عليها باستدلالات كثيرة بينها في كتابه "التذكرة"[1].

وبعد التعرف إلى آراء القرطبي في أهوال يوم القيامة، ننتقل إلى معرفة آرائه في مبحث أحوال المؤمنين والكافرين الأخروية، وبالله التوفيق.

(ت593 هـ)، **أصول الدين**، ط1، (تحقيق: عمرو الداعوق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1998م، ص227. ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص396 . التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص117 .

[1] انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص166–167 .

المبحث الخامس: أحوال المؤمنيين والكافرين الأخروية

المطلب الأول: إثبات الجنة والنار

إن من جوانب الإيمان بالغيب الإيمان بأن الجنة والنار حق، وهذا من تمام الإيمان بالبعث بعد الموت، وهو الجزاء على الأعمال في الآخرة ولذا وبعد انتهاء الحساب ووزن الأعمال يُساق العبد إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، وقد وصف الله عزوجل الجنة والنار في كثير من آيات كتابه العزيز، وفي سورة الكهف ذكر الله عزوجل الجنة بقوله سبحانه: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا " [الكهف:107]، والفردوس هي أعلى الجِنان وأفضلها، وهذا ما بيّنه القرطبي في الأقوال التي أوردها في تفسير الآية فقال: " قال قتادة: الفردوس رَبوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها، وقيل: الفردوس سُرّة الجنة، وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"[1].

كما أثبت القرطبي – رحمه الله – أن للجنة مئة درجة، وأنّ الفردوس تُفجّر منه أنهار الجنة، وذلك في الحديث الوارد في صحيح البخاري – حيث ذكره القرطبي فقال: "في صحيح البخاري" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يارسول الله أفلا نبشّر الناس؟ قال: إنّ في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه قال-: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة][2].

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص395 .

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص396 . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، م1، حديث رقم (2790)، ص378 .

كما ذكر الله تعالى وصف الجنة بقوله تعالى: " أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ " [الكهف:31]، فقال القرطبي في تفسيرها:" و"جنات عدن" سُرّة الجنة، أي: وسطها وسائر الجنات محدقة بها. وذُكرت بلفظ الجمع لسعتها؛ لأن كل بقعة منها تصلح أن تكون جنة"[1]. كذلك أثبت القرطبي وجود النار بقوله تعالى: " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " [الكهف:29].

فقال القرطبي: "إنّا أعتدنا" أي أعددنا "للظالمين" أي: الكافرين الجاحدين: "ناراً أحاط بهم سرادقها"[2]. ثم ذكر القرطبي معنى السُرادق وما قيل من الاختلاف في معناه؛ فقيل: حائطٌ من نار، وقيل، هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وقيل: سورها[3]. ولقد استعان القرطبي بما ورد في السنة في وصف النار ليرجح من الأقوال ما يراه الأقرب لوصف الحديث، فقال: خرّج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لسرادق النار أربع جُدر كُثفٍ كل جدار مسيرة أربعين سنةً] وقال فيه: حديث حسن صحيح غريب"[4]، ثم علّق القرطبي بقوله: "قلت: وهذا يدل على أنّ السرادق ما يعلو الكفار من دخان أو نار، وجُدُره ما وصف"[5]، والشاهد من إيرادي تفسير القرطبي للألفاظ التي وردت في وصف الجنة والنار هو بيان أنّ الله عزوجل لمّا ذكر الجنة والنار وبيّن وصفهما في كثير من أيات كتابه العزيز، ثم تقرير الأحاديث

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص264 .

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص260-261 .

[3] انظر: المصدر نفسسه، نفس الجزء، ص261.

[4] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص262 . والحديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم، ج4، حديث رقم (2765)، ص540، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص262.

النبوية لما ورد في القرآن في شأنهما، إنما كان لتأكيد ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً من خلق الجنة والنار ووجودهما الآن"[1].

ولذا استدل القرطبي –رحمه الله تعالى– موافقاً في ذلك لأهل السنة والجماعة بما ورد في الكتاب والسنة على إثبات خلق الجنة والنار ووجودهما، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: "فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين" [البقرة: 24]، قوله تعالى: "أعدت للكافرين" فيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أنّ النار موجودة مخلوقة، خلافاً للمبتدعة في قولهم: "إنها لم تُخلق حتى الآن"[2]. وفي قوله تعالى "أعدت للمتقين" [آل عمران: 133]، قال: "وعامة العلماء على أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو نصُّ حديث الإسراء وغيره في الصحيحين وغيرهما"[3]، وإنما كان استدلاله من الآيتين على خلق الجنة والنار ووجودهما هي لفظة "أُعدت" فقال: " والإعداد دليل على الخلق والايجاد"[4]. فصيغة الماضي في قوله تعالى "أعدت" تدل على أنهما موجودتان ومخلوقتان الآن.

ولقد صرّح القرطبي بالمبتدعة الذين قصدهم في عبارته السابقة وبيّن حجتهم في إنكارهم خلق الجنة والنار ووجودهما الآن فقال: " وقالت المعتزلة: انهما غير مخلوقتين في وقتنا، وان الله تعالى إذا طوى السماوات والأرض ابتدأ خلق الجنة والنار حيث شاء، لأنهما دار جزاء بالثواب والعقاب، فخُلقتا بعد التكليف

---

[1] انظر: الأشعري، علي بن إسماعيل، (ت330هـ) **الإبانة عن أصول الديانة**، ط3، (تحقيق بشير عيون)، دار البيان، دمشق، 1990م، ص55. . اللالكائي، هبة الله، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، ج6، ص1256 . البزدوي، **أصول الدين**، ص165–166 . ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص400 . البيجوري، **تحفة المريد**، ص200 . القاري، علي بن سلطان، (ت1014هـ)، **منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر**، ط1، دار البشائر الإسمية، بيروت، 1998م، ص284–285 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص356 .

[3] القرطبي، **الجامع**، ج5، ص316 . وحديث الإسراء في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (3342)، ص 452 . وعند مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، حديث رقم(163)، ص57 .

[4] القرطبي، **التذكرة**، ص337 .

في وقت الجزاء، لئلا تجتمع دار التكليف ودار الجزاء في الدنيا، كما لم يجتمعا في الآخرة"[1]. ولقد بوّب القرطبي في كتابه "التذكرة" أبواباً كثيرة في ذكر الجنة والنار ووصف أهلها وما يتعلق بهما من أحوال واستطرد في ذكر الأحاديث والمرويات والأخبار في شأنهما، وكل ذلك إثباتاً منه على أن الجنة والنار حقٌّ، وأنهما دار الجزاء على الأعمال في الآخرة. وأن نصوص الكتاب والسنة حافلة بما يقرر حقيقة خلق الجنة والنار وثبوتهما بما لا يحتمل التأويل أو النفي.

المطلب الثاني: أحوال المؤمنين الأخروية

لم تذكر سورة الكهف كثيراً من أحوال المؤمنين الأخروية إلّا ما جاء في دخول الجنة والخلود فيها مع التنعّم بلباسها وفُرُشها، وتفصيل تلك الأحوال كالآتي:

أولاً: لباس أهل الجنة وفرشهم

قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا " [الكهف: 30-31]، والآية صريحة في ثواب المؤمنين يوم القيامة وما أعدّه الله لهم من الجزاء، وهذا ما ذكره القرطبي في بداية تفسيره للآية فقال: " لمّا ذكر ما أعد للكافرين من الهوان، ذكر أيضاً ما للمؤمنين من الثواب "[2]، ثم بيّن القرطبي ما جاء في قوله تعالى: " يُحلّون

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج5، ص316 . وانظر ما قيل في انكار بعض المعتزلة وجود الجنة والنار في الدنيا: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص141، الاسفراييني، **التبصير في الدين**، ص 76-77، الشهرستاني، **الملل والنحل**،ج1، ص73، ابن همام، **المسايرة**، ص135 .

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص264 .

فيها من أساور من ذهب " فأورد قولاً لسعيد بن جبير[1] قال فيه:" على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من وَرِق، وواحد من لؤلؤ"[2]. فعلّق القرطبي على إثبات ذلك بقوله: " قلت: هذا منصوص في القرآن، قال هنا:" من ذهب"، وقال في "الحج" و "فاطر" : من ذهب ولؤلؤا"، وفي "الإنسان" : "من فضة"[3]، واستدل على الحلية للمؤمن بما ورد في الصحيح فقال: " وقال أبو هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول: [تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء] خرّجه مسلم"[4]، وهذا بالنسبة للأساور.

أمّا ثياب أهل الجنة فهي كما صرّحت بها الآيات بقوله تعالى: " وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ " [الكهف: 31]، فبعد أن بيّن معنى السندس والإستبرق في اللغة[5] ذكر ما يدل على أنّ ثياب أهل الجنة تُخلَق خلقاً لا نسْجاً، فقال:" روى النسائي[6] عن عبد الله عن عمرو بن العاص قال:[بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب الجنة، أَخلقٌ يُخلق أم نسجٌ يُنسَج ؟ فضحك بعض القوم، فقال لهم: مم تضحكون من جاهلٍ يسأل عالماً؟ فجلس يسيراً أو قليلاً،

---

[1] هو ابن هشام الحافظ المقرئ المفسر، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، كوفي، أحد أعلام التابعين، روى عن ابن عباس رضي الله عنه وعن التابعين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة أربع وتسعين وكان ابن تسع وأربعين. انظر في ترجمته: ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، ج2، ص 261-374.الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج4، ص322.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص265. والحديث أخرجه ابن الجوزي. انظر: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، (ت597هـ) ، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، ج5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص137.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، م1، حديث رقم (250)، ص78 .

[5] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص216-267 .

[6] هو أحمد علي شعيب النسائي، صاحب السنن، ولد سنة خمس عشرة ومائتين، كان حسن التأليف مع اتقان ونقد الرجال، وكان ورعاً حسن الكلام، له مصنفات كثيرة في فضائل الصحابة، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر في ترجمته: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص77 . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج14، ص125- 135 .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أين السائل عن ثياب الجنة؟ فقال: ها هو يا رسول الله، قال: لا بل تشقق عنها ثمر الجنة] قالها ثلاثاً[1].

وأمّا قوله تعالى " مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ " [الكهف:31]، فقد بيّن القرطبي ما قيل في معنى الآية من أقوال فقال: " والأرائك " جمع أريكة، وهي السُرر في الحجال[2]، وقيل: الفُرش في الحجال"[3] ثم ذكر قولاً لابن عباس فيه:" هي الأسرّة من ذهب وهي مكللة بالدُّر والياقوت عليها الحجال."[4] وهذه الآيات ظاهرة في بيان نعيم أهل الجنة وعظيم ثواب المؤمنين، ولذا ختم الله عزوجل ذلك بقوله تعالى: "نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ." [الكهف:31]، ولكن هل هذا النعيم أبدي؟ بيان ذلك في النقطة الآتية:

ثانياً : خلود أهل الجنة

ذكرت سورة الكهف أنّ نعيم الجنة أبدي لا يزول فقال تعالى:" وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا " [الكهف: 2–3]، قال القرطبي، "أي: دار الخلد لا يموتون فيها"[5]، وذلك التفسير كان إجمالاً من القرطبي، ذكره في بداية سورة الكهف، أمّا عند التفصيل فقد قال القرطبي في تفسيرها: " قوله تعالى " ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم" أي: بأن لهم " أجراً حسناً " وهي الجنة. " ماكثين "دائمين " فيه أبداً" لا إلى غاية، والأجر الحسن: الثواب العظيم الذي يؤدي

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص267 ، والحديث أخرجه النسائي في سننه، أحمد بن شعيب (ت303هـ) ، **السنن الكبرى**، ط1، ج5، (تحقيق حسن شلبي)، الرسالة، بيروت 2001م ، حديث رقم (5841)، ص375 .

[2] الحجال: جمع (حجلة) وهو بيت كالقبة يزين بالثياب والاسرة والستور. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص 144.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص268 .

[4] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة .

[5] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص20 . وقد بوّب القرطبي باباً بعنوان (ما جاء أن كل ما في الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد) انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص417 .

إلى الجنة"[1] وقول القرطبي: " لا إلى غاية " ردٌ على من يقول بفناء الجنة[2] ولذا قال تعالى في خلود أهل الجنة وأنهم لا يتحولون عنها إلى غيرها أبداً قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " [الكهف: 107-108]. فقال القرطبي في تفسيرها: "خالدين فيها" أي دائمين. "لا يبغون عنها حولاً" أي: لا يطلبون تحويلاً عنها الى غيرها"[3].

وقد أكّد القرطبي –رحمه الله تعالى– على عدم فناء الجنة في رده على من استدل على فناء الجنة بقوله تعالى: " كل شيء هالك إلا وجهه"[4] فردّ القرطبي قائلاً : "يُحتمل أن يكون من قوله تعالى " كل شيء هالك إلا وجهه" [القَصص: 88]، أي ما من شيء إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أي إلا هو سبحانه، فإنه تعالى قديم، والقديم لا يمكن أن يفنى وما عداه محدث، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقيه محدثه، فإذا حبس البقاء عنه فني، ولم يبلغنا في خبر صحيح ولا معلول أنه يُهلك العرش فلتكن الجنة مثله"[5].

كذلك في تفسيره – رحمه الله – لقوله تعالى : " قُلْ لَوْ كان الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " [الكهف:109]، فذكر في أحد الآراء في تفسيره للآية قوله: " أي إن كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد صفات الجنة التي هي دار الثواب"[6]. وفي هذا الرأي

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص206 .

[2] قالت الجهمية بفناء الجنة ونعيمها، انظر: الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج2 ، ص167، البغدادي، **الفَرق بين الفِرَق**، ص174 .

[3] ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**، ج4، ص83. مجموعة من المحققين. **الموسوعة المفصلة**، ج1، ص641 .

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص396 .

[5] القرطبي، **التذكرة**، ص144 .

[6] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص398 . وانظر: القرطبي، **التذكرة**، ص417 .

الرأي تأكيدٌ على عدم فناء الجنة ونعيمها وخلود أهلها فيها أبداً. وبذلك يكون القرطبي موافقاً لأهل السنة والجماعة في القول ببقاء الجنة ونعيمها وخلود أهلها فيها بما ورد في القرآن وصحيح السنة[1].

المطلب الثالث : أحوال الكافرين الأخروية

وضّحت سورة الكهف بعض أحوال الكافرين الأخروية، منها حالهم عند الحساب، وحالهم في نار جهنم وشرابهم فيها، وبيانها الاتي:

أولاً : حساب الكافرين

قال تعالى:" وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " [الكهف:49]، وقد فسرها القرطبي بحديث جاء فيه بيان حال الكافر وهو يُحاسب على أعماله وسيئاته، فقال:" روي عن رجل من بني أسد أنه قال: قال عمر لكعب: ويحك يا كعب، حدّثنا من حديث الآخرة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين: إذا كان يوم القيامة رُفع اللوح المحفوظ فلم يبقَ أحدٌ من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله، قال: ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش، وذلك قوله تعالى: " ووضع الكتاب فترى المجرمين ..." الآية إلى أن قال: ثم يدعى الكافر فيعطى

---

[1] انظر: الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ج2، ص67، البغدادي، **أصول لدين**، ص238 . الصابوني، عبد الرحمن بن اسماعيل (ت449 هـ) ، **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، ط1، (تحقيق بدر البدر)، الدار السلفية، الكويت، 1984م، ص66، ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**، ج4، ص83، البزدوي، **أصول الدين**، ص171 . الأصبهاني، اسماعيل بن محمد (ت535هـ) ، **الحجة في بيان المحجة**، ط2، ج2، (تحقيق محمد أبو رحيم) ، دار الراية، الرياض، 1999م ، ص467 . ابن أبي العز، **شرح الطحاوية**، ص400 . التفتازاني، **شرح المقاصد**، ج5، ص109 .

كتابه بشماله ثم يُلف فيجعل من وراء ظهره ويُلوى عنقه، فذلك قوله: " وأمّا مَن أوتي كتابه وراء ظهره " فينظر في كتابه فإذا سيئاته باديات للناس، وينظر في حسناته، لكيلا يقول: أفأثاب على السيئات "[1].

فالآية وضحت حال الكافر عندما يضع الله عزوجل يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فلما يأخذ الكافر كتابه بشماله يصبح خائفاً وجلاً من أن يؤاخذه الله تعالى بأعماله السيئة التي عملها في الدنيا، وبينما هو في حالة الخوف والوجل التي ذكرها الله تعالى بلفظ الإشفاق في قوله تعالى: "وترى المجرمين مشفقين"، حينها يدعو الكافر على نفسه بالويل والثبور فيقول: " يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" كما صوّر القرآن حال الكافرين وهم يستغيثون بآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ويطلبون نصرتهم وأن يمنعوهم من عذاب الله تعالى ولكنهم لم يغيثوهم ولم ينصروهم، فقال تعالى: "وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَايِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا " [الكهف: 52] ، قال القرطبي في تفسيرها: " أي اذكروا يوم يقول الله : أين شركائي؟ أي: ادعوا الذين أشركتموهم بي، فليمنعوكم من عذابي، وإنما يقول ذلك لعبدة الأوثان، "فدعوهم" أي: فعلوا ذلك "فلم يستجيبوا لهم" أي لم يجيبوهم إلى نصرهم، ولم يكفّوا عنهم شيئاً"[2]، ثم بيّن الله تعالى في سياق الآيات حال المشركين بعد أن يسوا من عدم قدرة آلهتهم التي عبدوها في الدنيا على نصرتهم في الآخرة، فقال تعالى:" وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا" [الكهف:53]، فقال القرطبي: "فظنوا" هنا بمعنى اليقين والعلم، قال ابن عباس: أيقنوا أنهم مواقعوها"[3].

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص298. والحديث أخرجه أبو نعيم في زوائده، انظر: ابن المبارك، **الزهد والرقائق**، ج16، باب صفة النار، حديث رقم (396)، ص519.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص306 .

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص308 .

واستدل على ذلك بخبرٍ يفيد أن الكافر يرى جهنم عياناً، فيوقن أنه داخلها لا محاله، فقال: "وفي الخبر: [إنّ الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة]، والمواقعة: ملابسة الشيء بشدّة"[1]، ثم بيّن الله عزوجل حال الكافر عند معاينته للنار ومحاولته الهرب منها ولذا قال تعالى: " وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا " [الكهف:53] أي: مهرباً؛ لإحاطتها بهم من كل جانب.[2]

ثانياً : عذاب الكافرين

ذكرت سورة الكهف حال الكافرين وهم في نار جهنم، وذكرت شيئاً من شرابهم وذلك في قوله تعالى: " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " [الكهف:29] ، فأخبر الله عزوجل في هذه الآية أنّ الكافرين يستغيثون وهم في النار بالماء الذي وصفه الله تعالى بأنه كالمُهل، وجاء في معنى "المُهل" أقوالٌ عديدة ذكرها القرطبي بقوله: "قال ابن عباس: المُهل ماء غليظ مثل دُردي الزيت، وقيل: القيح والدم، وقيل: ماءٌ أسود، وإنّ جهنم لسوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود، وقيل: هو كل ما أُذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص، ونحاس، فتموج بالغليان، فذلك المُهل، وقيل: هو الذي انتهى حره وقيل: هو السم"[3].

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص308. والحديث أخرجه أحمد في مسنده، ج18، حديث رقم 11714، ص242-243. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبو يعلى وأسناده حسن على ما فيه من ضعف. انظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج10، كتاب البعث، حديث رقم 18340، ص441.

[2] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص308.

[3] المصدر نفسه، في نفس الجزء، ص262 .

ثم علّق القرطبي على تلك الأقوال بقوله: " والمعنى في هذه الأقوال متقارب"[1]، استدل القرطبي على تقارب هذه الأقوال وصحتها بما جاء في سنن الترمذي فقال: " وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " كالمهل " قال: [كعكر الزيت فإذا قرّبه إلى وجهه سقطت فروة وجهه] "، قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رِشدين بن سعد، ورِشدين قد تُكُلّم فيه من قبل حفظه"[2]، وهنا يظهر مدى اهتمام القرطبي – رحمه الله تعالى – بالحديث ومعرفة حال رجال السند، وهو ما التزمه على نفسه في مقدمة تفسيره حيث يقول: " وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً، لا يعرف من أخرجه إلّا من اطّلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال، حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام، ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الباب، والله الموفق للصواب"[3].

وبسبب المنهج الذي وضعه القرطبي على نفسه في تخريجه للأحاديث والمرويات، ونسبتها إلى قائليها ورواتها، فإن القارئ لتفسيره يحس بالأمان اتجاه أي رواية يقبلها إن صحت سنداً ومتناً، ويرفضها إن جُرِح أحد رواتها، وبالتالي تطمئن العقول إلى ما يقدم لها من تفسير للآيات على أساس ممنهج[4]. فإن أساس منهج القرطبي –رحمه الله تعالى– الاعتماد على الروايات الصحيحة، إلا أنه روى بعض الروايات الضعيفة والاسرائيليات في بعض القصص فقط، كما ذكر القرطبي رواية أخرى عند الترمذي وفيها زيادة تفصيل لشراب الكفار في نار جهنم فقال: " وخرّج عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "ويسقى من ماء صديد

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص262.

[2] المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة. أخرجه أحمد في مسنده، ج18، حديث رقم (11672)، ص210. والترمذي في سننه، م1 باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث رقم (2581)، ص581. وقال حديث غريب.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8 .

[4] انظر: الفرت، **القرطبي المفسّر**، ص170 .

يتجرعه" قال: [يُقرّب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه، حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: "وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم" [إبراهيم: 16] ، يقول: "وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه، بئس الشراب وساءت مرتفقاً] قال: حديث غريب"[1]، ثم قال معلقاً بعد تلك الاستدلالات من الأحاديث: "قلتُ: وهذا يدل على صحة تلك الأقوال، وأنها مرادة، والله أعلم"[2]، وأكّد على صحة تلك الأقوال كذلك بما نصّ عليه أهل اللغة في معنى "المُهل"[3]، وقد كثرت الايات الكريمة التي تصف شراب أهل النار. نسأل الله العفو والعافية. وتبين لي من خلال هذا المبحث موافقة الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى– لأهل السنة والجماعة في اعتقاده عدم فناء الجنة والنار، وخلود أصحابها فيها، وإثباتهم لخلق الجنة والنار ووجودهما، ودوام نعيمهما وبيانه لأحوال المؤمنين والكافرين الأخروية بإعتماده تفسير القرآن بالقرآن والسنة النبوية الشريفة، وبما نصّ عليه أهل اللغة في بيان مفردات الآيات.

وبعد أن تعرفنا إلى المسائل العقدية المتعلقة بالغيبيات ومن قبلها الإلهيات والنبوات في سورة الكهف ومنهج القرطبي في تفسيرها ننتقل إلى بيان مايمكن استنباطه من منهجه في استدلالاته العقدية على تلك المسائل. والله الموفق.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص263 . والحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، م1، حديث رقم (2583)، ص581 . وقال الترمذي: حديث غريب.

[2] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص263.

[3] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

الفصل الرابع

"الضوابط والإجراءات والمتممات المنهجية عند القرطبي في تفسيره للمسائل العقدية في سورة الكهف"

المبحث الأول: تعريف المنهج وأنواعه

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحا

أولاً: المنهج لغة:

النَّهْجُ: "هو الطَّريق. وقد نَهَجَ فلانٌ الطريق: بَيَّنَهُ. وهو مِنْهاجٌ مستقيم"[1].

"والمِنْهاجُ، الطريق الواضح، وفي التنزيل: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا" [المائدة: 48]، والمنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح، والسلوك، والسبيل المستقيم"[2]. "ونَهَجَ الطريق نَهْجاً ونُهُوجاً: وَضَحَ واسْتَبَان"[3].

ثانياً: المنهج اصطلاحاً:

كانت كلمة (المنهج) تستخدم عند اليونان لتدل على البحث أو النظر أو المعرفة، ثم أصبحت كلمة المنهج تستخدم بمعنى طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم[1]. ومن هنا

---

1 ابن فارس، **مجمل اللغة**، ج3، ص845.

2 أبو البقاء، **الكليات**، ص524. صليبا، جميل، (ت976هـ)، **المعجم الفلسفي**، دون طبعة، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص435.

3 ابو البقاء، **الكليات**، ص524.

عُرّف المنهج اصطلاحاً على أنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[2]، كما عُرِّف المنهج بأنه: "خطةٌ منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية، بُغية الوصول إلى كشف حقيقة، أو البرهنة عليها"[3].

فالمنهج إذاً عبارة عن تنظيم صحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو من أجل البرهنة عليها أمام الآخرين[4]. وحتى يصل الباحث إلى أي حقيقة من الحقائق العلمية، وأي من ضروب المعرفة التي يهدف الوصول إليها لا بد له من خطوات ذهنية منظمة وإجراءات عملية يسير عليها ضمن مبادئ وقواعد ضابطة يراعيها في بحثه حتى يصل بها إلى الحقيقة أو اليقين[5].

ونخلص من خلال ذلك إلى أن عناصر المنهج الرئيسة ثلاثة هي: الخطوات الذهنية، والإجراءات العملية، والمبادئ الضابطة، فمن وجدت هذه العناصر الثلاثة في أبحاثه فقد وُفق إلى المنهج العلمي السليم. وذلك أن تقدم العلم وتأخره مرتهنٌ بمسألة المنهج؛ يدور معها وجوداً وعدماً، ولذا يمكن أن يُقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما يضبط العقل البشري والأعمال الذهنية بقواعد ثابته، بحيث تعينه للوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات.

---

1 انظر: بدوي، عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1997م، ص3. عناية، غازي، **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1990م، ص80.

2 بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ص4-5.

3 مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م، ص951. وانظر: فرج الله عبدالباري، **مناهج البحث واداب الحوار والمناظرة**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص45.

4 انظر: عناية، **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، ص80-81. السيد عزمي طه، **المنطق ومنهجية البحث**، من محاضرات مادة البحث العلمي التي ألقيت على طلبة الماجستير في الجامعة الأردنية، ص3.

5 انظر: السيد عزمي، **المنطق ومنهجية البحث**، ص3.

المطلب الثاني: أنواع المناهج

تعددت آراء علماء المناهج في تحديد أنواع المناهج العلمية، ومنشأ تنوع المناهج نابع من طبيعة العلوم التي يُراد البحث فيها؛ إذ عند ذلك ينبغي أن يستخدم في بحثها المنهج المناسب لها[1]، وتلك المناهج تشكل وحدة واحدة في تكوين العلم الواحد، ولا يمكن الفصل بينها لاستنادها إلى وحدة العقل البشري، إلاّ أنه يمكن تفسيرها وتصنيفها ضمن الأنواع الآتية:

أولاً: المنهج الاستدلالي أو الاستنباطي:

"هو منهج يبدأ من قضايا مبدأيه مسلم بها إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة"[2]، أي أنه يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها. وعليه فالمنهج الاستنباطي يقوم على مرحلتين هما: أ- مرحلة وضع المقدمات والتعريفات والمسلمات. ب- مرحلة استنباط النتائج واستخراجها من المقدمات، ويكون صدق هذه النتائج متوقفاً على صدق المقدمات التي استلزمتها[3].

ثانياً: المنهج الاستقرائي:

---

1 انظر: عناية، **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، ص84-84.

2 غازي عناية، **مناهج البحث العلمي في الاسلام**، ص85 وانظر: بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ص16.

3 انظر: الباري فرج الله عبد ، **مناهج البحث**، ص52-54.

وهو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات، حكمت على ذلك الكلي به، ويسمى منهج الاستقراء بالمنهج التجريبي؛ لأنه يستند في تحليلاته إلى الملاحظة والتجربة وافتراض الفروض[1]. فإذا كان هذا التصفح لجميع الجزئيات فإنه يُسمى استقراءً كاملاً أو تاماً، وهو يفيد العلم اليقين، أما إذا كان التصفح لبعض الجزيئات فإنه يُسمى استقراءً ناقصاً، وهذا يفيد الظن.[2]

ثالثاً: منهج الاسترداد التاريخي

هو "الذي تقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية"[3].

رابعاً المنهج الجدلي

وهو " الذي يحدد منهج التناظر والتحاور بين الجماعات العلمية، او في المناقشات العلمية على اختلافها، ولا يمكن لهذا المنهج أن يأتي بثمار حقيقية إلاّ إذا أسعفته المناهج الثلاثة السابقة"[4]

خامساً: المنهج الوصفي

---

1 انظر: بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ص18-19. عناية، **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، ص85.

2 انظر: الغزالي، محمد بن محمد (ت 505هـ)، **معيار العلم**، ط1، دار الفكر، بيروت، 2009م، ص28. النشار، علي، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص61. عناية. **مناهج البحث العلمي في الإسلام**، ص86.

3 بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ص19.

4 بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ص19.

هو ما يقوم على الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية واصفاً لها، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية، وهو مكمل للمنهج الاستردادي التاريخي الذي يصف الظواهر في تطورها الماضي حتى يصل بها إلى الوقت الحاضر[1].

والبحث في العلوم الإسلامية يقوم على التكامل فيما بينها، بسبب وحدة الغاية من البحث في هذه العلوم الإسلامية، وهو ما سلكه جميع العلماء المتقدمين، فتراهم يكتبون في الفقه وأصوله والعقيدة والقرآن وعلومه والسنة ومصطلحاتها، مع تميز كل فرد منهم وتخصصه في علم من العلوم الإسلامية[2].

المبحث الثاني: إجراءات البحث العملية عند الإمام القرطبي

ظهر من خلال البحث في الآراء العقدية للإمام القرطبي من خلال تفسيره لسورة الكهف بعض الإجراءات العملية التي قام بها القرطبي في شرحه للمسائل العقدية من خلال الآيات منها:

أولاً: الاطلاع على الكتب السابقة؛ وهذا الإجراء العملي بيّن عند الإمام القرطبي، كونه محباً للعلم، شغوفاً بطلبه، كثير الاطلاع على كتب العلماء من قبله، كما بين لنا من تراجم العلماء فيه فيما سبق من أنه موفور العلم، واسع الاطلاع -رحمه الله تعالى- ويتوضح هذا الاجراء العملي عند الإمام القرطبي من خلال عدة أمور:

1- آراء الفرق والطوائف والعلماء التي أوضحها الإمام القرطبي في العديد من المسائل مثل: بيانه لأقوال القدرية المعتزلة في مسألة أفعال العباد والقدر[3] وفي إنكارهم الميزان[4]. فإن معرفة آراء المعتزلة في

1 انظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

2 عبد الباري، **مناهج البحث**، ص57-58.

3 انظر، القرطبي، **الجامع**، ج13، ص 95، 313.

4 انظر: المصدر نفسه، ج9، ص156.

هذه المسائل يستدعي الاطلاع على كتبهم لعدم معاصرته لهم، كذلك بيانه لآراء المفسرين في عدة آيات من سورة الكهف مثل: اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: "والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً" [الكهف: 46]، وآراء أهل اللغة في تعريف بعض الكلمات مثل: كلمتي السرادق[1] والمهل[2].

2- النصوص الحرفية التي نقلها الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- من الكتب السابقة وخاصة عن ابن عطية وابن العربي[3]، وتوثيقه تلك النصوص من مصادرها، مثل ما نقله نصّاً عن الثعلبي في تأكيده لحياة الخضر عليه السلام فقال: "وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي في كتاب "العرائس" له: والصحيح أن الخضر نبي معمّر محجوب"[4].

3- الإحالة إلى الكتب السابقة لبيان بعض المسائل والتفصيل فيها مثل: مسألة الرياء، فبعد أن تكلم فيها بانجاز وذكر وجوه الرياء قال: وبسط هذا وتتميمه في كتاب "الرعاية" للمحاسبي، فمن أراده فليقف عليه هناك"[5]، كما بين ذلك بعبارة أخرى بعد أن ذكر معنى الإشراك في العبادة وتعليقه بالرياء فقال: "ورضي الله عن المحاسبي، فلقد أوضحه في كتابه "الرعاية" وبين إفساده للإعمال"[6]، إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على سعة اطلاع القرطبي -رحمه الله تعالى- على الكتب السابقة، وإلمامه

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص261.

[2] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص262 – 263.

[3] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص231. وانظر النص الحرفي لابن عطية في: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج3، ص522. النص الحرفي لابن العربي في: ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج1، ص243.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص361. وانظر نحوه: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص323، 362، 363.

[5] القرطبي، **الجامع**، ج6، ص301، ملاحظة: القرطبي هو الذي أحال إلى هذا الجزء من القرآن لبيان شرحه السابق كمسألة الرياء الواردة في الكهف منعاً للتكرار.

[6] القرطبي، **الجامع**، ج13 ص299

بمواضيع الكتب المختلفة بما يتناسب مع الموضوعات المطروحة من خلال تفسيره للآيات، ومن ثم إحالة القارئ إليها[1].

4- تخريجه الأحاديث الشريفة، فالإمام القرطبي يُعدّ من العلماء المحدّثين الذين لهم علْم أو المعرفة الأحاديث وأسانيدها ومعرفة الصحيح منها والسقيم، وهو ما أكده تخريجه لمعظم الأحاديث الشريفة التي وردت في سورة الكهف[2]، غيرها من السور التي كان يحيلنا إليها، مع بيان مصادر تلك الأحاديث مثل: صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى[3]، وسنن ابن ماجه[4]، ومسند الدارمي[5]والبزار[6] وأحمد رحمهم الله تعالى، وموطأ مالك[7] وسنن الترمذي رحمهم الله تعالى، ولم يكتف يكتف بتخريجها من مصادرها الأصلية بل نراه يذكر تخريجها في بعض الكتب الأخرى غير الحديثية كقوله: "وخرّج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب "التوحيد" وذكر الحديث"[8]، وغيرها

---

[1] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص233، 269، 282، 323

[2] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص242-244، 262-263، 265، 267، 281، 303

[3] انظر: المصدر مفسه، نفس الجزء، ص198، 280، 303، 310، 327، 362

[4] انظر: المصدر نفسه، ج6، ص299. وابن ماجه وهو محمد بن يزيد، أبو عبدالله ، الحافظ، مصنف "السنن"، ولد سنة تسع ومائتين، ثقة برع في الحديث وكتبه، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين وله أربع وستون سنة. انظر في ترجمته الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص278-280.

[5] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص197، 402. والدارمي: هو عبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل، صاحب التصانيف، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. انظر في ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج12، ص224.

[6] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص303. البزار هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، صاحب المسد الكبير ولد سنة نيف عشرة ومائتين، حدث في كثير من الأمصار، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين انظرفي ترجمته: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص555-557.

[7] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص292.

[8] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص291.

كثير[1]، كما لا يقبل من الأدلة إلاً ما كان ثابتاً في الأحاديث المرفوعة الصحيحة والمتواترة[2]. لكنه أحياناً نقل إسرائليات خاصة في القصص، وذكر أحاديث قليلة دون تخريج[3].

5- النقل عن العلماء السابقين، من إجراءات القرطبي استخدام المنهج النقلي عن العلماء السابقين، وبيان آرائهم في بعض المسائل العقدية في سورة الكهف، منها نقله لإجماع العلماء في تأويل صفة الوجه[4]، الوجه[4]، وإجماعهم على حرمة اتخاذ القبور مساجد[5]، كما نقل بعضاً من آثار السلف الصالح، كنقله كنقله عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: "قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلاّ قليل" [الكهف:22] حيث قال القرطبي "كان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم"[6].

ثانياً: عرض المسألة على شكل سؤال وجواب:

ومن ذلك عرضه لمسألة ذرية إبليس على هيئة سؤال قائلاً: "هل لإبليس ذرية من صلبه"[7]؟ ثم ذكر ما جاء فيها من أقوال ورجح ما يراه صواباً ومدعماً بالأدلة الصحيحة. وقوله: "إن قال قائلٌ: كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى، وقال في خرق السفينة "فأردت أن أعيبها" فأضاف العيب الى نفسه؟ قيل له .. "[8].

---

[1] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص245، 268، 269، 282، 399، 401.

[2] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 343، 330، 394.

[3] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص255، 257، 345، 361، 365، 371، 376، 379، 380، 381.

[4] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج2، ص132.

[5] انظر: المصدر نفسه ، ج13، ص242.

[6] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص248، 255.

[7] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص300.

[8] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص357.

ثالثاً: حل الإشكالات وبيان موقفه في المسائل المختلف فيها:

ومن ذلك المسائل الخلافية التي ذكرها: ومسألة نبوة الخضر وولايته[1]، مسألة حياة الخضر ووفاته[2]، وغيرها من المسائل والإشكالات[3]، إلا أنه أحياناً يتوقف عن إبداء رأيه في المسألة ولا يرجح، كما في مسألة التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام والملائكة[4].

رابعاً: ضرب الأمثلة:

إن ضرب الأمثلة يُعد من الإجراءات التي تُقرب المعاني إلى الأذهان وتزيدها وضوحاً، وقد استخدم القرطبي –رحمه الله تعالى– هذا الإجراء في بيانه لأحد شروط المعجزة[5].

المبحث الثالث: الضوابط الاعتقادية والمنهجية والخلقية عند الإمام القرطبي

أولاً: الضوابط الإعتقادية:

وهي المبادئ الدينية التي يلتزم بها الباحث في بحثه ويتجنب الخروج عنها ومن هذه الضوابط عند الإمام القرطبي ما يلي:

1–الالتزام بظواهر النصوص وعدم التأويل: فقد التزم القرطبي –رحمه الله تعالى– بالإستدلال بظواهر النصوص وعدم تأويلها، وذلك في باب السمعيات أي الغيبيات من أمور الآخرة؛

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص325.

[2] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 359– 363.

[3] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 345–349 ، 357، 376.

[4] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص127، 319، 336، –339، 431.

[5] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص113.

كالميزان والجنة والنار وما يتعلق بأمور الآخرة[1]، أما في باب الصفات فقد أول القرطبي ما جاء من صفات في سورة الكهف على منهج الأشاعرة فيه[2].

2–رفض البدع في الدين: اهتم الإمام القرطبي برفض البدع في الدين، وظهر ذلك واضحاً في استنكاره للرقص والتواجد عند جهلة الصوفية وضربهم الأرض بالأقدام، وغيرها من البدع[3]، كذلك انتقد الزنادقة الباطنية في إنكارهم لأحكام الشرائع الكلية، واعتقادهم بدلاً عنها بالخواطر والتجليات[4].

3–موافقة أهل السنة والجماعة في آرائه العقدية: ويظهر موافقة القرطبي لأهل السنة والجماعة في إثبات الميزان وحقيقته، وإثبات الجنة والنار ووجودهما، كما أثبت المعجزة والكرامات، واعتقد خلق الله عزوجل لأفعال العباد وأكسابهم، وتنزيهه لله تعالى عن الشبيه والمثيل في ذاته وصفاته[5].

ثانياً الضوابط المنهجية

وهي مجموعة المبادئ والقواعد المنهجية التي التزم بها الإمام القرطبي في تفسيره لسورة الكهف منها:

1– تحديد المنهج الذي سينتهجه الإمام القرطبي في تفسيره والالتزام به، فقد حدد الإمام في بداية تفسيره "الجامع" المنهج الذي سيتبعه فيه، إذ بيّن أنه سيضيف الأقوال الى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها،

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج 9، ص156–157.

[2] انظر: المصدر نفسه، ج 13، ص313، 397، ج1، 392.

[3] انظر: المصدر نفسه، ونفس الجزء، ص224–225، 242، ج1، ص356

4 انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص358.

[5] انظر: المصدر، نفس الجزء، ص242، 260، 280، ج2، ص134، ج1، 112، ج13، ص 13، 341، 391، 395، ج1، ص 356. وانظر القرطبي، التذكرة، ص 273، 144.

وبين آيات الاحكام بمسائل تبين ما فيها من معانٍ وأحكام، وأنه سيضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلى غير ذلك مما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره "الجامع"[1].

2- التزامه بالاختصار وعدم التكرار في تفسيره لبعض الآيات في سورة الكهف والتي تكررت في غيرها من السور، ولتحقيق الاختصار وعدم التكرار كان الإمام القرطبي يحيل إلى سور أخرى من القرآن أوضح فيها المسألة، كما يحيل إلى مؤلفاته أحيانا، ومؤلفات غيره في بعض المواضيع التي تحتاج إلى شيء من التوسع ومن ذلك:

أ- الإحالة إلى السور الأخرى في القرآن، بذكر اسم السورة التي أوضح فيها المسألة ولا يكتفي بمجرد أنها وضحت سابقاً[2]، وأحياناً لا يذكر اسم السورة ويكتفي بقوله "وقد تقدم هذا في غير موضع"[3].

ب- الإحالة الى مؤلفاته، بذكر أسماء بعضها ككتابه:" الأسنى في أسماء الله الحسنى"[4]، وكتابه "التذكرة"[5].

ت- الإحالة إلى مؤلفات غيره: وذلك بتحديده لاسم الكتاب المحال إليه مثل كتاب "الرعاية"[6].

3- تخريج الأحاديث النبوية ومحاولة الالتزام بالصحيح منها، فقد اهتم القرطبي -رحمه الله تعالى- اهتماماً بالغاً بتخريج الأحاديث من مصادرها[7]، فكان في استدلاله بالأحاديث الشريفة يذكر مصادرها

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8.

[2] انظر: المصدر نفسه، ج13، ص224،216،399، 231، 239، 250، 275.

[3] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص265.

[4] انظر المصدر نفسه، ج4، ص296.

[5] انظر المصدر نسه، ج13، ص296.

[6] انظر: المصدر نفسه، ج6، ص301.

[7] انظر: المصدر نفيه، ج13، ص267، 269، 282، 292، 402،

مصادرها غالباً. فقلما يستدل بحديث دون أن يذكر مصدره الذي أخذه منه، وبلغ من اهتمامه الكبير في الالتزام بالصحيح من الأحاديث أنه لا يأخذ بما ورد في بعض القصص إلاّ بما جاء في الصحيح منها، مثال لذلك: قوله بعد ذكر ما ورد في قصة مقتل الغلام: "وحسبك بما جاء في الصحيح"[1]، وقوله في ما ورد في أسماء أهل الكهف: "وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسند في معرفتها واهٍ"[2]، وهذا يدل على حرصه الشديد على تحرى ما هو صحيح وثابت.

ثالثاً: الضوابط الخلقية

1- كثرة التجائه إلى الله تعالى والاستعانة به عزوجل فيما يوضحه من مسائل من خلال تفسيره الآيات، ومن ذلك عبارته الدالة على استعانته بالله تعالى مثل: قوله: "والله الموفق"[3]، "والله الموفق للصواب"[4]، "والله الموفق وبه العصمة"[5]، "والله الموفق للهداية"[6]، ومن ذلك تأدبه مع ربه ربه تعالى في تفويض العلم له عزوجل كقوله: "والله أعلم"[7] في أكثر من موقع، ومن ذلك تعليق إحالته لبعض السور في بيان موضع من المواضع بمشيئة الله تعالى مثل قوله: "على ما يأتي

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص330.
[2] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص216.
[3] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص251.
[4] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص385.
[5] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص219.
[6] المصدر نفسه، نفس الجزء، ص336.
[7] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص236، 237، 257، 260، 263، 267.

بيانه في سورة لقمان إن شاء الله تعالى"[1]، وكذلك كثرة شكره لله تعالى وحمده في مواضع من تفسيره لسورة الكهف[2].

2- تأدبه مع الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن ذلك تعليقه على مسألة سؤال الضيافة من قبل موسى عليه السلام والخضر بقوله: "وظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى عليه السلام إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الانبياء"[3]، كذلك إنكاره على الحريري في استدلاله من سؤال موسى عليه السلام والخضر والخضر الضيافة على جواز السؤال والإلحاح فيه بقوله تعالى: "حتى إذا اتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما" [الكهف: 77]، حيث علق القرطبي منكراً بقوله: "وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام النبيين"[4].

المبحث الرابع: متممات المنهج عند الإمام القرطبي

أولاً: الأمانة العلمية

ويمكن ملاحظة هذا المتمم عند الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- من خلال عدة نقاط منها:

1- نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها والتثبت في ذلك. وقد أشترط الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره على نفسه بإضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها[5]، كما كان أحياناً كثيرة يذكر مصادر

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص224. وانظر المصدر نفسه، نفس الجزء، ص240، 347.

[2] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص269، 296، 343، 358.

[3] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص336.

[4] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص336.

[5] انظر: القرطبي، **الجامع**، ج1، ص8، وانظر امثلة على اضافة الاقوال الى قائليها، المصدر نفسه، ج13، ص 250، 248، 270، 274، 293، 324، 325.

مصادر تلك الأقوال لزيادة التثبيت والتوثيق مثل ما جاء في مسألة حياة الخضر عليه السلام وعدم موته، فقال القرطبي: "وقد ذكر أبو اسحاق الثعلبي في كتاب "العرائس" له: والصحيح أن الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار"[1]، وغيرها من الأمثلة الدالة على أمانته ونزاهته رحمه الله تعالى[2]. كما أن من أبرز ما يدل على أمانته وحرصه على التثبت في النقولات تخريجه للأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها مع ذكر أسماء تلك المصادر وسرد أسانيد بعض الأحاديث[3]. وقد كثر نقله عن ابن عطية، يوافقه تاره كما وافقه في حياة أهل الكهف وعدم موتهم[4]، ويخالفه تارة أخرى[5]، إلاّ أنه أنه كان أحياناً ينقل النص دون ذكر صاحبه من باب العجلة أو الغفلة أو السهو وهذا نادراً ما حصل.

2- الموضوعية في ذكر آراء المخالفين له في الرأي مع بيان أدلتهم وتوضيحها، منها: بيانه لأدلة القائلين بموت الخضر عليه السلام خلافاً لرأيه في حياة الخضر عليه السلام[6]، وبيانه لأدلة القائلين بأفضلية الملائكة على الأنبياء عليه السلام[7]، وأدلة القائلين بأفضلية بني آدم على الملائكة[8].

3- تجنب التعميم في الأحكام. وهذا من أهم جوانب الأمانة العلمية للباحث والتي يجب مراعاتها في البحوث العلمية وهو ما تقصيناه، من خلال عبارات الإمام القرطبي في سلوك وأحوال بعض الفرق

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص361.

[2] انظر: المصدر نفيه، نفس الجزء، ص362، 365، 366، 399.

[3] سبقت الإشارة على نقولات القرطبي وتخريجه للأحاديث من مصدرها بذكر اسماء تلك المصادر مما يغني عن الإعادة.

[4] انظر في موافقة القرطبي لابن عطية: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص231، 250.

[5] خالفه فيما ورد من تعيين أسماء للشياطين وفي موت الخضر وعدم حياته. انظر: القرطبي، **الجامع**، ج13، ص302، 360. 360.

[6] انظر القرطبي، **الجامع**، ج13، ص359-363.

[7] انظر المصدر نفسه، ح1، ص430-431.

[8] انظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص435.

والجماعات مثل قوله: "في هذه الآية دليل على سؤال القوت، وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه خلافاً لجُهال المتصوفة"[1] . وهنا لم يعمم على كل الصوفية بل استثنى منهم الجهال الذين يدعون التصوف، كذلك قوله: "فسرى أن ذلك قرآن نقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض الطاعنين"[2].

ثانياً: مراعاة القيم الدينية والخلقية

لما كان الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– إماماً في الزهد والعبادة، وقدوة في الصلاح، كان اهتمامه بالقيم الدينية والخلقية اهتماماً بالغاً، ومن مظاهر مراعاته للقيم الدينية والخلقية: حرصه على بدء تفسيره لسورة الكهف بالبسملة، وعلى ختمها بحمد الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[3]. وحرصه وحرصه على اتباع لفظ الجلالة بالتعظيم والتنزيه[4]، وإتْباع اسم الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلاة والتسليم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن ذلك أيضاً حرصه على اتباع الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم بالدعاء بالرضى عنهم[5]، وإتْباع أسماء العلماء رحمهم الله تعالى كذلك بالدعاء بالدعاء بالرضى عنهم[6]، ولم يكتف بالترحم على من يوافقه بالرأي من العلماء، بل كان يترحم على من خالفه بالرأي أو أخطأ، ومن ذلك دعاؤه بالعفو من الله عزوجل للحريري عندما استدل بما وقع من موسى عليه السلام والخضر من سؤال الضيافة على جواز سؤال الناس واتخاذها حرفة لا عيب فيها، فقال

---

1 القرطبي، **الجامع**، ج13، ص335.

2 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص339، وانظر: المصدر نفسه، نفس الجزء، ص328.

3 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 197، 402.

4 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 199، 211، 216، 343.

5 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 336.

6 المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 400، ج6، ص299.

القرطبي معلقاً: "ويعفو الله عن الحريري حيث استخف في الآية وتمجن، وأتى بخطل من القول وزل، فاستدل بها على الكربة والإلحاح فيها ..."[1].

ثالثاً: سهولة الأسلوب ووضوح العبارة

تميز الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– بأسلوب سهل في توضيحه للمسائل العقدية في سورة الكهف، حيث لم يستخدم الأساليب والألفاظ المعقدة والتي استخدمها بعض علماء الكلام القدامى، فكان تفسيره "الجامع" غاية في الوضوح وعدم التعقيد في طرحه للمسائل العقدية ومصطلحاتها مما جعل له رواجاً وقبولاً لدى جميع فئات الناس فكان عظيم النفع والمنفعة.

---

[1] القرطبي، **الجامع**، ج13، ص336.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذه الرسالة الموسومة بـ (منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) –سورة الكهف أنموذجاً–) وقد توصلت من خلالها إلى نتائج مهمة كان من أبرزها:–

1. أن الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– عاش في عصر فتنٍ وضعفٍ للمسلمين سياسياً واقتصادياً، إلا أنه عصر ازدهر فيه العلم وكثر فيه العلماء، وكان الإمام القرطبي من أبرزهم.
2. كان الإمام القرطبي مالكي المذهب فقهاً، وأشعري المذهب عقيدة، وكان يوافق السلف الصالح في اعتماده على النقل أكثر من العقل.
3. إن تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) يعد من التفاسير المصنفة في الاهتمام بالجانب الفقهي، أما المسائل العقدية فإنها تُذكر باختصار مفيد.
4. تميزت سورة الكهف بذكر مسائل عقدية في قصص لم تذكر في غير هذه السورة، وتبرز أهميتها في كونها الملجأ والمنجى والمفر للمسلم من فتن الحياة الأربع: فتنة المال والسلطان والعلم والدين، وهي ملجأ من الفتنة الكبرى التي ستحصل في آخر الزمان وهي فتنة الدجال، فناسب الندب إلى قراءتها في كل جمعة لتكون مأوى للعبد من الفتن والمخاطر.

5. إن مسائل الإلهيات المذكورة في سورة الكهف هي مسائل تتعلق بالإيمان وتنزيه الله تعالى وتوحيده والقدر وأفعال العباد.

6. إن مسائل النبوات المذكورة في سورة الكهف هي مسائل تتعلق بذكر بعض صفات الأنبياء عليهم السلام، وذكر الولاية وخوارق العادات، وهي السورة الوحيدة التي ذُكر فيها الخضر.

7. إن مسائل الغيبيات المذكورة في سورة الكهف هي مسائل تتعلق بالملائكة والجن وأشراط الساعة (يأجوج ومأجوج على وجه الخصوص)، ومنها إثبات عقيدة الحشر والمعاد، وأهوال يوم القيامة، من نفخ في الصور وعرض وحساب وميزان، كما ذكر فيها أحوال المؤمنين والكافرين الأخروية، وإثبات الجنة والنار.

8. اتفق القرطبي مع السلف في منهج الاستدلال، إلا أنه لم يطبق هذا المنهج على بعض صفات الله تعالى التي وردت في سورة الكهف، وكان موافقاً لأهل السنة والجماعة في العديد من المسائل.

9. إن الضوابط المنهجية عند الإمام القرطبي في شرحه للمسائل العقدية في سورة الكهف تتمثل في تحديده لمنهجه ابتداءً في مقدمة تفسيره والتزامه بذلك، وقد استخدم القرطبي منهج الاختصار والإحالة إلى سور سابقة لتجنب التكرار، وكان يحيل أحياناً إلى كتب

أخرى له أو لغيره من العلماء، وكان يخرج أحاديثه من مصادرها غالباً، ويلتزم الصحيح منها إلا ما ندر في بعض القصص، إذ إنه ذكر فيها بعض الإسرائليات.

10. ظهرت الضوابط الخلقية عند القرطبي في كثرة التجائه إلى الله تعالى والاستعانة به، وتأدبه مع الأنبياء عليهم السلام.

11. إن إجراءات البحث العلمية برزت عند القرطبي في سعة اطلاعه على كتب السابقين وآراء الفرق والطوائف. فكان غالبا ينقلها ويوثقها بدقة ويميل إلى بعضها أحيانا وكان يحكم على الأحاديث في بعض الأحيان، ويستخدم أسلوب عرض بعض المسائل على شكل سؤال وجواب، ويحل الاشكالات ويرجح أحيانا ويتوقف أحيانا في المسائل المختلف فيها كما أنه يضرب الأمثلة لتوضيح آرائه.

12. بخصوص متممات المنهج عند القرطبي فقد ظهرت الأمانة العلمية بنسبة الأقوال إلى أصحابها غالباً، وفي الموضوعية يذكر أقوال المخالفين وأدلتهم ثم الرد عليهم، وفي تجنب تعميم الأحكام، كما أنه كان يراعي القيم الدينية والخلقية حتى في رده على الخصوم بأدب جم وحجة بالغة، ناهيك عن أسلوبه السهل وعباراته الواضحة.

وبالجملة فقد كان منهج الإمام القرطبي في استدلاله على مسائل العقيدة في تفسيره لسورة الكهف في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) منهجاً علمياً دقيقاً وهو سهل الفهم، ويناسب الكثير من الناس وليس موجهاً للمتخصصين فقط، بل سيستفيد منه العوام والخواص.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه من نتائج استخلصتها من بحثي، فما وجد من صواب فبتوفيق من الله، ما وجد من خطأ فمني ومن الشيطان، لكن هذا جهد بشري حاولت من خلاله أن أنهل من علم إمام عظيم، لعلنا نتعلم من مناهج علمائنا الأوائل ولنستثمر ما تعلمناه في خدمة الإسلام والمسلمين. والله ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

المراجع

المصادر

- أحمد بن علي، (ت852هـ)، **الزهر النضر في نبأ الخضر**، ط1، تحقيق سمير حلبي، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان.

- الأشقر، سليمان، (1997)، **اليوم الأخر**، ط7، عمان، دار النفائس.

- ابن الآثير، علي بن محمد، (ت630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بدون طبعة، بيروت، دار الاحياء التراث العربي، (1994م)، و ط1 ، دار بن حزم، بيروت، (2012).

- ________________، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط1، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العالمية، بيروت، (1997).

- ________________، **الكامل في التاريخ**، ط4، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، (2002).

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله، (ت658هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهرّاس، دار الفكر، بيروت، (1995).

- ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، (ت728هـ)، **الوصية الكبرى**، ط1، تحقيق محمد النمري عثمان ضميرية، مكتبة الصديق، الطائف، (1987).

- ___________، **منهاج السنة**، ط2، تحقيق الدكتور محمد رشاد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (1989).

- ___________، **درء تعارض العقل والنقل**، دار الكتب العلمية بيروت، (1990).

- ___________، **فقه التصوف**، تحقيق زهير الكيسي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، (1993).

- ___________، **كتاب الإيمان**، ط5، تحقيق محمد الالباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (1996).

- ___________، **النبوات**، ط1، تحقيق عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، (1420هـ)

- ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، (ت728هـ)، **الوصية الكبرى،** ط1، تحقيق محمد النمري عثمان ضميرية، مكتبة الصديق، الطائف، (1987).

- ______________، **شرح الأصبهانية،** ط1، (تحقيق محمد السعوي)، دار المنهاج، الرياض، 1430هـ.

- ______________، **الفتوى الحموية الكبرى،** تحقيق حمد التويجري، دار الصميعي، الرياض، (2004م).

- ___________، **شرح العقيدة الواسطية،** ط8، تحقيق محمد خليل، الدار السنية، الرياض، (2015).

- الإسفراييني، طاهر بن محمد، (ت 471هـ)، **التبصير في الدين،** ط1، تحقيق كمال الحوت، بيروت، عالم الكتب(1983).

- الأشعري، علي ابن اسماعيل، (ت330هـ)، **اللمع في الرد على أهل الريغ والبدع،** تحقيق حمود غرابة، المكتبه الأزهرية للتراث، القاهرة ، (1987).

- ______________، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،** تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، (1990).

- ______________، **الإبانة عن أصول الديانة،** ط3، تحقيق بشير عيون، دمشق، دار البيان، (1990)

- أشباخ، يوسف، (1996)، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحين،** ط2، تحقيق محمد عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي.

- الآجري، محمد بن حسين، (ت360هـ)، **كتاب الشريعة،** ط1، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1983).

- الأشقر، عمر، (1995)، **الرسل والرسالات،** ط6، عمان، دار النفائس.

- الألباني، محمد، (1988)، **سلسلة الآحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة،** ط2، الرياض، مكتبة المعارف.

- الأصبهاني، اسماعيل بن محمد (ت535هـ) ، **الحجة في بيان المحجة**، ط2، ج2، تحقيق محمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، (1999م)

- الأصفهاني، الحسن بن محمد، (ت502هـ)، **مفردات آلفاظ القرآن**، ط2، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، (1997).

- الألوسي، ابي الفضل، (ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1985).

- الآمدي، علي بن أبي علي ، (ت631هـ)، **غاية المرام، في علم الكلام**، تحقيق عبدالله الخليلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1971).

- ـــــــــــــــــــ، **أبكار الأفكار في أصول الدين**، ط2، تحقيق أحمد المهدي، دار الوثائق القومية، القاهرة، (2004)

- ـــــــــــــــــــ، **المبين في شرح الحكماء والمتكلمين**، ط2، (تحقيق حسن الشافعي)، مكتبة وهبة، القاهرة

- الإيجي، عبدالرحمن بن أحمد، (ت756هـ)، **المواقف في علم الكلام**، مكتبة المتنبي، القاهرة، (1999).

- باشا، اسماعيل، (1951)، **هدية العارفين**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الباقلاني، ابي بكر بن الطيب البصري، (ت403هـ)، **الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به**، ط1، تحقيق عماد الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، (1986).

- بخاري، محمد بن أسماعيل، (ت256هـ)، **خلق أفعال العباد**، ط1، تحقيق بدر البدر، الدار السلفيه، الكويت، (1985).

- ـــــــــــــــــــ، **صحيح الأدب المفرد**، ط4، تحقيق محمد الألباني، مكتبة الدليل، السعودية، (1997)

- ـــــــــــــــــــ، **الجامع الصحيح**، ط5، تحقيق عبدالسلام علوش، مكتبة الرشد، الرياض، (2014).

- بركة، عبد الفتاح (1982)، **شرح السنوسية الكبرى**، ط1، دار القلم، الكويت.
- البريكان، ابراهيم، (2003)، **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، ط1، القاهرة، دار ابن عفان.
- البغدادي، عبد القاهر بن محمد (ت429هـ)، **الفرق بين الفرق**، ط1، تحقيق نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، (2009)
- البغدادي، عبد القاهر بن محمد (ت429هـ)، **صول الدين**، بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- البغوي، الحسن بن مسعود، (ت516هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق خالد عبدالرحمن ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت،(1987).
- ابن بطة، عبيدالله بن محمد (ت387هـ)، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، ط2، ج2، تحقيق رضا معطي، دار الراية، الرياض، (1994)
- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت885 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، ج4، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1999).
- البهي، محمد، (1982)، **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي**، ط6، بيروت، مكتبة وهبة.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت458هـ)، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، ط1، تحقيق أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، (1999).
- _______________، **الاسماء والصفات**، تحقيق عبدالله بن عامر، دار الحديث، القاهرة، (2005).
- _______________، **الجامع لشعب الإيمان**، تحقيق عبد العلي حامد، الدار السلفية، الهند، (2008).
- الترمذي، الحافظ، (ت279هـ)، **سنن الترمذي**، ط1، تحقيق محمد الالباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (1998).
- التفتازاني، مسعود بن عمر (ت793هـ)، **شرح المقاصد**، ط2، ج1، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت،(1998)
- ابن التلمساني، عبد الله بن محمد (ت658هـ) **شرح معالم أصول الدين**، ط 1، تحقيق نزار حمادي، دار الفتح، الأردن، (2010)

- التهانوي، محمد بن علي، (ت1191هـ)، **كشاف اصطلاحات الفنون**، بدون طبعة، دار صادر، بيروت، (1996).
- الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ)، **شرح المواقف**، ط2، منشورات الرضي، ايران، (1373هـ).
- __________، **التعريفات**، بدون طبعة، (تحقيق محمد المنشاوي)، دار الفضيلة، القاهرة، (1403هـ).
- الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب ، (ت259هـ)، **أحوال الرجال**، ط1، تحقيق محمد السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1985).
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، (1983).
- الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيه**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، (1979).
- الجويني، عبدالملك، (ت478هـ)، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، ط1، تحقيق فرقية محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (1965).
- ________________، **الإرشاد إلى قواطع أصول الأعتقاد**،، ط1، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (1985).
- ابن حبان، أحمد، (ت354هـ)، **صحيح ابن حبان**، ط1، ج9، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1988)
- الحدّاد، محمود ، (1987)، **تخريج آحاديث إحياء علوم الدين**، الرياض، دار العاصمة.
- ابن حزم، ابي محمد على بن أحمد، (ت456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط2، دار المعرفة، بيروت، (1975).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت 626 هـ)، **معجم البلدان**، بدون طبعة، دار صادر، بيروت، (1993).
- الحميدي، محمد، (ت488هـ)، **الجمع بين الصحيحين**، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، (2002).

- الحنفي، قاسم، (2006)، **المسامره في شرح المسايره**، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية.
- حبنكة، عبدالرحمن حسن، (2004)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط12، دمشق، دار القلم.
- الحوالي، سفر، (2013)، **منهج الأشاعرة في العقيدة**، ط5، القاهرة، دار الصفوة.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله ، (ت 1068 هـ) **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار الفكر، لبنان(1989).
- حسن، حسن، (1991)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني**، ط13، بيروت، دار الجبل.
- حمزة، عبداللطيف، (1999)، **الحركة الفكرية في مصر العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**، القاهرة، دار الفكر العربي.
- حنبل، احمد، (ت241هـ)، **مسند احمد**، ط1، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، (1999).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت681هـ)، **وفيات الأعيان**، تحقيق محمد عبد الباقي، دار صادر، بيروت، (1972).
- الخطيب البغدادي، احمد بن علي، (ت463هـ)، **تاريخ بغداد**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1997م).
- الخطيب، محمد، (2013)، **أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها**، ط2، الأردن، دار المسيرة.
- الخطابي، حمد بن محمد، (ت388هـ)، **معالم السنن شرح سنن أبي داود**، تحقيق عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (1974م) .
- الخميس، عبدالرحمن، (2000)، **معجم علوم الحديث**، ط1، جدة، دار بن حزم.
- ابو الخير، حسن، (2011)، **الموسوعة المفصلة في الفرق والآديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة**، ط1، القاهرة، دار ابن الجوزي.
- الدواني، الجلال الدين ،(1317هـ)، **شرح العقائد العضدية**، ج2، مطبعة عامره، غير معروف البلد.

- الداني، أبو عمر، (ت444هـ) **البيان في عد آي القرآن**، ط1، تحقيق غانم الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، (1994).

- الداوودي، محمد، (ت945هـ)، **طبقات المفسرين**، ط1، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (1913).

- الدبيثي، محمد بن سعيد، (ت637هـ)، **ذيل تاريخ مدينة الإسلام**، ط1، تحقيق بشار وعواد معروف، دار العرب الإسلامي، بيروت، (2006).

- الديلمي، محمد، (ت711هـ)، **بيان مذهب الباطنية وبطلانه**، ، دار بن قتيبة اسطانبول ، (1938).

- الدوري، قحطان، وعليان، رشدي، (2002)، **أصول الدين الإسلامي**، ط2، عمان، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع.

- الذهبي، محمد بن أحمد، (ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط2، تحقيق أكرم البوشي وشعيب أرناوؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1984).

- ________________، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، تحقيق عمر التدمري، دار الكتب العربي، بيروت، (1999).

- ________________، **ميزان الإعتدال في نقد الرجال**، ط1، تحقيق محمد العرقسوسي، دار الرسالة، دمشق، (2009).

- ________________، (ت748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، ط8، دار الكتب العلمية، بيروت، (2009).

- الذهبي، محمد، (2010)، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة.

- الراجحي، عبدالعزيز، (2007)، **شرح الفتوى الحموية**، ط1، القاهرة، دار الجوزي.

- الرازي، محمد بن عمر، (ت606هـ)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ط1، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (1986).

- ____________، **التفسير الكبير**، ط3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (1989).

- ___________، **شرح أسماء الله الحسنى،** تحقيق طه عبدالرؤف سعد ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (2000).

- ___________، **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين،** تحقيق طه عبدالرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، (2006).

- الرضواني، محمود، (2009)، **أصول العقيدة،** القاهرة، سلسبيل.

- ___________، (2009)، **منة القدير،** ط1، ج1، القاهرة، شركة البحيرة.

- ابو الريان، محمد، (1992)، **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام،** ط2، بيروت، دار النهضة العربية.

- الزرقاني، محمد، (2001)، **مناهل العرفان في علوم القرآن،** تحقيق أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث.

- الزركلي، خير الدين، (ت1396هـ)، **الأعلام،** ط8، دار العلم ، بيروت، (1989).

- الزمخشري، ابي القاسم، (ت538هـ)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** ط3، تحقيق خليل شحا، دار المعرفة، بيروت، (2009).

- ابن سعد، محمد بن سعد، (ت230هـ)، **الطبقات الكبير،** ط1، تحقيق على عمر، مكتبه الخانجي، القاهرة، (2001).

- السفاريني، محمد بن أحمد، (ت1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضيه،** ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، (1991).

- السكسكي، عباس بن منصور، (ت 682هـ)، **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان،** ط1، تحقيق خليل الحاج، دار التراث العربي، القاهرة، (1980).

- السمعاني، عبدالكريم بن محمد، (ت562هـ)، **الأنساب،** ط1، تحقيق عبدالله البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1988).

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن،(ت911هـ)، **طبقات المفسرين،** ط1، تحقيق علي عمر، مكتبة وهبة القاهرة، (1976).

- ـــــــــــــــــــــ، **طبقات الحفاظ**، تحقيق لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1980).
- ـــــــــــــــــــ ، **اللآلي المصنوعة في الآحاديث الموضوعة**، ط1، تحقيق صلاح عويصة، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، (1996م).
- ـــــــــــــــــــــ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط1، مركز هجر، القاهرة، (2003)
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن،(ت911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة،، (2006).
- ابن سينا، حسين، (ت428هـ)، **الأضحوية في الميعاد**، ط1، تحقيق حسن عاصي، مؤسسة شمس تبريزي، ايران، (1983).
- الشبل، علي، (2001) ،**الانحرافات الوثنية في العقيده اليونانية وآثارها**، **بيروت**، دار المسير.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبدالكريم، (ت548هـ)، **الملل والنحل**، ط2، تحقيق محمد الكيلاني، دار المعرفه، بيروت، (1975).
- ـــــــــــــــــــــــ، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، ط1، تحقيق ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (2009).
- الشنقيطي، محمد الأمين، (ت1393هـ)، **أضواء البيان**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (1988)
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت764هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط2، تحقيق شكري فيصل، دار صادر، بيروت، (1991م).
- الصابوني، محمد علي (ت 1437هـ)، **النبوة والأنبياء**، مكتبة الغزالي، دمشق، (1985).
- ـــــــــــــــــــــــــــــــــ، **صفوة التفاسير**، ج2، دار الفكر، بيروت، (2001).
- الطبراني، سليمان بن أحمد، (ت360هـ)، **المعجم الكبير**، ط2، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (2010).

- الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، تحقيق رضوان جامع، القاهرة، دار بن الجوزي.
- ابن عبد الوهاب، سليمان عبد الله (ت 1233هـ)، **تيسير العزيز الحميد**، بدون طبعة، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة.
- عبدالباري، فرج الله (2004)، **مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة**، ط1، القاهرة، دار الافاق العربية.
- ابن العربي ، محمد بن عبدالله (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، بدون طبعة، ج1، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (1996)
- العجم، رفيق، (1999)، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ط1، بيروت، مكتبة لبنان.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط1، تحقيق عبد العزيز يزسق بازح، دار الكتب العالمية، بيروت، (1989).
- ____________، **موافقة الخبر الحبر في تخريج أحاديث المختصر**، تحقيق حمدي السلفي، وصبحي السامرائي، ط2، مكتبة الرشد، السعودية، (1993)،
- ____________، **لسان الميزان**، ط1، دار التراث العربي، بيروت، (1995).
- ____________، **تهذيب التهذيب**، ط1، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (1995).
- العقل، ناصر، (1412هـ)، **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة**، ط1، الرياض، دار الوطن.
- ابن عطية، عبدالحق، (ت542هـ)، **المحرر الوجيز**، مجموعة من المحققين، قطر، وزارة الأوقاف، قطر.
- ابن العماد، عبدالحي الحنبلي، (ت1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، (1986).
- الغزالي، محمد ابن محمد ، (ت505هـ)، **الجام العوام عن علم الكلام**، ط1، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ، (1985).

- ــــــــــــــــــــــ، **تهافت الفلاسفة**، ط1، تحقيق جبر جهامي، درا الفكر البناني، بيروت، (1993).

- ــــــــــــــــــــــ، **قواعد العقائد**، ط2، تحقيق موسى علي، عالم الكتب، بيروت، (1985).

- ــــــــــــــــــــــ، **إحياء علوم الدين**، ط1، ج2، دار المعرفة، بيروت، (2004)

- ــــــــــــــــــــــ، **فضائح الباطنية**، بدون طبعة، تحقيق فرج درويش، المكتب الثقافي، القاهرة.

- الغزالي، محمد ابن محمد ، (ت505هـ)، **المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى**، بدون طبعة، تحقيق محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة.

- ــــــــــــــــــــــ، **معيار العلم**، ط1، دار الفكر، بيروت، (2009)

- ابن فورك، محمد بن الحسن، (ت 406هـ)، **مشكل الحديث وبيانه**، ط2، تحقيق موسى علي، عالم الكتب، بيروت، (1980).

- الفوزان، صالح، (1994)، **شرح العقيدة الوسطيه**، ط1، الرياض، دار السلام.

- القاري، علي بن سلطان، (ت1014هـ)، **منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر**، ط1، تحقيق وهبة سليمان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (1998).

- القاضي، محمد بن أبي يعلى، (ت526هـ)، **طبقات الحنابلة**، ط1، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، (2005).

- القاضي، عبدالجبار أحمد، (ت415)، **شرح الأصول الخمسة**، ط3، تحقيق عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، (1996).

- القرطبي، يوسف عبدالله، (ت463هـ)، **التمهيد لما نافي الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق سعيد أحمد، (1981).

- ــــــــــــــــــــــ، (ت463هـ)، **الإستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد وعادل محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1995).

- القرطبي، محمد بن احمد، (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، تحقيق عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (2006).
- ________________، **التذكار في أفضل الأذكار**، تحقيق احمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، (2003).
- ________________، **التذكرة**، بدون طبعة، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، (2011)
- القرطبي، محمد بن احمد، (ت671هـ)، **الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**،، بدون طبعة، ج1، تحقيق احمد السقا، دار التراث العربي، القاهرة.
- ________________، **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القطان، مناع، (1999)، **مباحث في علوم القرآن**، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القفطي، علي، (ت624هـ)، **انباه الرواه على أنباه النحاة**، ط1، تحقيق محمد ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (1986).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت751هـ)، **مدارج السالكين**، ط1، تحقيق أحمد الرفاعي ، عصام الحرستاني، دار الجيل، بيروت، (1991).
- ________________، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ط2، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، بيروت، (1412هـ).

________________، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دون طبعة، (تحقيق الحساني عبدالله)، دار التراث، القاهرة.

- ________________، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، دون طبعة، (تحقيق يحي الشمالي)، دار عالم الفوائد، غير معروف البلد.
- الكاشاني، عبدالرزاق، (ت730هـ)، **معجم إصطلاحات الصوفية**، ط1، (تحقيق عبد العال شاهين)، دار المنار، القاهرة، (1992).

- الكبيسي، خليل، (2004)، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصر الإمارة والخلافة**، ط1، بيروت، دائر البشائر الإسلامية.

- الكردي، راجح، **علاقة صفات الله تعالى بذاته**، ط2، الأردن، دار الفرقان.

- الكرمي الحنبلي، مرعي بن يوسف، (ت 1033هـ)، **اقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات**، ط1، تحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1985).

- ابن كثير، اسماعيل، (ت774هـ)، **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق احمد هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (1993).

- ___________، **تفسير القرآن العظيم**، دار السلام الرياض،، (1994).

- ___________، **البداية والنهاية**، ط1، تحقيق على معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، (1994).

- الكلاباذي، محمد بن اسحاق (ت 380 هـ)، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ط 1، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (1993)

- الكيلاني، محمد، (1984)، **الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام**، دار الكتب العربي، القاهرة.

- المالكي، ابن فرحون، (ت799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة علماء آعيان المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (2011).

- الماوردي، علي بن محمد، (ت 450هـ)، **أعلام النبوة**، تحقيق طه سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، (1971).

- _______________، **النكت والعيون**، ج1، تحقيق السيد بن هشام، بيروت، دار الكتب العلمية.

- ابن مبارك، عبدالله المروزي، (ت181هـ)، **الزهد والرقائق**، ط2، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية، بيروت، (2004).

- المراكشي، ابي عبدالله، (ت703هـ) **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ط1، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، تونس، (2012).
- المراكشي، عبدالواحد، (ت647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العطرية، بيروت، (2006).
- المسعودي، على بن الحسين، (ت957هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط1، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (1991).
- المعايطة، عطاالله، (2010)، **الفرق الإسلامية وموقف أهل السنة والجماعة منها**، ط1، عمان، دار الفاروق.
- ابن مفلح، ابراهيم بن محمد، (ت 884هـ)، **المبدع في شرح المقنع**، المكتب الإسلامي، بيروت، (1400هـ).
- ابن منظور، محمد، (711هـ)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، (2010).
- المغربي، علي، (1995)، **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة.
- المقري، أحمد بن محمد، (ت1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1988).
- المقريزي، أحمد بن علي، (ت845هـ)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (2010).
- ______________، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط2، ج1، قسم1، تحقيق محمد زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- الملطي، ابي الحسن، (1993)، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تحقيق محمد الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية.
- **الموسوعة العربية العالمية**، (1999)، ط2، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر.

- النسائي، احمد، (ت303هـ)، **الضعفاء والمتروكين**، ط1، تحقيق محمود زايد، دار المعرفة، بيروت، (1986).
- ــــــــــــــــــــ، **السنن الكبرى**، ط1، تحقيق حسن شبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (2001).
- النسفي، ميمون بن محمد، (ت508هـ)، **التمهيد لقواعد التوحيد**، تحقيق محمد الشافعي، الأزهر، المكتبة الأزهرية، (2006).
- النسفي، عبدالله بن أحمد، (ت710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق عبدالمجيد طعمه، دار المعرفة، بيروت، (2000).
- النشار، علي، (2000)، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط8، بيروت، دار النهضة العربيية.
- النيسابوري، مسلم بن حجاج، (ت261هـ)، **صحيح مسلم**، ط2، تحقيق محمد عبدالباقي، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، (2010).
- ابو نعيم الأصفهاني، احمد بن عبدالله، (ت430هـ)، **حليه الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي، بيروت، (1996).
- الهيثمي، علي، (2001)، **مجمع الزوائد ومنع الفوائد**، ط1، تحقيق محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
- زكي، عبدالرحمن، (1966)، **القاهرة تاريخها وآثارها**، القاهرة، الدار المصرية للتألف والترجمة.
- سليمان، مشهور، (1993)، **الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير**، ط1،دمشق، دار القلم.
- ضميرية، عثمان، (2005)، **مدخل الدراسة العقيده الإسلامية**، ط1، جدة، مكتبة السواري.
- طهماز، عبدالحميد، (1987)، **العواصم من الفتن في سور الكهف**، ط1، دمشق، دار العلم.
- الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ)، **ضعيف تاريخ الطبري**، ط1، تحقيق محمد البرزنجي، دار ابن كثير، دمشق، (2007)
- ابن أبي العز، علي بن علي، (ت792هـ)، **شرح العقيده الطحاوية**، تحقيق عبدالله الستركي، الرسالة ناشرون، دمشق، (2008).

- عنان، محمد، (1987)، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- ـــــــــــــ، (1411هـ)، **دولة الإسلام في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة.
- فرغل، يحى، (1428هـ)، **تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية**، ط1، القاهرة، دار الافق العربية.
- فيروزأبادي، مجد الدين، (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، دار المعرفه، بيروت، (2005).
- قطب، سيد، (1990)، **في ظلال القرآن**، ط16، القاهرة، دار الشروق.
- ـــــــــــــ، (1994)، **التصوير الفني في القرآن**، ط16، القاهرة، دار الشروق.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، (ت465هـ)، **الرسالة القشيرية**، ط2، تحقيق معروف زريق، علي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (1990)
- كحالة، عمر، (1993)، **معجم المؤلفين**، ط1، بيروت، دار احياء التراث.
- محمود، علي، (1982)، **الغزو الصليبي والعالم الإسلامي**، ط2، الرياض، مكتبة عكاظ.
- مخلوف، محمد، (ت1360هـ)، **شجرة النور الزكية**، ط1، تحقيق عبدالمجيد خليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (2003).
- مرعي بن يوسف، (ت 1033هـ)، **اقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات**، ط1، تحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1985).
- مسلم، مصطفى، (2010)، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط1، جامعة الشارقة.
- أبو محمد اليمني، (1414هـ)، **عقائد الثلاث وسبعين فرقة**، ط1، تحقيق محمد الغامدي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
- الهويجري، (1980)، **كشف المحجوب**، بدون طبعة، تحقيق اسعاد قنديل، بيروت، دار النهضة.

- ابن ابي الوفاء، عبد القادر القرشي، (ت775هـ)، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، تحقيق محمد الشريف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (2005).
- الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد، (ت468هـ)، **أسباب النزول**، بدون طبعة، المكتبه الثقافية، بيروت، (1989).

الرسائل الجامعية

- الجعيد، خالد، (1431هـ)، **آراء القرطبي النقدية في المسائل العقيدية من خلال تفسيرها (عرض ونقد)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة.
- عرفات، عمر، (2015)، **العلاقة بين أسماء السور القرآنية وموضوعاتها دراسة تحليلية تطبيقية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، الاردن.
- المزيد، أحمد، (1412هـ)، **منهج الإمام القرطبي في أصول الدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سمور الإسلامية، الرياض.
- العمري، محمد نبيل، (1989)، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، أطروحة دكتوراه غير مشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.

AL - IMAM AL - QURTUBI'S APPROACH TO DEDUCT CREED ISSUES IN HIS TAFSIR AL - JAMI'LI AHKAM AL QUR'AN SURAT AL KAHF AS A PATTERN

By
Hanan M GH A Alotaibi

Supervisor
Dr. Marwa Mahmoud Kharma

ABSTRACT

This study addressed the approach of Imam Qurtubi in Astdalalh on contractual issues in the AL Kahf, designed to study Creed opinions contained in the AL Kahf with display included the sura of the issues in the belief characterized in some liquid wall of the Koran, making it Surat scarring read every Friday and the statement of some scientific procedures in the collected information and approach in addressing the issues of belief in the AL Kahf. It has been adopted in a research methodology to approach the inductive and analytical, and through these two approaches found that Imam al-Qurtubi agreed Ash'aris in faith in God issues and attributes contained in the AL Kahf, as I think the prophecy of vegetables and not his death, and stopped at the issue of preference among the prophets and the angels, and in at the true issues of the text. In short in this study that the imam Cordovan mercy of God Almighty is one of the scholars of the assets of the Sunnis and the group Almnaqahan by Alemtemthleen the book Karim correct and Sunnah and Kahf Attiymh including included the issues and conditions of nodal singled out from other Great Wall of the Koran.